الرّصافي

يروي سيرة حياته



د. يوسُف عزالدّين

الرصافي يروي سيرة حياته

اسم المؤلف : يوسف عز الدين
عنوان الكتاب : الرصافي يروي سيرة حياته
الناشر : المدى
الطبعة الاولى : سنة ٢٠٠٤

Author:Prof.Dr.Yousif Izzidien
Title : AlRasafi Tells his life story
Al- Mada P.C.
First Edition : 2004

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ ٢٣٢٢٢٧٦- -فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون - جانب فندق السفير
E-mail:almada112@yahoo.com

يوسف عز الدين

الرصافي يروي سيرة حياته

سجل للحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية بكل جراءة وصراحة

تصدير وتقدير

بعد جهد كبير ومشقة مثمرة بذلتها في إخراج هذه المذكرات، ولعلها المطبوع الوحيد الذي بذلت فيه أكثر مما بذلته في كتبي المتعددة، لتأثير الزمن على أوراقها وذهاب حبر الكتابة منها فقد تركتها أكثر من نصف قرن في مكتبتي في بغداد.

ليست مذكرات الرصافي غير تسجيل لجلسات خاصة انطلق الشاعر فيها بحرية القول وخرج عن التزمت المعروف عند الرواد، وفيها صراحة القول في ذكريات عفا عليها الزمن ولم يبق منها إلا وميض الأمل في الحياة ولذة ذكر ما مرّ منها.

شغل الرصافي الناس وبخاصة المفكرين والساسة بتمرده وثورته وغرابة تصرفاته وتناقض أعماله والشذوذ الظاهر في أسلوب حياته. فهو بين محب شديد في الحب وعدو يتمنى القضاء عليه، ومع هذا فقد كان يتمتع بالاحترام والتقدير.

إنه فلتة فكرية ونبوغ عبقرية يصاحبها هبوط نفسي. وما كان يقيم للناس وزناً أو قيمة، يتمتع في ليله ما شاء له الوقت في مصاحبة الكأس والقمار والجنس، وفي الصباح يتحول إلى الهدوء والفكر والعلم والفضل وروائع الشعر يثري به ساحات الأدب ويذود به عن وطنه وأمته. فكان شعره

يسري بسرعة عجيبة ويحفظه الناس ويرددونه وفيه فاحش القول والهجاء المقذع. وأهل العراق يحبون النقد ويعجبون بالهجاء ويصفقون للشتائم، وبخاصة إذا لامست نفوسهم ووجدت طريقاً إلى معاناتهم من رجال السياسة والحكم الأجنبي وتخلف المجتمع وانقسام الأمة.



الرصافي عالم وحده في شعره ودينه وعقيدته وسلوكه في الحياة العامة، وكبريائه وإبائه في تصرفاته مع من بيدهم الأمر، ثم نراه يعتذر ويتخاذل ويطلب المال بسبيل يأباه من يحمل هذا الكبرياء وهذا الاعتداد بالنفس.

هذا الشذوذ في الطباع والتناقض في التصرفات جاء من مسيرته في حياته ومن المحيط الذي عاش فيه وما لاقاه في الحياة طالباً راسباً في الحربية، وفي حلقة الآلوسي متفوقاً يبهر أستاذه ويرضي علمه.

مازالت حياته بحاجة إلى دراسة، وخير مصدر لهذه الدراسة شعره. إنه فذ في أفكاره التي سبق فيها عصره ولا بد من دارس ذكي في علم النفس الأدبي يوقف حياته لمعرفة هذا التناقض والشذوذ النفسي في حياة هذا المفكر الشاعر والشاعر المفكر.

ولا بد وأنا أصدر هذه المذكرات من التطرق إلى ظاهرة مؤلمة عند الباحثين الجدد هي السطو على كتب الرواد والباحثين دون ذكر فضلهم وريادتهم في حقولهم والسطو على الصفحات الكثيرة والآراء الجديدة بل أخذوا حتى الأخطاء المطبعية. إنه عصر الاستعجال والشعور بالنقص والابتعاد عن الأسلوب العلمي. وهم يقعون في أخطاء علمية ولو ذكروا المصدر لكانوا بنجوة من الأغلاط والأخطاء.

وأنا أصر دائماً على شكر الذين يقدمون لي المساعدة ويزودونني الرأي وقد استعنت بكل من أعرف في إخراج هذه المذكرات في هجرتي الاختيارية وأنا بعيد عن كتبي ومصادر بحثي في المكتبة في بغداد وأعيش في قرية صغيرة ليس فيها مكتبة أو بائع كتب.

ولعل أول الشكر العميق والمنة الدائمة لصديق العمر الأستاذ عبد المجيد حسيب القيسي الذي قرأ المذكرات معي قراءة تمحيص وأفادني بأكبر فائدة

بالملحق الكبير الذي وضعه في هذا الكتاب الذي بذل فيه جهداً كبيراً وكانت ملاحظاته أكبر من أضعها كلها في الكتاب، فاخترت منها ما يوافقني وعسى أن تطبع التعليقات في كتاب ليلقي الأضواء على المذكرات.

وأشكر الأستاذ عبد الحميد الرشودي فقد زودني آراءه القيمة وكتب لي ترجمة الأستاذ عبد الرحمن الخضير وترجمة كاتب المذكرات الأستاذ خالد محمد حافظ. واستفدت من آراء الشيخ جلال الحنفي فائدة جليلة. وشكري للصديق العزيز فيصل حسون والأستاذ سجاد الغازي والأستاذ محمد سعيد الطريحي، فقد صوّر لي رسائل الرصافي من مجلة المورد، وأخي عبد الرزاق السامرائي، الذي كان حلقة وصل مع من أحتاج من أدباء العراق، والأستاذ الباحث مير بصري وولديّ الدكتور أسل والدكتور موئل على جلبه الأوراق من المكتبة، وكل أولئك الأفاضل الذين مدوا لي يد المساعدة العلمية.

وأخيراً أمطر الله شآبيب رحمته على قبر الصديق الأستاذ عبد الرحمن الخضير وأرجو أن أكون وفيت الأمانة التي وضعها بين يدي، والرحمة والرضوان على روح الكاتب المجد الأستاذ خالد محمد حافظ فقد بذل جهداً كبيراً في سبيل التدوين. وأرجو من الله التوفيق والمعذرة من القارئ الذكي.

يوسف عز الدين

ويلز - بريطانيا

معروف الرصافي وسيرته الذاتية

مقدمة:

نشأ الرصافي في فترة اصطراع فكري وتضارب اجتماعي وقلق روحي من جراء تيارات الغرب المادية واصطدامها بالفكر الشرقي المثالي والتراث العربي القائم على المعنويات والمثل العالية وتفتح الجيل على آراء جديدة لم يكن يعرفها، نشرتها المجلات المصرية كالمقتطف والهلال، مثل نظرية التطور والاصطفاء الطبيعي لدارون وآراء ديكارت في الشك وخلق الكون لجيمس جينير والإيمان الغربي بالمادة والواقع وترك كل الغيبيات والمثل الدينية في الأخلاق والسلوك الاجتماعي والسجايا العالية.

إنها حيرة بين الأدب المثالي والمثل العالية وبين المادة البحتة التي لا تعترف بغير الملموس والمحسوس. الفكرة الحديثة أن العلم وسَّع الفكر وبدد الغشاوة التي تسيطر عليها الأساطير وأزال غموض العقل القديم لأنه عاش في الوهم وتغذى بالخيال المجنح وابتعد عن الواقع فهو يعيش في الأزهار والرياض وجمال القمر وغلالات العذارى وهمسات النسيم.

أما العلم فهو الذي يطلعك على الكون والحياة والمجتمع بوضوح ويعرفك الحقائق الثابتة. وعلى هذا الأساس قامت أكثر نظريات الغرب وآرائه، وتأثر بها الأدباء والشعراء في العراق وأعجب بها الزهاوي

ونظمها في شعره كما لفتت نظر الرصافي في المخترعات الحديثة كالقطار والسيارة والساعة والآراء المتعددة كالديمقراطية والحرية الفكرية فنظم قصائده في وصفها وأهميتها الكبيرة للحياة الجديدة.

والنظريات الغربية قاعدتها، بأن الشعر والمسرح والمتعة والغناء والموسيقا، بل إن جميع الفنون باعثها الأول الغريزة الجنسية. وأضاع الغرب بهذه النظرية، المثالية وعمل الخير والصلاح والحب الفطري للإنسان الخيِّر. واصطدمت هذه الآراء بالمثل العربية المتوارثة الراسخة في النفوس، وأراد الأديب أن يجاري هذا التيار. وكانت لغته وأسلوبه في أحضان اختيار اللفظ والدوران حول السجع وانتقاء الكلمة ذات الجرس القوي. لهذا لم يقدر على مجاراة التطور الجديد في لغته القديمة فاضطر على الخروج عنها والاهتمام بالمعنى، وبذلك خرج من حصار اللفظ إلى سعة المعاني والآراء الحديثة والتيارات الفكرية والعلمية العصرية.

وكان الرصافي يقرأ هذه الآراء ويحتويها فوجدناه يفر من حصار الكلمات المختارة إلى سعة المعاني الجديدة، وقد نال هذا التجديد إعجاب الجيل الذي عاصره. وبدأ شعره يدخل المدارس، لأن تجديده احتوى قضايا العرب والإسلام والشرق ودُرِّس شعره في جميع المدارس على كل المستويات.

وقد وجدنا، نحن الطلاب، صدى عميق الأثر في نفوسنا لأن الشاعر تمكّن من رسم الصورة الواقعية لحياة المجتمع العراقي وصوّر معاناته في الفقر والحاجة والمرض والجهل والتأخر الفكري، فقد هزّت قصيدته «الأرملة المرضعة» و«أم اليتيم» و«المطلقة» و«اليتيم في العيد» وغيرها من القصائد مشاعرنا لأننا كنا نحس بهؤلاء ونراهم

ونعيش معهم وقد نقاربهم في معاناتهم المادية والفقر والسقام لأن أكثر أبناء الشعب ما كانوا قادرين على الحصول على ما يسد الرمق لأنهم كانوا يعيشون في الفقر والمرض والجهل.

كان العراقي يورث حرفته لأسرته كالنجار والحداد والحائك والبقال والبناء، وكانت العائلات ترسل بالأبناء إلى أصحاب هذه الحرف ليتعلموا حرفة يكسبون من إتقانهم لعملهم وحرفتهم. وكانت هذه الحرف تغني العراق عن الواردات من خارجه، بل إن صادرات العراق كانت ليست بالقليلة من المواد الغذائية المتعددة. فقد وجدت في دار الوثائق البريطانية قوائم هذه المواد الأولية والكميات المصدرة منها كالشعير والحنطة والهرطمان والرز والجلود والبيض وغيرها مدونة في سجلات العراق. وكان الاستهلاك محدوداً بالضروريات من الطعام والكساء، وكان الموظف في الدولة هو الذي يقدر على ما لا يقدر عليه أكثر أبناء الشعب، لهذا كانت الوظائف مطمح العراقي ومن أجلها يدخل المدارس ويتعلم ليكون موظفاً أو ضابطاً.

وكان للرصافي مكانة خاصة في أسرته فهو وحيد أمه وأبيه وكان مدللاً وترعاه الأسرة إكراماً لمكانة الأم. عاش في محلة القراغول وقريباً منها: خان لاوند والفضل وعيفان والمكارية وغيرها من المحلات التي تعج بالحرفيين والعمال الذين امتدت إليهم يد الفقر والحاجة التي كان يعيش في آلامها الرصافي.

ما كان الرصافي فقيراً متربا ولكنه رأى حال الفقراء في هذه المحلات القريبة منه وتأثر بها فانعكس ذلك في شعره. كانت أمه تريده أن يكون موظفاً وقد فرحت عندما دخل المدرسة الحربية ولبس الملابس

الحديثة، ولكن الرصافي المدلل لم يكن يحتمل الصعاب وانهزم عند أول رسوب له في المدرسة مع أنه وصل إلى مرحلة متقدمة. ولعله ضاق ذرعاً بالانضباط والنظام الموجودين في المدرسة وآثر الحرية الفردية فدرس على الأستاذ محمود شكري الآلوسي في المسجد لأن العلماء كانوا قادة التعليم والتدريس في هذه الفترة ومنهم تؤخذ الإجازات العلمية كما تؤخذ اليوم من الكليات والجامعات. وما ترجمة «ليسانس» إلا الإجازة العلمية. وقد تخرج على يد أستاذه وعمل في حقله مدرساً. وقد أتيح له السفر خارج العراق بعد أن اشتهر وعرف شعره وأدبه، فسافر إلى الآستانة، وكانت عاصمة الدنيا، وزار الشام وفيها فلسطين وسورية ولبنان ولم تكن قد قسمها الاستعمار إلى هذه الأقسام الإدارية الجديدة.

عمل في وظائف متعددة وأبرزها النيابة في مجلس النواب العثماني «المبعوثان» وهي درجة أعلى مراتب الوظائف، فقد ذهب إليه نوري السعيد وقدم له صورته لأن الشاعر إمام الأمة وكان معه في المجلس عدد من مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي.

كان الشاعر عضواً في جمعية الاتحاد والترقي وله صلة قوية الأواصر بها، وكان طلعت باشا يسأله عن القضايا العربية. ولما نوى الحزب إدخال بعض الإصلاحات على الأقطار العربية، اختاره هو وجميل صدقي الزهاوي لتقديم المقترحات لإصلاح شؤون الأقطار العربية.

وسقطت الدولة العثمانية وحصل الغرب على السوق التي يريدها من المواد الأولية وتصريف إنتاجه الكبير والتخلص من البطالة وقضى على الدولة الإسلامية التي تقف أمام طموحه ورغباته وبقي قروناً يسعى لتحقيق هذا الهدف بعد سقوط القسطنطينية.

وعـاد الرصـافي إلى العـراق لكنه لم يجد تلك الأهمـيـة والمكانة التي كـان قـد حـازها من زمن الدولة العـثـمـانيـة. عـاد إلى العـراق بدعـوة من الحكومة التي سفرته على حسابها من فلسطين وكان مدرساً فيها. فقد كان طالب النقـيـب يريده أن يسنده في أن يكون ملكاً على العـراق وأن يزاحم الأمير فيصل بن الحسين الذي رشح لعرش العراق... وما هي إلا أيام ونفي طالب النقيب... فأضاع عمله في فلسطين ولم يجد ما يعمله في العراق. وكـانت الآنسـة بيل «مس بيل» لهـا الصـولة والرأي في حكومـة العـراق وطلب مساعدتها لأن الدولة هي التي دعته، فحصل على عمل ثانوي هو نائب رئيس لجنة التأليف التي لم يكن فيها لجنة أو لها رئيس.

لم ينل الرصافي ما كان يطمح إليه من وظيفة تعادل مكانته الأدبية الكبيـرة وأحس بالظلم الكبيـر في الحيـاة والعـمل والإهمـال في المكانة الاجتمـاعـيـة فاضطربت حياته واهتزت آمـاله وقـاسى نفسـيـاً واضطرب روحياً، فإن الذين كانوا أقل منه مكانة أصبحوا وزراء وأصحاب سلطة وأصبح فيـصل، زميله في مجلس الأمة ملكاً ونوري السعـيـد وزيراً. تناقضات عجيبة لم يكن قادراً على هضمها واحتوائها. لم يكن قـادراً على التـأقلم مع هذه الحيـاة الجديدة أو أن يتكيف حسب الوضع الجديد سواء في تياراته السياسية أو حياته الاجتماعية أو المثل الرسمية الوافدة فـأحس بثقل الحيـاة، ووطأة الحاجة فوجه سخطه على السلطة والوزراء والنواب وعلى رأسهم الملك فـيـصل الأول، مـعـبـراً عن مرارة نفـسـيـة واضطهـاد روحي وإهمال للذات الكبيرة التي يحملها ما بين جنبيه، وما أقسى إهمال الذات على كبير الطموح والنسيـان الاجتمـاعي على النفس العزيزة!! لذلك صب نقمته وحرمانه الاجتماعي وإهماله الرسمي على كل

من برز من الوزراء وأصحاب السلطة، فظهر في قصائده صدى عميق الأثر لمعاناته التي وجدت تجاوباً كبيراً عند الشعب العراقي الذي يكره السلطة والحكومة فكيف إذا كان الحاكم بعيداً عنه في الدين واللغة والتقليد واللباس والأنماط الاجتماعية التي جاء بها إلى العراق؟

والشعب العراقي شديد الإحساس مرهف العاطفة يؤثر مصلحته الفردية على السلطة العامة متى اصطدم الغرض الشخصي مع المصلحة العامة وهو أصلاً لا يؤمن بهذه الدولة وسيطرتها وإن كان وجهها من أبناء العراق وأهله.

فقال الرصافي:

فهو حكم مشرقي الضرع
غربي الملابن
وطني الاسم لكن
انكليزي الشناشن

كان الفكر والحياة في ازدواج الشخصية بين الواقع الجديد ومثله القديمة. يرى الأجنبي يحكم بلده وهو مختلف عنه في كل مظاهر حياته العامة مع حياته. لم تكن الدولة العثمانية واضحة التأثير في حياته وتدخل الاحتلال في جميع حياته الاجتماعية والفكرية. رأى المرأة تحكم، فهذه مس بيل لها سيطرة كبيرة وهو يخجل من ذكر اسم زوجته أو أمه أو ابنته ويمنعها من التعليم. إنه يكنّى عن زوجته وها هي المرأة الإنكليزية تظهر في الشارع ومع الرجال.

اهتزت مثله القديمة فاضطرب نفسياً وقلق روحياً. شتّان ما بين الدولة العثمانية المسلمة والاحتلال في الدين والعادات والتقاليد. ما

كان للدولة العثمانية غير رموز ممثلة في الوالي وبعض القادة في الجيش أو الجندرمة (الدرك).

وها هو الحضور الأجنبي يمثله الهنود في كل مكان لاعتماد الإنكليز على الهنود وفرضوا أنظمة وتعاليم جديدة أثرت في حياة الناس اليومية.

كان المجتمع قائماً على قوة الأسر ورابطة العشائر يحمي الفرد نفسه من أذى الآخرين حتى حلّت مكانها أخيراً الحزبية والنوادي والجمعيات فانتمى إليها الفرد ليشعر بالقوة والحماية.

وبعد أن تم تشكيل الدولة ظهرت التيارات السياسية والفكرية والدينية سواء كانت قومية أم يسارية أم محافظة، فانتسب إليها لضمان حمايتها له.

وكان الدين الإسلامي هو دين أكثرية أهل العراق... وكان السلطان العثماني هو خادم الحرمين الشريفين وخاقان البرين والبحرين، وكانت الدولة واسعة الرقعة كبيرة المسافة تضم الشرق والغرب ثم بدأ الهزال يدب في أواخر عمرها بعد عمرها الطويل شأن كل الدول.

بدأت أوروبا تتقدم حضارياً في المخترعات والصناعات في مختلف جوانب حياتها العامة واجتاحت الثورة الصناعية حياتها وكثرت المعامل والمصانع وزاد إنتاجها زيادة كبيرة، وهي بحاجة إلى مواد أولية رخيصة وأسواق للبيع وكانت الدولة العثمانية الخصم اللدود هي الهدف الذي يفرج الضائقة المالية ويجلب الرفاهية لها.

وبدأ الغرب في اقتطاع أجزاء من هذه الدولة وحاول القادة التصدي ولكن الغرب كان أقوى فقد جند من أبناء الدولة من قام بالانقضاض على دولتهم دون أن يعرفوا المخطط الذي بدأ من قادة الغرب والدراسات

الكثيرة التي قاموا بها، وإنهم أعدوا لكل شيء عدته للقضاء على الدولة العثمانية بمساعدة أبنائها الذين أضاعوها وأضاعوا أنفسهم عندما بدأ الغرب في إرسال عملائه تحت أغطية متعددة مثل البحث عن الآثار أو الأنهار مثل «جسني». وقد درس الغرب كل صغيرة وكبيرة عن حياة العراق الاجتماعية والاقتصادية والصحية وعن أسره والرواتب التي كانت تدفع لبعض عملائهم. وكانت دراسة الموارد الاقتصادية والإدارية والاجتماعية واضحة في هذه التقارير والهدف منها معرفة الأمور المالية في الدرجة الأولى.

كان السلطان عبد الحميد شديد الحذر والحرص على بلاده ولكن للأسف فإن رجال الحكم الذين اعتمد عليهم كانت أغراضهم الفردية تغلب المصالح العامة ومصلحة الدولة العليا. بدأت الدول الأجنبية بنشر الأفكار الجديدة ثم أخذت تنشط للتخلص من السلطان العثماني وتألفت جمعية الاتحاد والترقي وقامت بالانقلاب سنة ١٩٠٨.

القومية التركية:

ما كان يمكن القضاء على الفكر الإسلامي الذي يعتنقه أبناء الدولة العثمانية إلا بفكرة جديدة، وما كان يمكن أن تنتشر هذه الفكرة بين أبناء الشعب المتعلق بالدين إلا بالقوة. وكانت القوة ممثلة في الجيش القادر على ذلك، ولا يمكن أن يهدم هذا التيار الإسلامي إلا باختلاق رأي جديد يغسل به دماغ الجيل الجديد ممثلاً في ضباط الجيش فدرس الشباب الجديد الطورانية أو القومية التركية.

وأخذ ناظم بك السلانيكي في تدريس خصائص القومية التركية. وشدد على فضائل الترك العسكرية والتأكيد على أفكار الجمعية

السرية.. وتحدث عن تيمورلنك[١] وعبقريته وشهامته وعن سياسة جنكيز خان الذي سمى نفسه في بخارى غضب الله وعصا سخطه. ودعا ناظم بك في دروسه إلى الوثنية التركية وأسبغ على الدمار والتخريب والبربرية التي حدثت من التتار والمغول، البطولات القومية. وكان الكتاب الذي يدرسه هو «الينبي طوران» تأليف «ليون كاهون».

وأخذوا ينظرون إلى الإسلام بأنه السبب في تأخر الأتراك وجعلهم أمة شرقية وإن على تركيا أن تكون دولة غربية وإلا تهلك، ويجب أن تتخلص من الإسلام. ودرس الشبان تاريخ القبائل الطورانية وأسست فرق من الكشافة برعاية أنور باشا وأعيدت دراسة تاريخ الوثنية قبل الإسلام ومن كان اسمه عربياً غيّره باسم تركي وجعلوا القومية التركية أولاً والإسلام ثانياً وقالوا بأن التاريخ العثماني كتب بنظرة إسلامية تلعن جنكيز خان وقادة الترك الذين معه[٢].

كان الغرب يرعى الحركات المناهضة للخلافة الإسلامية لأنه العدو الطبيعي للإسلام ولأن القضاء على الدولة العثمانية يفتح الطريق أمام الاقتصاد الأوربي فلا بد من ثورة على الدولة! ومن يقوم بها غير العسكر؟ ولقد اتخذت جمعية الاتحاد والترقي الوسيلة إلى التخلص من السلطان عبد الحميد، وكان اليهود يساعدون الجمعية وتعقد الاجتماعات في دورهم لأن المعاهدات والامتيازات الأجنبية تحميهم وتحرم محاكمتهم لأنهم من أصحاب الامتيازات وإنهم أجانب فاحتمى قادة الاتحاد والترقي باليهود والأجانب وبدأت الجمعية تنشر آراءها دون خوف من الدولة. وفي مصر كان اللورد كرومر يحمي هؤلاء ويهربهم من السلطة المصرية.

وانتشرت حركة التتريك وأصبح الجيش من أعوانها. وفي تموز ١٩٠٨ تحرك نيازي باشا وأنور باشا ضد السلطان عبد الحميد واستغلت أوروبا ذلك وأعلنت بلغاريا استقلالها[٢] وأعلن الدستور وظن قادة الاتحاد والترقي بأنهم فازوا بالحكم ولم يعرفوا المخطط الغربي.

غير أن الشعب لم يرض بهذا الحكم وقاوموه وحدثت مقاومة كبيرة وعمت الثورة البلاد وخرج الجنود عن إطاعة الضباط وقتلوا من قابلوه من أعضاء الاتحاد والترقي وسجن بعضهم وأعلنوا ولاءهم للسلطان ضد العهد الجديد. وحاول السلطان عبد الحميد إبعاد الفتنة وامتصاص النقمة التي أهاجت الشعب.

لكن الجيش الذي تربى على الطورانيين وكان في «سلانيك» زحف بقيادة محمود شوكة وأحاط بقصر «يلدز» وعزل السلطان وأبلغته لجنة بالعزل، وكانت اللجنة مكونة من:

١- إيمانويل قره صو: وهو يهودي إسباني الأصل ورئيس المحفل الماسوني في مقدونيا.

٢- آرام: أرمني.

٣- أسعد طويطاتي: ألباني.

٤- عارف حكمة الكرجي.

وهم من الاتحاد والترقي، وبذلك تم القضاء على الخلافة. وقد رفض السلطان المقاومة التي أرادها رجال الجيش الموجود في استانبول رغم الإلحاح الشديد عليه حتى لا يريق دماء الجنود وقال كيف أدعهم يقاتلون؟ أليسوا جميعاً أتراك؟ إن الأمة بحاجة إلى دماء الجنود. وقد قال في مذكراته إنه أحسن العمل لأنه ما كان يريد أن يسيل الدم

مدرارا. وقد أطلق على الحركة التي قامت تؤيد السلطان عبد الحميد بالحركة الرجعية لأن قادتها كانوا رجال الدين وضد الماسونية.

وقد نظم الرصافي فيها قصيدة سمّى القائمين بها بالأشرار وقد تتبع الحكم الجديد رجال الدين وألقى القبض على كل من يرتدي الملابس التي تدل على ذلك، فأخذ رجال الدين بتغيير زيّهم والاختفاء عن الأنظار. وكان الزهاوي أحد هؤلاء. وفي ديوان الرصافي شاهد على ذلك. فقد جاء في الديوان قصيدة قالها لما زحف جيش سلانيك إلى الأستانة بقيادة محمود شوكة باشا لقمع الحركة الرجعية التي حدثت في ٣١ مارس ١٩٠٨. ومنها:

لقد سمعوا من الوطن الأنينا
فضجوا بالبكاء له حنينا
وثاروا في مرابضهم أسودا
بصوت الاتحاد مزمجرينا

وهاجم رجال الدين وحرض على قتلهم فقال:

ولا تبقوا الذين قد استبدوا
وراموا كيدنا وتخونونا
هم الأشرار باسم الدين قاموا
فعاثوا في المواطن مفسدينا

وله قصيدة في المجلس العمومي وأخرى لما خلع السلطان عبد الحميد بعنوان «وقفة عند قصر يلدز»، وقد بكى قتل محمود شوكت بقصيدة من غرر شعره.

وعلى إثر ذلك ظهرت المستعمرات اليهودية في فلسطين، وكان عبد الحميد يحول دون إنشائها، في حيفا ويافا والكرمل، وبعد عامين أخذت

إيطاليا ليبيا بتوسط «قرصو» وجهوده فقد مهّد لإيطاليا التي ذهب إليها وانهدّت الدولة العثمانية المسلمة التي صمدت سبعة قرون أمام الغرب وفُتحت البلاد العربية ولم ينفع ندم قادة الانقلاب الذين هربوا ثم قتلوا في أماكن بعيدة عن وطنهم بعد تخريبه وسلموه للغرب بعد حكم تسع سنوات.

الاتحاد والترقي:

انضم الرصافي إلى جمعية الاتحاد والترقي لأنه كان شديد الصلة من بغداد بأسرة «حكمت سليمان» وأخيه شوكت، كما انضم إليها جماعة من العراق والعرب لأنها نادت بـ «الحرية والعدالة والمساواة» بين الأقوام التي تسيطر عليها الدولة. وقد فرح بإعلان الدستور ونظم فيه قصيدة طويلة ولكن ساءه بعد ذلك ما رآه من أعمال المسؤولين، كما مدح هذا الدستور شعراء آخرون. وقال الرصافي:

ولاحت لنا حرية العيش عندما
أماطت لنا الأحرر عن وجهها السجفا

ولما ظهرت أعمال الاتحاديين وظلمهم وجهل الشعارات التي دعوا إليها قال:

فهل أيها الدستور تسمع شاكيا
بك اليوم يرجو أن يرى نهضة الشرق
بك اليوم أشقانا الألى أنت مسعد
لديهم فيالله للمسعد المشقي(٤)

هذه الصلة البغدادية هي التي دعت إلى زيارة محمود شوكت في سلانيك وهو لا يعرف نية العسكر، لهذا لما عاد إلى استانبول كان

يرتدي العمامة فألقي القبض عليه حتى برهن على صلته بالقائد محمود شوكت. وكان مقتله شديد الألم في نفسه فنظم قصيدة من غرر شعره منها:

سأبكي وأستبكي الجيوش على فتى
فقدناه فقد الغيث في الزمن الصلد
وما مات محمود الخصال وإنما
تنقل من هذا الفناء إلى الخلد

لعل صلة الرصافي بأسرة محمود شوكت البغدادية من أهم أسباب الانتماء إلى الاتحاد والترقي لا سيما وقد وجد العناية به وإن تعيينه نائباً عن العراق أثار حب الذات في نفسه لذلك رأى أية حركة ضدهم إنما هي خروج عن الإسلام والدولة العثمانية المسلمة، فوقف ضد الحركات القومية التي كانت ردة فعل للقومية الطورانية التي أصبحت شعار جمعية الاتحاد والترقي. هاجم الحركات القومية وهجا الملك حسين عندما أعلن ثورته على الاتحاد والترقي كما خاصم طالب النقيب الذي كان ضد التيار الطوراني. إن الدعوة إلى القومية العربية كانت طوق النجاة للعرب بعد اضطهاد الحكم الجديد لهم وشنق بعض القادة العرب في دمشق وبيروت، وقد رأى القومية ضد الدين الإسلامي.

إن بغداديته هي التي دعت نوري السعيد للاتصال به فقد كان الرصافي علماً معروفاً يفخر به العراق والعرب، وقد قابله وأهداه صورته وافتخر بأنه يهديها للشاعر. وقد بقيت هذه الصورة حتى موت الرصافي. وقد خلّد الشاعر نوري السعيد بشعره عندما مدحه بقصيدة لما حصل على وسام الرافدين، فقال:

تِه يا وسام الرافدين بصدر من

هو في العلا للرافدين وسام

لم يتخل السعيد عنه حتى بعد أن هجاه، فقد كان يرسل له المساعدة المالية سراً حتى لا يعرف الأمير عبد الإله. وبعد حركة رشيد عالي قرر أن يعينه بوظيفة جيدة على أن يهادن الأمير عبد الإله. وحسب مذكراته، فقد رفض العرض وأعطيت الوظيفة لإبراهيم صالح شكر. ولا بد أن أذكر أن قاسم محمد الرجب قال مرة كان نوري السعيد يرتاد مكتبته للاطلاع على ما صدر من الكتب، ولما عرف أن محمد قاسم الرجب أخفى إبراهيم صالح شكر في المخزن حتى لا يلقى القبض عليه بعد حركة رشيد عالي التي أسهم فيها الكاتب. قال له نوري السعيد قيل لي لديك في المخزن مخطوطات جيدة تحتفظ بها. ثم في اليوم التالي جاء السعيد ومعه أمر إداري في تعيين الكاتب إبراهيم صالح شكر وقال له خذه إليه وليخرج من المخزن إلى وظيفته.

لم يكن الرصافي إنساناً مجهولاً في العالم العربي فقد كان ينشر قصائده وفيها نقد للنظام العثماني وعبد الحميد. وقد حدثني الشاعر بشارة الخوري بأنه كان يظن بأن اسم معروف الرصافي اسم مستعار حتى تعرف عليه بعد ذلك.

هذه الشخصية اللامعة،في العهد العثماني يعود في عهد الدولة العراقية فلا يجد عملاً يسد به حاجته ويعين نائب رئيس لجنة لا وجود لها ولا لرئيسها ويبقى ست سنوات يتسلم الراتب بلا عمل. كان يريد أن يكون مؤثراً في الحياة وأن يجد ما يلائم طموحه ومكانته، فتارة يهرب إلى تركيا وطوراً يريد أن يكون لبنانياً وأخرى يريد الذهاب إلى الهند

فيرده صديقه عبد المحسن السعدون ومرة يكتب إلى عوني عبد الهادي لإيجاد عمل له في مصر(٥).

ولما عينته الدولة في التدريس لم يجد الكتب والمصادر التي وعدته بها وزارة المعارف، ولكنه يذلل الصعاب ويؤلف للطلاب كتبه ويعاني في الطبع ثم يتنازل عن حقه في الطبع لرزوق غنام لأنه لا يقدر على دفع مصاريف الطبع ويضيق ذرعاً لأن التدريس لا يسد طموحه وآماله وهو يرى من هم أقل شأناً منه في دست الحكم والسلطة وزراء فيها وأصحاب وظائف مرموقة.

الرصافي عالم وحده، يريد أن يلوي الحوادث لكي تخدمه ويطلب من الحكم أن يقدره ولكن هل فكر الرصافي في مسايرة هذه الظروف والأحداث الجديدة التي حدثت في العراق؟

إنه غير منتمٍ إلى رأي، فهو ضد علماء الدين وهاجمهم وهجاهم، ولم يكن قومياً لكي يرعاه التيار القومي ولم يكن ملتزماً بحزب من الأحزاب ليدافع عنه. إنه فرد يرى نفسه جماعة كبيرة، كان عضواً في الاتحاد والترقي لأن أصحابه من أهل بغداد وأصدقاءه كانوا في الاتحاد، ثم أصبح ماسونياً لأن الأصدقاء أدخلوه وجاراهم وأخذوا يدفعون عنه حتى المشاركات المالية ولكنه لم يتفق مع الماسونية فهجرها إلى غير رجعة... الغريب أنه في مذكراته لم يتحدث عن الاتحاد والترقي ولكنه ذكر الدستور في شعره ثم خيبته فيه.

إن اطلاعه الواسع على التاريخ الإسلامي ومعرفته بالفقه وذكاءه الواسع كونت في عقله تياراً وحيداً لا ينتمي إلى المسلمين المعاصرين، فقد خالف رجال الدين وكان متساهلاً في الفرائض بل لم يعرف عنه أنه

صلى والتزم بعد ذهابه إلى استانبول وهو الذي كان شديد التدين وكثير الصلاة.

ورغم نشأته في محيط إسلامي وتعليمه الديني العميق ومعرفته الذكية به فإنه بقي يعاقر الخمرة حتى منعه الطبيب، ولم يلتزم بالمحرمات فقد تحدث عن شرب «العرق» وعن علاقاته ببنات اللذة الجنسية اللواتي كن يوالين زيارته لأنه فتح لهن باباً لتسهيل الوصول إلى داره. لكنه كان بعيداً عن جنس النساء ولازمه شذوذه وبقي معه مَنْ صاحبه حتى وفاته وأوصى به وجعله وريث إبداعه في وصية معروفة ومنشورة.

إن صداقته وعلاقاته مع نساء اللذة دليل على إنسانية عالية المستوى. فقد كانت هذه العناية والصداقة المتينة ضربة للمجتمع الذي أساء إلى نسوة اضطررن لهذه المهنة فأراد رد الاعتبار لهن، فقد كان يساعدهن ويوصي بهن ويحاول إيجاد عمل لهن. وكن يركن إليه في مشكلاتهن. وكان إذا زاره أحد المسؤولين يفضلهن على أصحاب السلطة والمنفعة.

هل هو اعتداد بالنفس أو احتجاج على المجتمع ورفض لمفاهيمه ومثله؟!

دليل احتجاج وثورة مكبوتة، فقد كان مرموق المكانة في الدولة العثمانية ولكن أهمل شأنه من دولة العراق وبها أصحابه ومن كان دونه منزلة فأصبح من ذوي السلطة وهو غدا كمن لا مكانة له في الدولة، لهذا قالها بصراحة وخاطب رجال الحكم ببغداد سنة ١٩٣٣.

يا مبعدي بظلم عن مناصبهم
وقاطعين إلى ما أبتغي طرقي
ماذا يوافقكم من شأن صاحبكم
حتى يكون لديكم فائز السبق

فـــجـــربوني تفـــوزوا عند تجـــربتي

بما تـريدون مـن طـيش ومـن حـــــمق

لا أبعــد الله غـــيـــري عن مناصـــبكم

إني بتـــدنيس عـــرضي غـــيـــر مـــرتـزق

يحـار الكاتب في تصـرفـات الرصـافي ولكنه لا شك يرى ظاهرته. فهو احتجاج داخلي تجلى بالعزلة والارتماء في احتساء الشراب الذي يراه سبيلاً إلى نسيان الواقع لأن عقله الواعي كان يؤلمه واقع الحياة التي كان يحـيـاها، وأهمـهـا حـرمـانه من الوظيـفـة التي أسندت إلى من لم يكن يستحق أن يكون أحد طلابه.

الصرخة واضحة والاحتجاج ظاهر بقوله:

إن كـــان عـــقـل فـــإني عـــاقل فطِن

أو كـــان حـــمق فـــعندي أحـــمق الحُـــمق

علمت كل خـــفي من ضـــمـــائركم

ومـــا علمت الذي تـرضـــون من خلق

الرصافي كان شديد الطموح له كفاية علمية كبيرة ومنزلة اجتماعية مرموقة، معتد بنفسه إذا ما قورن بمن أخذ مقاليد الحكم.

فـهل خـاف الحكم منه ومن طمـوحـه أم أنه لم يكن يجـاري السلطة وظهـرت كراهيتـه للإنكليـز ومن جاء يواليـهم، إضـافـة إلى أنه لم يلتـزم بالتقـاليد العـامة في الظاهر إنما كـان واضحـاً وصريحـاً في أعـماله وكـان غـيـره أكثر مروقـاً وأكثر مخـالفات للدين سراً في شرب الخمرة ولعب القـمـار وهم أكثر التزاماً في هذه الازدواجية، فـهم في النهـار غيرهم في الليل.

جاهر الرصافي بآرائه التي تخالف المجتمع والمفكرين الذين تعلموا مثل علمه. وظهرت ثورته على السلطة والمجتمع والاحتلال، وزاد في الاحتجاج إمعانه في الهجاء القاسي للملك فيصل والملك عبد العزيز السعود والأمير عبد الإله والوزراء وبعض علماء الدين مثل قاسم القيسي ويوسف العطا، وسجل بعض آرائه في كتبه ورسائله ولكن كان شعره ينتشر بصورة سريعة ويردد الناس شعره لأن العراقي يلذ له شتم الرؤساء والقادة.

العوامل النفسية:

لا شك بأن الرصافي لم يكن مطمئن النفس هادئ الروح راضياً عن الحياة فكان سخطه مدعاة لاضطراب في اللاشعور وآثار القلق الباطني انعكست على تصرفاته العامة، فأراد مهاجمة الحياة الاجتماعية المزدوجة والوضع الرسمي للدولة لأنه لم يكن قادراً على التكيّف الاجتماعي وقبول الأمر الواقع لأن التكيّف بحد ذاته سيفقده الثقة بالنفس ويرى بأنه تابع لتقاليد يرفضها وأساليب غير مقتنع بها. فهو لا يريد أن يكون سائراً في طريقها لاعتقاده بأن رأيه هو الصحيح وفكره هو الأصيل السليم.

إن التطور الاجتماعي والتغيرات السياسية التي سيطرت على حياة العراق حالت دون الاندماج فيها وتكيّفه مع هذه الحياة الجديدة لأن الإنكليز غيّروا هذه الأنظمة وبدلوا المفاهيم القديمة وأخذ الهنود يساعدون في إدارة دفة الحكم وبعض العراقيين، فساءه هذا الأمر فقال:

تجوز سيادة الهندي فينا
وأما ابن البلاد فلا يسود

إذن فـــالهند أشــــرف من بـلادي
وأشـــرف من بني قـــومي الهنود
وكم عند الحكومـــة من رجـــال
تراهم ســـادة وهم عـــبـــيـــد
كـــلاب للأجـــانب هم ولكن
على أبناء جلدتهم أســـــود
وليس الإنكليـــز بمنقـــذينا
وإن كـــتـــبت لنا منهم عـــهـــود
مـــتى شـــفق القـــوي على ضـــعـــيف
وكـــيف يعـــاهد الخـــرفـــان ذيب

فالإنكليز ومن يساعدهم أخذوا الحكم وأبعد عنه كل مخلص لبلاده لأنه لم يقدر على التكيّف والمرونة، ومنهم الرصافي الذي أصبح بعيداً عن السلطة. لذلك لم يرض بالواقع ويجاريه، فأهمل مفكراً وأديباً. وانزوى وعكف على الخمرة والقمار لينسى الواقع الجديد ويسلي نفسه وأصبح ندمانه من بنات الهوى. ثم إن صراحته وهجاءه أبعده عن الوظائف الرسمية، فاضطر إلى الانزواء وشمله اليأس والحزن وهو الطموح المعتد بنفسه. ولم يكن المجتمع العراقي بقادر على دعمه في المستوى الذي يجعله يركن إليه كل الركون ويعتمد على مساعدته المالية كلياً وإن لم يتركه الموسرون منهم.

مع الملك فيصل:

العراقي فردي ومن أكثر شعوب العالم اعتداداً بنفسه ويرى نفسه

خيراً من الجميع وظهر الاعتداد بوضوح عند الرصافي مع اندفاع عاطفي وقسوة في الهجاء وعدم الشعور بالمسؤولية الاجتماعية والتقيد بأنظمة الحياة الجديدة التي طرأت على العراق بعد الاحتلال الإنكليزي وتشكيل حكومة من أبناء العراق.

كان الرصافي ملء سمع العالم الإسلامي في الدولة العثمانية التي تحولت إلى الدولة التركية بظهور جمعية الاتحاد والترقي وكان نائباً في المجلس النيابي في الأستانة.

وقد عاد الرصافي بدعوة من طالب النقيب لمقاومة الدعاية للأمير فيصل لعرش العراق. ولكن الإنكليز تمكنوا من القضاء على الفكرة عندما نفي طالب النقيب إلى جزيرة «هنجام». ولما وصل الملك فيصل إلى العراق كانت إحدى الحفلات التي أقيمت له في دار نقيب الأشراف عبد الرحمن النقيب الذي كان رئيس الوزراء. وقد ذكرت جريدة دجلة(٦) هذا الحفل. وقد عقدت الحفلة في دار النقيب وحضور الأمير فيصل دعي إليها أبرز رجال العراق وكان الرصافي منهم فقد كانت له مكانته المرموقة وشخصيته الاجتماعية البارزة. وتم اللقاء في دار النقيب احتفالاً بالأمير فيصل وكان الرصافي المتحدث البارز فيه. حيّا الحضور بقصيدة قال فيها:

أما وقد طلع الرجاء
يشعَ بألوان السرور

وكان يقدم النقيب على المحتفى به بذكاء ومقدرة بارزة:

في دار مولانا النقيب
بوجه مولانا الأمير

من وجـــه مـــولانـا النقـــيب
ووجـــه مـــولانا الأمــــيـــر
مـــدّ النقــيب إلى الأمــيـــر
يد المعـــاضــد والنصــيــر
وليـــحـــيـــا مـــولانا النقـــيب
حـــيـــاة مـــولانـا الأمــيـــر

وأثنى على النقيب فقال «لا أعلم رجلاً أجدر من مولانا النقيب بأن يمثل في أفعاله أهل العراق كافة، كيف لا وهو من قتل الدهر خبراً بتجاربه وارتدى العز ضافياً بعلمه وأدبه وارتقى سماء السؤدد والمجد بنسبه وهل في العراقيين رجل أحرص على مصلحة البلاد من مولانا النقيب... فيا أيها الأمير يا صاحب السمو الملكي إنما تصافحك من مولانا النقيب يد العراقيين كلهم وإنما تضمك في هذه الليلة هذه الدار العامرة بلاد العراق كلها» ثم قال عن فيصل «نرجو من الله سبحانه أن يكتب لنا بأيدي أمثالكم من عظماء الرجال مستقبلاً تحمده عليه أخلافنا وتغبطنا به أحلافنا:

إنما المرْ حـــديــث بـعــــده
فكن حـــديثـــاً حـــسناً لمن وعى

ومن قراءة الكلمات التي ألقاها والأبيات التي نظمها، لا يحس القارئ باحترام عميق للضيف الذي سيكون ملكاً للعراق، بل كان حديثه فيه النصح والإرشاد بينما كان الشعراء يمدحونه لأنه من الأسرة الهاشمية وله جهود في سبيل القضية العربية وكان ملكاً في سورية وأخرج قسراً منها. ولو درسنا الظروف التي أحاطت بالرجلين وكبرياء الرصافي واعتداده

بنفسه لوجدنا أن الرصافي يجد نفسه نداً لفيصل وكان في قرارة نفسه والشعور الباطني يغبطه بل يحسده، وله الحق في ذلك. وقد فات الرصافي أن فيصل ليس صغير المكانة أو مجهولاً، وقد بذل جهداً كبيراً في التصدي للدولة العثمانية أو بالأحرى للدولة التركية الطورانية.

أما الرصافي فلم يبذل جهداً أو يعاني مشقة في الحصول على عضوية مجلس الأمة، فقد جاءته وهو جالس في استانبول بوساطة الماسونية أو بتأثير جماعة أهل بغداد. وكان حرياً بالرصافي تكريمه ضيفاً ولأنه ابن الرسول.

ومع كل هذا فلما أصبح الملك فيصل في دست الحكم وتم له أمر البيعة، لم ينس الرصافي وأراد إزالة ما في نفسه من عداء له وأراد أن يفتح صفحة جديدة في تاريخ العراق الحديث، ولكن الرصافي في قرارة نفسه كان يبغض فيصل بن الحسين وذهبت محاولات فيصل المتعددة في إرضائه دون جدوى، والمثل العراقي يقول «العين لا تحب الأعلى منها». ويريد الرصافي أن يحوز منزلة رفيعة دون بذل جهد صادق وأن يكون شاعراً ومصلحاً يجلس في راحة وتأتيه الوظائف طائعة ويشارك في الحكم مع أنه لم يلتزم بما تفرضه الوظيفة من حدود.

الرصافي عاطفي، والعاطفي دائماً يكون كسلاناً يريد الوصول من أسهل الطرق، وكان سلبياً وذا شخصية مزدوجة في الوقت نفسه وقد سانده عبد المحسن السعدون ونوري السعيد كثيراً لأنه لم يكن صبوراً على العمل ومواصلته.

لا شك أن الوضع الجديد أراد له أنصاراً يعتمد عليهم، ولا بد أن يكون هؤلاء الأنصار ممن يذودون عنه أو يسيرون معه. وقد كان محمد

رضا الشبيبي وباقر الشبيبي وعلي الشرقي من الشعراء الذين لم يحاربوا الوضع الجديد ولم يهج واحد منهم أرباب الحكم وهم أولى بالرعاية والاحتواء، أما الرصافي فقد كان شديد الهجاء لا يريد أن يهادن. وحسب اعترافه بأن نوري السعيد بعد حركة ١٩٤١ عرض عليه وظيفة على شرط مهادنة الأمير عبد الإله، الوصي، ولكنه رفض هذا العرض وبعد حركة ١٩٤١ أهمل الشاعر ونُسي ذكره ولم تردد الصحف والجرائد اسمه. ولما رفض نوري السعيد عُيِّن إبراهيم صالح شكر مكانه وحسب قول الرصافي «لأننا نتكاره».

والواقع أن نوري السعيد فضله على غيره، ولكن هل أهمل الملك فيصل الرصافي بعد الهجاء اللاذع الذي هجاه به. كان الملك فيصل يحاول إرضاءه، ففي المذكرات يعترف أن أكثر من لقاء ومحاولة من الملك تمت لتسوية الأمور معه ولكن الرصافي كان هو الذي يتهرب لأنه في قرارة نفسه لا يريد أن يكون فيصل أكبر منزلة منه وأعلى مكانة منه. إنه شعور بالاستعلاء الذي سيطر عليه والسلبية والإحساس بالنقص بالنسبة للملك فيصل. ويظهر ذلك في المقابلة التي جرت بينه وبين الملك فيصل، فهو يعترف بصراحة بأن الملك فيصل هو الذي سعى إليه ولكن الرصافي تهرب، قال إنه قابله في قصر شعشوع وهو بيت على ضفاف دجلة نزله الملك أول وصوله إلى بغداد ما بين الأعظمية وبغداد، ويصف الرصافي الحجرة التي قابله فيها:

«وإن أثاث الغرفة يتألف من منضدة كبيرة خلفها كرسي جالس عليه الملك فيصل وأمام المنضدة كرسي واحد لا غير. فلما دخلت الغرفة بادرني الملك بقوله:

أنا الذي أعدد أياماً وأقبض راتباً؟

فأجبته، أسأل الله ألا يكون كذلك.

وجلست على الكرسي دون استئذان.

ثم قال: ليش كل هذا العداء يا معروف؟

فأجبته: يا صاحب الجلالة لا يوجد ولا شخص واحد في الدنيا يقول إن لي مطمعاً في مقامكم لأجل أن يكون لي عداء معكم لأن الأغراض هي التي تولد العداء، فقال وهذا «بلاط أم ملاط؟».

فأجبته: إن هذا لم يكن موجهاً لشخصكم الكريم وإنما لمقامكم والمقصود هو حاشيتكم الذين أساؤوا للبلاد.

فأجاب: إن إساءة بعض الحاشية لا يبرر هذا القول.

فقال الرصافي في مذكراته:

ولما وجدت الملك لا يريد المفاهمة قمت من مجلسي ولوحت بالسلام وانصرفت.

يقف الدارس على هذا اللقاء الذي تم بين الرصافي والملك فيجد أن الرصافي هو الخاسر في هذا اللقاء فقد كان ضعيف الحجة فيه تملص من الحديث وبإيذاء في القول فالملك هو الذي طلب لقاء الرصافي وكان الرصافي خاسراً فليس من المجاملة في النقاش أن يساوي نفسه بالملك ويقول له إنه ليس له مطمع في مقامكم. إن الملك لم يفكر بهذا وإلا لما أرسل في طلبه، ولكن الرصافي تمنى أن يكون مساوياً للملك في المقام لذلك ذكر بأنه ليس طامعاً في العرش، وما كان له أن يقول مثل هذا القول لكن اللاشعور المتمكن في أعماقه في رغبته في المناصب والوظائف هو الذي ظهر في الاعتذار المؤلم.

هل الملك حقيقة «يعد أياماً ويقبض راتباً؟» إنها صفات الرصافي الذي كان كثيراً ما يعين في الوظائف دون عمل ويرضى لنفسه هذا ولو أنه تبرم بذلك لا للراتب وإنما للبطالة والسأم. وفي رده تجنى على الحقيقة وافتراء على الواقع بالنسبة للملك فيصل وما قاساه في حياته وما يقاسيه في العراق. فقد عانى فيصل في حياته وهو يعيش بين موجتين عارمتين في دفة الحكم ليرسي دعائم دولة جديدة على أنقاض ولاية مخربة مفلسة قد تفشى فيها الجهل والمرض والفقر. بين الإنكليز أصحاب السيطرة والقوة والحق لأنهم دخلوا البلاد بقوة السلاح وبدماء جيوشهم ومازالت نشوة النصر والاعتداد والفتح تلعب في رؤوسهم وقد سيطرت جنودهم على العراق سيطرة تامة وأهل العراق الذين قال عنهم معاوية لابنه: لو طلبوا منك أن تعزل كل يوم والياً فافعل لتمردهم وكراهيتهم للحكام.

جاء الملك فيصل ليسوس هذا البلد، فهم يطلبون ما لا يقدرون عليه، يقولون كثيراً حتى اضطر عبد المحسن السعدون للانتحار تخلصاً من الإنكليز واتهام أهل العراق له بالخيانة لأنهم يريدون الاستقلال التام وليس لهم مقومات الدولة الجديدة إنما هي ولاية مفككة الروابط متمزقة الجنبات لم يكن فيها نظام إداري أو هيكل سياسي أو اقتصاد متين، والملك فيصل يبذل جهده بين هاتين القوتين العارمتين لخلق مقومات دولة لها كيان سياسي وإداري واقتصادي. جاء العراق فوجد شعباً جاهلاً يعيش على أساطير وخرافات وتقاليد بالية وليس لهم من الدين إلا مظاهره وشعائر دون عمق روحي وفهم لهذا الدين الذي لم يرق للرصافي حال المسلمين لأنه يعرفهم معرفة عميقة فقد درس في المسجد واختلط

بالناس في الصلاة وفي الشارع وساءه هذا الحال فإن المسلم يصلي ويصوم ويحج دون أن يتأثر سلوكه الفردي وحياته الاجتماعية بتعاليم الدين فهو يسمع الخطب في المساجد التي تحث إلى الصدق ومساعدة أخيه المسلم وأن يكون صادق القول أميناً وينسى كل ذلك عندما يخرج من المسجد بعد الصلاة -وكان أكثر العراقيين لا يصلون ولا يصومون شهر رمضان- ولا يؤثر فيهم الوازع الديني، فالعراقي يغش ويكذب ويغتاب.

وقد وجدت بعضهم في الوطن العربي ممن يصر على مخالفة الدين ويرتكب الخطايا ويقول إن الله يغفر عندما أحج وأعتمر. فلم يعد الدين مغلفاً في التقوى فضاعفت الوحدة الخلقية بين الواقع والدين الإسلامي عند العراقيين الذين لا يعرفون من الدين إلا الاسم دون أن يلتزموا بالتعاليم العالية في حياتهم اليومية كالصدق والحب ومؤازرة الضعيف وإكرام المحتاج والفقير ومساعدة كل ذي حاجة.

ومع معرفة الرصافي بالملك فيصل وما يقاسيه في رفع مستوى المجتمع العراقي المتأخر فقد تجنى عليه وأنكر جهوده الكبيرة وسعيه المستمر في سبيل الشعب العراقي وتقدمه عندما صوره بأنه إنسان لا يعمل وليس له من هدف غير تسلم الراتب شهرياً واتهمه بإخلاصه بصورة مؤلمة.

ثانياً: كان جواب الرصافي للملك حاداً ومؤلماً فهو اتهام واضح وإصرار على الاتهام بينما كان الملك يعاتبه برقة، والعتاب فرصة إلى مسح الآلام من النفوس، ولكن إصرار الرصافي على عدم المصالحة أبعده عن قصد الملك فيصل في محاولته إرضاء الشاعر والتقرب منه.

ثالثا: إن حرص الملك فيصل على اللقاء الفردي قصد الملك فيه عدم إَحراج الشاعر وليكون اللقاء بسيطاً وهادئاً ومنفرداً في غرفة فيها منضدة وكرسيان، فهي غرفة بسيطة ليس فيها الرياش الفاخر والأثاث المترف. وهذه البساطة كانت تشمل حياة الملك والأسرة المالكة حتى نهاية حياتهم في العراق فلم يشيدوا القصور ولم يعيشوا في ترف طوال حياتهم. وقد سكن الملك فيصل بيوت العراقيين القديمة مثل قصر شعشوع وانتقل إلى بناية قديمة كانت من بنايات العهد العثماني بعد ذلك.

وكان حرياً بالشاعر اغتنام هذا اللقاء والتقرب منه بالاعتذار الذي كان فيصل يريده، وقد نسيه الملك ونسي هجاءه المقذع له ولوالده مع أنه تقرب من مَنْ هم أقل شأناً ومنزلة من الملك، بل إنه مدح هربرت صموئيل المندوب السامي اليهودي في فلسطين عندما حضر دعوة راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس عندما قال:

خطاب يهودا قد دعانا إلى الفكر
وذكرنا ما نحن منه على ذكر
لدى محفل في القدس بالقوم حافل
تبوأ هربر صمونيل في الصدر
قاموا وفي ليل المحاق اجتماعهم
يحفون من هربر صمنيل بالبدر

فهل نسي الرصافي لماذا أرسل هذا المندوب السامي؟

ومن القصيدة:

ولسنا كما قال الألى يتهموننا
نعادي إسرائيل في السر والجهر

فكيف وهم أعمامنا وإليهم
يمت باسماعيل قدما بنو فهر
هما من ذوي القربى ومن كفنيهما
دليل على صدق القرابة في النجر

وجعل لقاء هربرت في الأيام مثل ليلة القدر:

فيا ليلة كادت وقد جل قدرها
تكون على علاتها ليلة القدر

كما مدح كثيراً من المحسنين مثل رئيس عشيرة الداينية فقال عنه:

أسد نمته لآل قيس في العلا
آيات مجد ليس بالمكذوب
فخر الكرام على المكارم والندى
قامت دعائم بيته المضروب

حتى الوزراء ووجهاء البلد لا يمكن أن يصلوا إلى مكانة فيصل، إنه ملك البلاد وهو الذي يمنح رضاه عليهم. فقد مدح نوري السعيد، ومدح عبد المحسن السعدون بعدة قصائد حياً وميتاً، ومدح آل الجميل ومدح الأمير خزعل إضافة إلى عدد من الأدباء والكتاب.

ومدح «راقم» وهو موظف في الدولة، فقال بمبالغة ممجوجة:

أقم في الأرض صرحاً من ضياء
بحيث يمس كرسي السماء
وبعد فجسَّم العرفان شخصاً
تردى المجد فضفاض الرداء
أيا يا كعبة الفضلاء يا مَنْ
فضائله عظمى بلا انتهاء

ومدح عبد اللطيف المنديل أكثر من مرة، فقال:

عـــبـــد اللطيف بفـــضله جـــعل الورى
أســــــرى مكـارم أســـــرة المنـديـل

ورث المكـارم عـن أبيـــــه وجـــــده
فـــبنـى أثيل المجــــد فـــوق أثـيل

كما مدح طفله عندما طلب منه المستر متن ذلك:

نجل عــــبــــد اللطيف وهو نجـــيب
كـــيف لا يظهـــر النجــابة طفـــلا(٧)

والرصافي كان يذهب إليه إلى البصرة من أجل عطاياه ومنحه بعد أن كان عبد المحسن السعدون يرعاه ويرفده:

أبا مـــاجـــد إني رأيتك مـــبـــصـــراً
خــفــايا أمــور أعــجــزت كل مــبــصــر

فــهل أخــفــيت حــالي عليك وقــد بدا
لكل صـــديق أنهـــا حـــال مـــقـــتـــر

أتيـــتك من بغـــداد لم أدر مـــا الذي
أتـى بي إلا أنــني فـي تحـــــــيـــــــر

وأحـــمل في جنبي نفـــســـاً غنيـــة
وإن شــقــيت مني بجــثــمــان مــعــسـر

ولـو كـنـت في بـغـــــــداد أرضى بـذلـة
لما جـئت إلا ســاحــبــاً فــضل مــئــزري

ومـــا عـــدل الســـعـــدون بي عن وفـــاته
ولكن جـرى مـجـرى القـضــاء والمقـدر

ولـو أنـــني بـعـت الـثـنـاء بـنـائـل

لما رضـيـت نفـسي بغـيـرك مـشـتـري

وقد مدح آل الجميل بقصيدة تجلى فيها التناقض، فهو يطلب المال لأنه عزيز النفس وهل يطلب الرفد إلا من الذلة، قال في القصيدة:

آل الجـمـيـل ســرور كل حـــزين

لهف اليـــتـــيم وملجـــأ المسكين

ويقول للممدوح:

يا ابن الأكـــارم قـــد دعـــوتك ظامـــئـــاً

ظمـــأ الحـــيـــاة فـــجِـــدْ بما يرويني

وأنا العليل بحـــاجـــة تدري بهـــا

وأظن فـــضلك ناجـــمـــاً يشـــفـــيني

فـــأرش جناحي كي أطيـــر بريشـــه

فـــيكون ظني في نداك يقـــيـــني

يقف الدارس مع ذكريات الشاعر وحياته المتناقضة في استغراب، ولكن دارس علم النفس يعرف أن الإنسان العاطفي يكون كسلان الطبع اتكالياً رغم ذكائه الواسع. جاء إلى العراق وكان في الأستانة نائباً وموظفاً تأتيه الأموال هنية سهلة، فوجد العراق في حركة دائبة واستعجال في سبيل تكوين الدولة الجديدة، ولكنه لم يندمج في هذه الحركة لذلك لم يجد الأمور ميسرة له. انكفأ على نفسه وصاحب الخمرة ولعب القمار لأنه يريد أن ينسى، وهذه الصراحة هي التي دعته للحديث عن الحسناء الأرمنية.

رابعاً: ما كان الرصافي مجاملاً في اللقاء وكان حرياً به أن يرقَّ في الرد أو يلين في القول وأن لا يخرج عن المجاملة الاجتماعية فيخرج

بصورة سريعة، فالملك أراد الصلح ولكن الرصافي غلبه حب الذات والاعتداد بالنفس فخرج على ما ألفه الناس من مواقف العتاب وكان جوابه تحدي المعاتب والإساءة إليه عندما قال له:

بأنه «ليس له مطمح في مقامه»، فهل يجوز له أن يعد نفسه مساوياً للفيصل؟ إن الحسد أثر في نفسه عندما أحبط في حياته، ورأى الحفاوة الكبيرة لفيصل والإهمال الذي يعانيه نفسياً. لم يقدر التخلص من اللاشعور الذي كمن في ذاته وحقده على فيصل مركزه، لأنه عصبي النفس والعصبي لا يرى إلا نفسه. ولأن الدولة الجديدة لم تعطه ما أعطاه له الاتحاد والترقي وطلعت باشا، لذلك آزر الاتحاد والترقي وهاجم السلطان عبد الحميد والحركة التي أرادت مساندة السلطان وسمّاها الحركة الرجعية.

عندما زحف جيش سلانيك إلى الأستانة بقيادة محمود شوكة، لقمع الحركة الرجعية التي حدثت في ٢١ مارس ١٩٠٨ فآزر الجيش بقصيدة طويلة، فقال عن رجال الجيش الذي قضى على الحكم العثماني:

وثاروا من مرابضهم أسودا
بصوت الاتحاد مزمجرينا

وهاجم الذين آزروا السلطان وحرّض عليهم بقوله:

ولا تبقوا الذين قد استبدوا
وراموا كيدنا وتخونونا
هم الأشرار باسم الدين قاموا
وعاثوا في المواطن مفسدينا
هوى عبد الحميد بها هويا
إلى درك الملوك المفسدينا

ثم نظم قصيدة أخرى بعد خلع السلطان عبد الحميد بحوالي الخمسين، شامتاً به وبقصر يلدز. ونظم ثالثة بعنوان تموز والحرية نال فيها من عبد الحميد.

إن الرصافي استولى عليه الكسل وذلك لطبعه العاطفي، وعاش في خياله المجنح بأنه شاعر وأن على الآخرين إمداده بالمساعدة. لا شك في أنه شاعر العراق، والشاعر متى تفرغ يبدع والأديب متى انصرف إلى أدبه جاء بالجديد المختار، ولكن الرصافي كان يهجو الآخرين ويسيء إلى رجال السلطة والحكم بكل جرأة، وكان الشعب يردد شعره ويعجبه لأن الشعب العراقي مجبول على كراهة الحكم. وكنا نحفظ شعره ونردده على كل شفة ولسان. ولم تكن السلطة تطمئن إليه لأنه جاهر بما لم يرضها خلقاً وعملاً وقولاً فرضي بالعطايا الصغيرة وأزور عن جاه السلطة.

آزر الملك فيصل الشعب العراقي والعلماء والقادة ورؤساء العشائر وبايعه الناس فكيف يريد الرصافي أن يقيس نفسه بالملك ذي الماضي العريق في سبيل خدمة بلده، بينما يستمر هو بالمعارضة والهجاء.

إن الذين كانوا يساعدونه مالياً باستمرار هم الأسر البغدادية أو من كان معه في الأستانة، وقلما كان أفراد الشعب يقدمون له هبة أو هدية لها قيمة، إلا أنه كان يذهب إلى البصرة ويطلب من آل المنديل عطاياهم.

الملك فيصل أعلى منزلة اجتماعياً ونسباً وفضلاً، فكيف يقيس عليه نفسه وهو لا يملك المقومات الكبيرة التي حازها الملك فيصل وليس له سند من أسرة مرموقة يستند إليها أو عشيرة يعتمد على قوتها أو تيار سياسي أو اجتماعي يشد أزره، وإن الذين كانوا يريدونه أداة لهم مثل طالب النقيب فقد نفي وانتهى دوره ولم ينل الرصافي شيئاً غير التهمة بأنه ضد الوضع القائم.

خامساً: قال الرصافي إن الملك لا يريد المفاهمة. فلو كان لا يريد المفاهمة لماذا أرسل عليه وعاتبه بصورة سرية وقد أذاع هو الخبر بين الناس وعرّف الكبير والصغير حتى يظهر بدور البطل الذي تحدى السلطة ويغطي على عقدة حب السلطة والشعور بالنقص. وزاد الطين بلة بتصرفاته التي تحدث بها، فنحن لا نعرف ما دار بينه وبين الملك فيصل ولم يرد ذلك إلا على لسان الرصافي. فقد جلس دون استئذان وقام وترك المجلس وأشار بيده علامة الانصراف، والمجاملة تقتضي الاستئذان. فهل هذه التصرفات تليق بإنسان ذهب لزيارة صديق له أو أحد معارفه، وهل يليق به وقد عرف المجاملات مع طلعت باشا وآل مراد بك وهم شديدو الحرص على الآداب العامة في الحديث والتعامل حتى مع أبنائهم؟ أيجوز أن يلوح بيده يذهب وهو في ساعة عتاب ومحاورة مع الملك؟

من حديث الرصافي يظهر أنه خسر المعركة فقد أسكته الملك، ولما أخفق ولم يجد جواباً ترك المجلس. إن الرصافي ينعي عن الوزراء مناصبهم فكيف لا يحسد الملك فيصل بعد أن أهمل شأنه ولم يعطه ما يريد من وظيفة محترمة، ولكنه لم يثبت في الوظائف التي أعطيت له شأن الإنسان العاطفي الذي يريد أسهل الأمور بأسهل الطرق.

ومدح السلطان عبد المجيد وأجازه بساعة ذهبية. أليس الملك فيصل أولى بالمديح من عبد المجيد وهو لعبة جمعية الاتحاد والترقي؟

إن هجاءه المستمر للسلطة والوزارة وأعضاء البرلمان ينفس به عن ألمه الداخلي وهو ينفس عن آلام الشعب العراقي، الذي احتك مباشرة بسلطة قوية مقارنة بالسلطة العثمانية وهذا ما جعله محبوباً لدى الجمهور وحفظ شعره. ولكن هل مد الشعب يده إليه؟ القلوب معه والفلوس بالجيوب.

إنه تعويض عن الإهمال والإحباط النفسي، فعندما قربه طلعت باشا هجا الإتلافيين وهم ضد التتريك والاستبداد وضد الاتحاد والترقي، فقال عندما سقطت وزارتهم وجاء أحمد مختار باشا للوزارة، واتهم هؤلاء بأنهم لا يخدمون البلاد إنما جاؤوا من أجل المناصب، قال:

وما اختلفوا لمصلحة ولكن
ليأكل أقوياؤهم الضعافا
هو الدينار منية كل راج
وبغية كل من دأب احترافا
تحج لأجله بيت المخازي
وتكثر حول كعبته الطوافا
لقد خطأت من راموا «اتحادا
فما صوبت من راموا ائتلافا»
فكن منهم على طرف بعيد
وحاذر أن تكون له مضافا

ولكنه بقي في الاتحاد والترقي حتى آخر أيامه.

وقد بقي الرصافي على كراهته اللاشعورية للملك حتى موته مع أن العالم العربي اهتز لموته وكثر الشعر في تأبينه ورثائه، فموت فيصل أزاح من نفسه بعض الموجدة فقد قدم التهاني في القصيدة التي نظمها في الرثاء وهو انعكاس لاشعوري ظهر في القصيدة التي قال فيها:

أبو غازي قضى وأقيم غازي
فقدمنا التهاني والتعازي

وليمعن القارئ في البيت فليس فيه من الإبداع شيء. إنه بيت

أقرب إلى النثر وكأنه يحكي حكاية. وكلمة «قضى» فيها راحة نفسية لاشعورية، وكان حرياً بالشاعر أن يقول فقدمنا التعازي والتهاني والقافية أجمل وقعاً من حرف الزاي وإن دلت على سعة عقله وكثرة ما يحفظ لأن القافية ليست سهلة وقد ركبها الشاعر بيسر وسهولة، لكن الصنعة والتعمل واضحان في القصيدة، وقدم السرور والابتهاج على الحزن وليس فيها صدق العاطفة ورقة الرثاء، فقال:

غداة قلوبنا امتلأت سرورا
وحزناً يجريان على التوازي

فهن بعاملي فرح وحزن
خوافق في جوانحنا توازي

فكن من ابتهاج في هدوء
وكن من اهتياج في اهتزاز

ولم يظهر هو حزنه وألمه عليه وإنما قال العراق: إن لأهل الرافدين إليك حزناً، ولم تكن القصيدة موحدة الموضوع إنما أدخل فيها أخرى. وتظهر التقريرية والصنعة في القصيدة، فقد قال:

حللت من العراق وأنت ركز
بحيث الأرض جيدة الركاز

فحل اليمن مذ حللت فيه
وقبلاً كان عنه ذا انحياز

ولم يمدح الملك غازي وختمها ببيت أشبه بالنثر، فقال:

أفيصل نم بقبرك مستريحا
فإن الملك بعدك غازي

صراحة الشاعر:

إن المجلس الخاص الذي كان يحضره الكاتب وكثرة التردد عليه رفع بين الاثنين المجاملة وأصبح صديقاً مقرباً له، لهذا وجدناه يتحدث إليه بصراحة تامة، فقد سرد قصة إعجابه بالحسناء الأرمنية وما قاساه من أجلها واهتمامه بأمها حتى جلب لها التبغ من بغداد وزاد في أجرة سائق العربة ليصل إليها سريعاً. ولما لم يجدها قضى حاجته مع أخرى قبيحة وأخذ التبغ وعاد أدراجه.

إن الدارس لحياته يلاحظ التغير الكبير الذي طرأ على سلوكه بعد أن ترك العراق وزار استانبول والقدس والقاهرة، فقد كان أكثر اتزاناً نفسياً وهدوءاً روحياً. لكن التأزم الروحي والسلبية والقلق في تصرفاته العامة ظهرت عليه بعد عودته إلى بغداد، فانصرف إلى نفسه وإلى الخمرة يسلي بها حاله فقد رآها تفقد الإنسان عقله فيرتاح في شربها يريد أن ينسى ما حاق به في العهد الجديد والدولة الحديثة. واتخذ الفلوجة مكاناً للابتعاد عن بغداد وانصرف إلى كتابة «الشخصية المحمودية» لإظهار قوته الفكرية ورأيه الذي لا يتفق معه المفكرون المعاصرون. وقد بقي الكتاب مخطوطاً زمناً طويلاً حتى طبع في كولون أخيراً. فهو سلوك تعويضي ورد فعل نفسي عميق الجذور، أراد إبراز قدرته العقلية وذكائه الواسع لأنه لم يقدر على التوفيق والتكيف مع العالم الخارجي في بغداد فكان الاعتزال إحدى هذه النتائج لإخفاقه ولإبراز قدرته الفكرية. إنه إحباط من المجتمع وعزلة ذاتية. وقد استولى عليه الوسواس وكان يظن أن الذين يزورونه هم الذين يتجسسون عليه، وهو خوف لاشعوري ووسيلة دفاع عن الذات المغلقة العصبية أصيب بها

وغيره من المفكرين مثل فهمي المدرس وإبراهيم صالح شكر وغيرهم. إن هذه العزلة والانصراف إلى الذات هو احتجاج لاشعوري على الحياة العامة والسلطة السياسية ورجالها. وكان رد الفعل كثرة السخرية من رجال السلطة وعلى رأسهم الملك فيصل الأول.

إنه يعرف أن القوة بيد الإنكليز وهو الذي ذهب إلى مس بيل التي كانت تسمّى «الخاتون» وشكا إليها وطلب منها عملاً وأعانته. فالعزلة في الفلوجة والتأليف راحة نفسية يرد بها ما انعكس في اللاشعور من إهمال رسمي.

والرصافي يمثل في شعره الفرد العراقي الأصيل الثائر على كل سلطة والذي يكره الحكام طول حياته، الذين لم يتركوا له مجالاً لإبداء الرأي والمشاركة الجادة في إدارة شؤون البلد. وما الشاعر وما المثقف إلا إنسان يريد أن يجد لنفسه مكاناً في إدارة البلد، وأصبح المتكلم الذكي القوي غريباً على العراق.

ولعل اختلاف الأصول العرقية وتباين الثقافات المنحدرة من أمم مختلفة سبب ذلك. ولعل اختلاف التيارات الفكرية من دينية وقومية ويسارية وإلحادية حيرت المثقف العراقي. فإذا صبَّ الرصافي نقمته على الحكام فهو يمثل بصدق شعور العراقي الذي كان يرى الحكم بيد الإنكليز الذين نصبوا حكماً جديداً فيه مظاهر الحكم الديمقراطي ولكن ليس له يد فيها، فقال الرصافي:

علمٌ ودستورٌ ومجلسُ أمةٍ
كلٌ عن المعنى الصحيح محرَّفُ
أسماء ليس لنا سوى ألفاظِها
أما معانيها فليست تُعرفُ

وجـهـان فـيـهـا باطن مـتـسـتـر
لـلأجـنـبـي وظـاهـر مـتـكـشـف

ويسخر من الوزراء فيقول:

إن ديـك الـدهـر قـد بـاض بـبـغـداد وزارة
ووزيـر مـلـحـق كـالـذ
يـل في عـجـز حـمـاره
وهـو لا يمـلـك أمـرا
غـيـر كـرسـي الـوزارة

إن الرصافي قال بصراحة بأن الحكم للإنكليز وما الملك فيصل إلا آلة بيدهم، عندما قال:

ولـيـس لـه مـن أمـره غـيـر أنه
يـعـدد أيامـاً ويقـبض راتبـا

وقفة تأمل:

عاصرت الحكم الملكي وعاش معي جيل كبير وعرفنا حلو العيش في ظلاله ومره. كنا ثائرين وكنا متبرمين واتحدنا على إسقاط ذلك الحكم صغاراً وكباراً وفرحنا بزواله، فهل جاء أهل العراق بحكم أحسن منه؟ وهل تمتع الشعب بالحرية ورفاهية العيش مع ما يملك من منوعات فكرية وسند مالي كبير؟ جاء القوميون وجاء اليساريون وجاء غيرهم فماذا كانت النتيجة؟

قتل الحاكمون بعضهم بعضاً وفتكوا بأقرب الناس إليهم وتآمر أصحاب السلطة على إخوانهم الذين تربطهم رابطة الدم والعشيرة والدين

وخانوا إخوانهم وأبناء شعبهم وحنثوا بالأيمان وبالقرآن الكريم وذاق الشعب مرارة هذه الإثرة وحب الذات.

مازلت في حيرة من اختلاف أهل العراق وحب الذات المركز يقابله الكرم والفضل والتضحية، فهل كل أهل العراق لهم الميزات ذاتها ؟ إنه رد فعل للمبالغة في الحب والكراهية.

العراق قديم العهد وجوداً، سكنه الآشوريون والكلدانيون ثم مرت به أقوام عدة مثل اليونان والفرس والترك وتركت كل الأقوام أبناءها فيه، وجاءه العرب قبل الإسلام طلباً للخصب والكلأ والماء وهرباً من مَحل الصحراء فكانت «الحيرة» مركزاً مهماً فيه ثم كانت هزة سقوط بغداد وجاء العثمانيون وانقسمت الدولة إلى دول ومماليك، وكانت الحروب والطواعين والأمراض تفتك فيهم والجوع والمرض لا يفارقهم. وقد تكوَّن الشعب العراقي من ثقافات متعددة وأقوام متباينة، فهل اختلاف الأصول وتعدد الثقافات أم كثرة الحكام الجائرين هو الذي صبغ العراقي بصبغة الإثرة وحب الناس فقال: «كل واحد يحود النار إلى قرصته».

الهوامش:

١- الماسونية ، عقدة المولد وعار النهاية . . . محمود ثابت الشاذلي- مكتبة وهبة/ القاهرة ، ص ٢٥٠ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ص٢٥٤ .

٣- المصدر السابق ص٢٥٧ و٢٦٠ . وكذلك ص٢٦٤ .

٤- فصلت ذلك في كتابي «الشعر العراقي الحديث» .

٥- كتب إلى أحمد زكي باشا يطلب عملاً الرصافي فرحب به ووجد له عملاً في مصر وطلب من عوني عبد الهادي إرساله فوراً لأنه لديه عمل للرصافي/ رسالة عوني عبد الهادي مؤرخة في ٤ نيسان ١٩٢٢ . لاحظ رسائل الرصافي التي نشرها عبد الحميد الرشودي في المورد سنة ١٩٥٠ .

٦- جريدة دجلة ، العدد ١٤ تموز ١٩٢١ صاحبها داود السعدي .

٧- هو ابن عبد اللطيف المنديل . الديوان ، ص ٥٠٥ و٥١٧ .

هذه الأحاديث

رحم الله الصديق عبد الرحمن الخضير فقد كان بيته مثابة لنا نسمر فيه في كثير من الأحيان وتوثقت الصداقة لما امتاز به من خلق رضي وفضل، حتى أنه صحبني إلى القاهرة عندما كنت أحاضر في معهد الدراسات والبحوث العربية التابع للجامعة العربية وسكنا معاً في الزمالك.

وكان يحدثني عن صديقه خالد حافظ وأنه يدوِّن مذكرات الرصافي منذ أن كان حاكماً في الفلوجة... ومضت الأيام، وفي إحدى زياراتي له وبعد وفاة الأستاذ خالد حافظ رحمه الله، جاءني بملف في غلاف كبير وأخرج منه مخطوطاً وقال هذه تهمني لأنها قضايا قانونية ثم أعطاني الغلاف والأوراق وقال إنها تهمك، وقلبت الأوراق فوجدتها بخط خالد حافظ وقد كتبت على أوراق متفرقة دون ترتيب فأخذتها إلى مكتبتي وقرأت محتوياتها سريعاً حتى أعود إليها. ولكن حكمت علينا الظروف بما لا قبل لنا على ردها، وذهبت إلى جامعة الرياض منتدباً وأجلت الأوراق حتى العودة إلى العراق. وطالت السفرة وجاوزت العشرين سنة وإن تقدم العمر ودبيب المرض في الجسم اضطراني بحزن على الاعتذار عن تجديد العقد مع كلية التربية في الطائف واستئناف الحياة في «ويلز»

حيث يسكن أحد أبنائي الدكتور موئل، بحكم عمله في جامعة في إحدى قرى ويلز، المسماة «خلانة بذر».

وفي هذا العام ذهب إلى بغداد وكان يعرف شدة أسفي لتركي تلك الأوراق، فبذل جهداً كبيراً في البحث عنها في مكتبة أهملت أكثر من نصف قرن ووفق في العثور عليها وجاءني بها فشكرت سعيه وجهده وما كابد من أجلها وبحث.

كانت مكتوبة على ورق خفيف وقد جارت عليها الأعوام وذهب كثير من الكتابة وأصبح من الصعوبة قراءة المحتويات. ولكني عكفت عليها حتى قدرت على ترتيب الأوراق وحاولت أن تكون متتالية واصطدمت بأن الكاتب رحمه الله كان يكتب الحديث مرتين أو أكثر، واجتزت الصعوبة بكثرة المراجعة وإعادة القراءة.

كتبت أكثر من مقدمة لهذه المذكرات فجمعت آراءه التي قدرت على تنسيقها، وبعد أن رضيت عن التسلسل الفكري والتبويب العلمي أخذت في تصنيف المقدمة وقد تمكنت أن أعطي القارئ فكرة واضحة عن المسودات. إن كاتب هذه المذكرات سمّاها مرة سيرة الرصافي ومرة حياة الرصافي وأخرى سمّاها الرصافي.

بدأ الكاتب يتحدث عن بداية التعرف على الرصافي عندما كان تلميذاً في مدرسة القديس يوسف الابتدائية، فقد كان كتاب القراءة فيه قصيدة للرصافي مطلعها:

وهي الأخــــلاق تنبت كـــــالنبـــــات
إذا ســــقـــيت بماء المكرمـــــات

وكان يسمع بالرصافي واختلاف الآراء فيه ما بين معجب به وبين

من يقول إنه ملحد ومارق عن الدين. وتزداد معرفته بالشاعر عندما استمع إليه في تأبين أحمد شوقي في بناية سينما الوطني وأخرى في وضع حجر الأساس في مدرسة التفيض بالعاقولية وشاهده في رثاء السعدون في جامع الكيلاني وكان يراه كل يوم مع الثعالبي في قهوة محلة «البقجة» في مدخل وزارة الدفاع القديم وكان يرى الناس وهم ملتفون حوله. وتوارى الشاعر عن المجتمع وانقطع خبره من الجرائد ولم يكن يعرف هل هو حي أم ميت.

وقد تخرج الكاتب من كلية الحقوق وعمل حاكماً في محكمة الصلح في الفلوجة سنة ١٩٣٨، وزار الرصافي في داره التي تقع على ضفة نهر الفرات العائدة للأسرة المعروفة «آل عريم»، وكان يزوره يومياً عصراً.

وأصبح صديقاً له ووثق به الشاعر وأحبه وكان يبادله الزيارة. ووصف أثاث الدار بأنها بسيطة ومتواضعة.

قال عن صفاته:

إنه حاد الطبع عصبي المزاج يتأثر بسرعة ولا بد لمن يعاشره الابتعاد عما يثيره وإنه «ما عدا ذلك فالرجل في غاية الرقة وحسن المعاشرة وخفة الروح ومحبة الصديق».

وقد عاشره سبعة أعوام ولازمه حتى بعد عودته إلى بغداد وكان شديد الإعجاب بالشاعر وقال «وإن أنسى فلا أنسى الدرس الثمين الذي تعلمته من هذا البطل كيف يكون إخلاص المجاهدين في سبيل العقيدة والوطن».

واقترح عليه أحد الكتاب تدوين الأحاديث التي يدلي بها الرصافي فراقت له الفكرة ونفذها، وكان يغتنم حضور مجلسه ويجمع من أقواله

كل ما يريد ويستطرد معه في الحديث وقال: «وعند رجوعي إلى البيت أبادر بتدوينه كما حفظته الذاكرة. وكنت في سياق الحديث أستوضح منه الأمر فيجيب عن السؤال، لذلك فإن ما أرويه هو صورة طبق الأصل لحديثه. وإني كنت أميناً مخلصاً فيما جمعته وصادقاً فيما رويت». وبقي الكاتب في الفلوجة ثلاث سنوات حتى دعي إلى دورة ضباط الاحتياط في أواخر سنة ١٩٤٠. ولما حدثت حركة ١٩٤١ ذهب الرصافي إلى بغداد ونزل ضيفاً على خيري الهنداوي في الأعظمية حتى استأجر داراً وسكن مع ربيبه عبد بن صالح. ولم ينقطع عن زيارته بعد أن عين حاكم تحقيق الكرخ حتى وفاته صباح يوم الجمعة ١٧ آذار ١٩٤٥.

رأيه في الرصافي:

كان الأستاذ مثالاً للخلق العربي الأصيل تجمعت فيه من مزايا هذا الخلق ما لم يتجمع في غيره من رجالات هذا العصر إلا عند النزر القليل في البلاد العربية قاطبة، فهو صادق في حديثه إذا حدّث لا يخاتل ولا يداهن، صريح في قوله لا يبهم ولا يوارب، رؤوف بالفقراء محب للخير آمر بالمعروف، أبي لا يقبل الضيم ويفضل الحرمان على العافية والمنية على الدنية، مسلماً وطنياً يعبد الله وحده لا شريك له ويفدي الوطن، قضى حياته وهو يتألم لحال الإسلام والمسلمين ينتقدهم ويتوجع لحال العرب فيستنفرهم ويشيد بما لهم من مجد تليد وطارف. قارع البغاة والطغاة من ولاة الأمر الجائرين بلا لين وهوادة. وهذا ديوانه مشحون بالشواهد على ذلك، فلم تكن المادة تغريه ولا تثنيه عن عزمه كما كانت تغري غيره من عبدة المال والمتاع، ولا كان الجاه يستهويه ويبهره كما كان

يستـهوي ويبهـر غيره من صغـار النفوس التـافهين. لأن سعـادة الدنيـا وبؤسها عنده سيان كما يقول.

عـاب بعضهم على الرصافي صراحتـه المتجردة في جميع أقواله لأنه كان يتصرف في حياته على الطبيعة فلا يخفي عملاً يعمله ولا يكتم رأياً يعتـقده ولا يداهن شخصـاً يكرهه. تتسق أعماله وتصرفاته وأقـواله مع طبيعته الذاتية سواء رضي الناس عنه أو سخطوا طالما يعمل ذلك ويعتـقد أنه من اختصاص شخصه لا يتعدى أثره لغيره، وهذا في رأي المتنفذين سلوك نابٍ يتنافى مع مـا يجب أن يدرج عليـه رجل يدعـو إلى الإصـلاح وواجب عليه مراعاة العادات والعرف في المجتمع الذي نعيش فيه.

وهذا الاعـتـقـاد عندي في غـاية الغـرابة لأن المصلح إنما يدعـو إلى الانعتـاق من حكم العـادة والانطلاق من قيود الخرافة، لأنه يعتـقد بأنها من أسبـاب التـأخر والجهل ولذا قـام بـالدعوة، فـلا يكون معقولاً أن يراد منه أن يحترمها ويقدسهـا ولا يدعو للخروج عليها وإن لا يسفه أحلام المتـمسكين بها. فـمجاهرة الرصـافي بآرائه الجريئـة في أسبـاب تأخـرنا والحمل على العـادات النابيـة والتعـاليم الفاسدة أمر طبيـعي من أمثـاله الداعين إلى الإصلاح والتجديد، فليس في تصرفه افتئات ولا تجني.

وعـاب عليـه بعضـهم انغماسـه في شرب الخمرة وعدم تستره في مـجـونه. كـان الرجل يلهـو عـلانيـة على رؤوس الأشـهـاد بلا أدب ولا احتشـام. فـالرصافي كـان خارج بيته، كمـا يشـهد بذلك خصومه، رجلاً اجتـماعياً من الطراز الأول، مؤدباً عـالماً فـاضلاً خجولاً ليس في سلوكـه ولا تصرفـه أي مغـمـز. وبعـد ذلك مـا أضرّ الناس إذا تحرر داخل بيتـه وصومعـتـه وبين جدرانهـا وهي قلعتـه، من أعبـاء الحيـاة ومرارة العيش

وقيود المجتمع التي يضيق بها ذرعاً، يطلق لنفسه العنان من قيودها داخل بيته ومسكنه، وهل في هذا إعلان أو إظهار أو خروج عن دواعي التخفي والتستر؟

ولكن بعض أراذل الناس كان يقتحم عليه مسكنه والرجل يقبلهم لرقته فيشركهم في لهوه ومرحه ويسقيهم من كأسه ويقاسمهم في طعامه ولا يحفظون له سراً ولا يسترون له عورة، بل بعكس ذلك يكشفون عن أسرار مجلسه ويفضحون ما خفي من أقواله ثم يدعون بأن الرصافي كان ماجناً فاسقاً لأنه قبلهم وضيّفهم واطلعوا بذلك على ما خفي من أمره. وكلهم إذا اختلوا إلى شياطينهم فعلوا أكثر من ذلك، كما استغل أعداؤه اطلاع بعضهم على خصوصياته للتشهير به ورميه بالويل والثبور وعظائم الأمور إما للتشفي لمرض في قلوبهم أو للتقرب من سادتهم والزلفى إليهم. وسادتهم كما يعلم الجميع في درك دون مستوى الرصافي في مباذله انحطاطاً وتفسخاً وانحلالاً.

هذه الشرذمة أشباه الرجال المتفسخة أخلاقهم والمنحلة خلقاً كانت تتجسس على الرصافي فتأتي مجلسه وتلهو بخمرته وتأكل طعامه وتمتع نفسها في مجلس سمره وأنسه وتتمرغ عند أقدامه ثم تلعنه وتسبه وتسود صفحة الرجل.

ويكفي المرء أن يعرف أن هؤلاء الأوباش كانوا في مجلس الرصافي ويشاركونه في أنسه ومرحه وكان بعضهم يشترك في الغناء والعزف له. فإذا كانوا لا يشاركون الرصافي عمله ويستهجنونه فلِمَ قاسموه فيه، فهم شركاؤه وحلفاؤه على الفاحشة إن أجزنا لأنفسنا هذا التعبير، وشهادتهم في هذا الخصوص غير مقبولة لأن لا شهادة لفاجر. وإذا

سمحنا لأنفسنا في هذا المجال أن نكون محكمين محايدين فإننا نوجه بعض العتاب واللوم على الأستاذ الرصافي لقبوله بعض هذه الحثالات من الناس في بيته لأن طبيعة نفسه وبراءتها يجب أن يكون لها حد.

ومع ذلك فإن ما يشنع به أعداء الرصافي عليه حتى ولو وضع بالشكل الذي وصموه به فإنه أتاه في شبابه وصباه، وللشباب حكمه. وقد ولت هذه الأعمال مع شباب الرصافي وقضى شيخوخة صالحة واعتزل العالم وما فيه وانعكف لخدمة بلاده ودينه، فلِمَ نحاسبه على فترة شبابه واتخاذها أساساً لمقاضاته والحكم عليه ومناصبته العداء؟ قاتل الله المآرب والغايات.

وأخيراً جزى الله الرصافي عن الإسلام والأمة العربية خير ما جوزي على مبرور عمله وتغمده بواسع رحمته ورضوانه...

هذا ما قدرت على ترتيبه من أوراقه المتعددة وهي تكاد تكون الآراء والأفكار التي قدمها كاتب السيرة مطابقة مطابقة تامة. ومن أوراق أخرى جمعت ما يلي:

«كان الأستاذ الرصافي عندما يخلو بنا المجلس ويتشعب الحديث صريحاً إلى أبعد حدود الصراحة يذكر الحوادث مفصلة على علاتها وحقيقتها المجردة بلا مواربة ولا تورية، فانتهزت مثل هذه المناسبات للحصول على ضالتي المنشودة وصرت أجمع منها عن الرصافي ومن أقواله كل ما أريده وأتوق إليه، ولهذا كنت عندما يجمعني مجلس منفرد أو عام به يستطرد الحديث إلى ما فيه ذكر أو خبر تعلق به أو بزمانه، أنتبه للحديث وعند رجوعي للبيت أبادر بتدوينه كما حفظته من الذاكرة وكنت في سياق الحديث أستوضح عن عدد من النقاط وأسجلها...

وقد أتفق مع الرصافي أو أخالفه في آرائه ومع ذلك أنقل الخبر والرأي على علاته».

وقال إنه حذف بعض الأخبار التي تتعلق بالأحياء والحوادث المثيرة التي لا مجال لسردها.

مذكرات الرواد

ليست هذه المرة الأولى التي تنشر فيها مذكرات الرصافي، فقد أملى علي السياسي المعروف كامل الجادرجي مذكراته، ونشرتها في كتابي «شعراء العراق في القرن العشرين» بعد أن نشرتها مجلة الثقافة الجديدة، وأعدت ما حذفته المجلة.

وقد كثرت المذكرات عند العرب ولكنهم لم يكونوا بصراحة الرصافي، فقد أظهروا بطولاتهم وتناسوا أخطاءهم عكس كتاب الغرب مثل «أندريه جيد» و«أوسكار وايلد» وما كتب عن «جان جينه» وما كتبته «سيمون دي بوفوار». بل ينسى بعضهم أعمال غيرهم، ففي سنة ١٩٤٨ قمنا في الإسكندرية بمظاهرة وألقي القبض على البعض وهرب البعض وسقطت أنا على أحجار البحر ولم أقدر أن أعود إلى الدار إلا بمساعدة الإخوان، ولما كتب زميل لنا عن هذه الحادثة نسي كل الطلاب في مذكراته وأبرز نفسه كما تناسى بأني كنت الذي ألقى كلمة في قصر عابدين نيابة عن الطلاب العرب.

وبقي الرصافي مع الاتحاد والترقي مع أن حركة التتريك كانت ضد العرب وكان معجباً بمصطفى كمال وأراد الذهاب في عهده إلى تركيا وقال عنه:

ســـــــمي المـصـطـفـى لازلـت تـعـلـو

إلـــى أوج يـــطـــاول كـــل أوج

وتخطب في الجـمـوع بيـوم حـفل كـمـا خطب النبي بيـوم حج

ولا تذكر أحاديثه هذه قضايا مفصلة عن المعاهدة التي عارضها، ولم يذكر سبب هذه المعارضة مع أن شعره قال فيه:

نشـــروا المعـــاهدة التي في طيـــهـــا

قـــيـــد يعض بـأرجل الآمـــال

قـد أبلغـونا حـبـة اسـتـعـبـادنا

لـكن مموهة بـالاســـتـــقـــلال

وكـان شعـره خير مـا ينفس به عن آمـاله وآمـال الشعب. ويلاحظ القارئ التناقض بين حيـاته وشعره، فقد كان يقبل الهبات ويطالب بالمال والملابس والرز من الأصدقـاء، ولو استـمـر في عـمل من الأعـمـال التي مارسها كالتدريس أو الإدارة كفاه العمل طلب المعروف. فقد قال يخاطب السعدون في قصيدة:

أعـــبـــد المحـــسن الســـعـــدون إني

أراك مـنـاط أســـبـــاب الرجـــاء

لـذلـك قـــــد أتـيـت إلـيـك أشـكـو

رثـاثـة بـزتـي وبـلـى كـــســـائـي

لقـــد رقت ثيـــابي اليـــوم حـــتى

تـكـاد تـذوب مـن مـس الـهـــواء

فـــإن لـم تـدرك الأيـام عـــمـــري

بقـــرب منك يا غـــمـــر الرداء

لبست قرار بيتي في نهاري
ولم أخلعه إلا في المساء

مع أنه يقول معتداً بنفسه:

وما ضرّ المهند فقد جفن
إذا ما كان محمود المضاء

والإنسان الكريم لا يطلب ولا يستجدي، فقد استجدى أمير المحمرة وآل الجميل وأناساً آخرين أقل مكانة منه وهو أمر لا يليق بإنسان عرف بالشهرة والمركز الكبير.

فقال لابن جميل:

يا بن الأكارم قد دعوتك ظامئاً
ظمأ الحياة فجد بما ترويني
وأنا العليل بحاجة تدري بها
وأظن فضلك ناجحاً يشفيني
فأرش جناحي كي أطير بريشه
فيكون ظني في نداك يقيني

فهو يقول بصراحة «جد وأرش وإن الندى يشفيني».

لم يسهم الرصافي في تكوين الدولة ولم يكن مع الصف العربي المناهض للتتريك، بل كان ضد الملك فيصل والدولة مع أن الشعراء مثل محمد رضا الشبيبي أسهموا في بناء الدولة والتيار الوطني.

وقد حدثني الشبيبي رحمه الله عن الصعوبات التي واجهها عندما أخذ العرائض من العراق عبر الصحارى ليوصلها إلى الحجاز.

ومع ذلك فقد صور الرصافي الاحتجاج والسخط والألم الذي كان

يعانيه الشعب من الاحتلال فأصبح يردد شعره في كل وقت، لأن الشعر كان هو المعبر عن الرغبات الكامنة وكان صناعة فنية رائجة لأنه تعبير وجداني عن المشكلات الجديدة في المجتمع العربي وتسجيل لانفعاله العاطفي وشجنه الداخلي. وأرضى شعر الرصافي وجدان الشعب وعاطفته.

وظهر في حياته التناقض في ديانته، فقد كان شديد التدين محافظاً على الفرائض عندما كان في العراق وترك كل ذلك وانغمر في أمور الحياة ولهوها بعد أن ذهب إلى الأستانة وانفتحت أمامه متع الحياة، بل هجا رجال الدين وشتمهم.

وبعد أن كان ذا صلة في المجتمع غدا انعزالياً في الفلوجة، قليل الصلة بالمفكرين والأدباء المعروفين في زمنه. وقد كانت له صلة بطه الراوي ظهرت في أبيات نشرها الأستاذ مير بصري.

وتجلى هذا التناقض القلق بعد أن فقد إثبات الذات الخاصة بعد عودته إلى العراق. ولعل من أهم هذا الإحساس بالإهمال عدم انتماء الرصافي إلى تيار واضح أو حزب من الأحزاب تسنده، مع أن أهل العراق لم يتركوه فقد كانت موارده المالية مستمرة ولكن إهماله دعاه إلى الشكوى. وكان نوري السعيد يسنده ويرسل إليه مقداراً من المال مع محمود السنوي لأن راتبه التقاعدي لا يسد مطالبه. ولم يفصل من الأعمال التي قام بها وكان محل الرعاية والعناية طوال العهد الملكي. وكان مظهر الشاوي يوليه بالعطايا الوفيرة.

يقول الأستاذ مير بصري: «وبالرغم من تنديده بالملك ووزرائه في عهد الانتداب فإنه لم يفصل من مناصبه الرسمية ولم يحرم من النيابة. وقيل إنه كان في خلال الحرب العالمية الثانية يبيع السكاير لسد رمقه.

وحقيقة الأمر إن راتبه التقاعدي والمخصصات السرية التي كانت تقدم له والإعانات السخية التي ترد من محبيه والمعجبين به كانت تزيد عن حاجة رجل فرد لم يعرف بالإفراط، ولولا أن خادمة «عبد» كان يستولي على ماله ويسطو على المآكل النفيسة التي تهدى إليه، لكان في سعة من المال. أما بيع السكاير فقد خصصت له الشركة كمية شهرية تباع مباشرة ويقدم فرق أثمانها للشاعر دون أن يشارك أو يجهد في البيع. وقد رتب له ذلك محامي الشركة أنور شاؤول».

الرصافي وابراهيم صالح شكر:

تحدث الرصافي عن الكراهية التي كانت بينه وبين إبراهيم صالح شكر وما كان من إعطاء نوري السعيد الوظيفة له بعد أن رفضها الرصافي.

ومَنْ تتبع جذور هذه الكراهية يجدها عميقة البعد. وقد شرحت موقف إبراهيم صالح شكر من الشاعر في كتابي «ابراهيم صالح شكر وجذور النثر الحديث في العراق» المطبوع في القاهرة سنة ١٩٧٥، والخلاصة:

تعود هذه الكراهية إلى الاختلاف الفكري والتباين السياسي بينهما، فقد كان الكاتب شديد العنف ضد الشاعر عندما أصدر جريدة «الناشئة» سنة ١٩٢٢ لأن إبراهيم كان من دعاة العربية في العهد العثماني وأصدر فيه عدداً من المجلات منها «المعارف» و«الرياحين» و«العهد العثماني» دفاعاً عن هذا التيار وضد الاتحاد والترقي فكان عقاب الكاتب النفي من بغداد إلى بلاد الأناضول مع اتهامه بالخيانة العظمى. وقد مكث في السجن أربعة أشهر لا يعرف مصيره ولا يسأل عنه أحد.

وقال عن حياته تلك أنه «أمضى الحياة جروحاً فائرة الدم وآلاماً طاغية عنيفة» حتى أنه عندما عاد إلى العراق بعد النفي المرير اعتزل الحياة وقضاها في محلة «قهوة شكر» لشدة ما قاساه وعاناه من النفي وآذاه من الإهانة والاتهام. وقد كان الرصافي في هذا العهد أحد أعضاء الاتحاد والترقي ونائباً في مجلس النواب العثماني «المبعوثان»، وقد هجا دعاة العربية أمرَّ الهجاء.

لذلك قال الكاتب عنه في «الناشئة» إنه يماشي السلطة في كل زمان ومكان فهو تركي مع الترك وعربي مع العرب و... وأجنبي مع الأجانب، وإنه مدح الطغاة وأصحاب المال وتسوَّل في شعره عندما أخذ من الشيخ خزعل ٤٠٠ روبية ومبلغاً من فخر الدين جميل وأخذ مئتي روبية لقاء رثاء شاب».

وانتقص الكاتب من شعر الرصافي وقال «إن شعره لا يسمو إلى شعراء مصر، ولا مزيّة له إلا أنه ينظم شعره في نهش الأعراض والاستجداء. وإنه وصف الكائنات وصفاً مكرراً في كل قصيدة من قصائده لعجزه عن ابتكار المعاني الجديدة ولفقر مادته الدماغية... وهو لا يعرف شيئاً غير الشعر فكتابته ركيكة مفعمة بالأغلاط الشنيعة وإنه صفر في العلوم لا يفقه في الأدب وتاريخه، فهو يجهل العقاد والمازني». وقد ذكر قصيدته الطائية التي ذم بها دعاة العربية وذكر قوله فيهم «واشطب عليهم بنعل أنهم غلط» وقال عنه إنه هاجي الأمة العربية وناهش عرضها[١]. وذكر قصيدته الميمية، قال «إنه غمس فيها يده بدماء الشهداء العرب وأوسعهم فاحش القول». وذكر هجاءه في ثورة الحسين في الحجاز كما لم ينس قصيدته البائية التي حيّا بها «أمين الريحاني» والتي عرّض فيها بالملك فيصل الأول.

هذه الجذور القديمة دعت إلى العنف والشطط ونسيان فضائل الرصافي ومواقفه السياسية ضد الاستعمار وما نظم من شعر في العرب والإسلام.

ولم يرد الرصافي إلا بهدوء وقال: «لم يجر بيني وبين هذا الرجل ما يدعو إلى هتك الأعراض وانتهاك الحرمات وخفر الذمم وترك الحياء إلى قول هراء، بل حتى أحس أنه من المتملقين إلي وكان يحترمني ويجلني بنفسه وبجريدته، غير أنه اتصل أخيراً برجال اشتروه بمال واستخدموه في محال فإذا هو مكشر عن أنياب لؤمه في وجهي، فعليّ للأدب أن لا أجاريه في سفاهته لعلمي أنه آلة صمّاء وأن قوماً آخرين أغروه وأسلوه علينا وما علموا أن المضرة الناشئة من شتائم «الناشئة» لا تخصني وحدي بل تعمهم وتعم المجتمع العراقي أجمع».

إنها معركة سياسية فكرية ذكرتها الصحف بتفصيل صوّر لنا حب العراقي للنقد والمعارك وما يعتمل في نفسه من تناقضات وما في داخله من كبت فكري وعناء روحي وصراع بين المثل والغايات والطموح الفردي الراسب في اللاشعور، وبه ينفِّس في نقد الآخرين ما يعانيه من حزن داخلي وكبت عميق الجذور في حنايا العراقي الذي كلّسته الأيام الطويلة من الحرمان وكبت الحريات. وما عنف الأديب العراقي إلا رد فعل من خوف عميق وحذر شديد.

الهوامش:

١- للتفصيل يراجع ابراهيم صالح شكر وجذور النثر في العراق . الكتاب ص ٩٢ وما بعدها .

الرصافي يتحدث

مولده ونسبه:

قال الرصافي:

ولدت في بغداد سنة ١٢٩٠ رومية وإن أبي يدعى عبد الغني بن عبد القادر بن محمود، وأمي تدعى فطومة بنت جاسم الشيخ علي.

وكان والدي عبد الغني بن عبد القادر يشتغل «جاندرمة» في الحكومة العثمانية برتبة «باش جاويش»، أي رئيس عرفاء وهو مولود في بلدة كركوك وفي الأصل من عشيرة الجباريين.

وعشيرة الجباريين عشيرة كردية تقع منازلها فيما بين كركوك وبلدة السليمانية، والجباريين قوم سادة برزنجية يلبسون العمائم الخضر شعار الهاشميين، فأنا سيد في الأصل من بني هاشم.

وعلى ذكر الجباريين نقول إن هناك عشائر عربية كثيرة في كردستان مستكردة منها:

١- الداجيين: وهم عرب فمنهم قسم في كردستان يتكلمون الكردية ولا يعرفون العربية وقسم في سامراء وفي لواء الدليم ويتكلمون العربية.

٢- الخوالد: وهم حمل عشيرة شمر جربة الآن ويستوطن كردستان منهم أقوام كثيرة والشارة العامة عند الطرفين (العركات) وهو الخشب الذي يحمل الدلو وشكله صليب متوازن.

٣- البرزنجية: وهم سادة من النعِيم يستوطنون كردستان ويتكلمون الكردية.

٤- العبيد: الذين يسكنون كركوك الآن مستكردين مع أنهم من صميم العبيد.

أما أمي فطومة بنت جاسم الشيخ علي، فهي من عشيرة القراغول. والقراغول بطن من عشيرة شمر طوكة. وهي أشجع بطن في شمر ومنازلهم قرب مدينة الكوت.

وكان جدي لأمي المدعو جاسم الشيخ علي غنّام، أي تاجر وجاني أغنام ويسكن في محلة القراغول في جانب الرصافة وفي بغداد، وكان رجلاً ورعاً تقياً صالحاً وصادف أن نقل والدي عبد الغني من كركوك إلى بغداد وكان مثل جدي في الصلح والتقوى وكانا يلتقيان دائماً في جامع الخاتون في أوقات الصلاة، فأحب جدي جاسم سلوك والدي وأخلاقه وزوجه لكبرى بناته وهي أمي فطومة وأسكنه في بيته.

وكانت أمي تضاهي والدي في الورع والتقوى، ولا أتخطر أن توانت يوماً عن أداء الصلاة في أوقاتها وكانت مع خالتي عواشة تستيقظ عند الفجر في الشتاء القارس وتستقي الماء من البئر لأنه يكون دافئاً وتتوضأ به وتؤدي فريضة الصلاة. وكانت رحمها الله كيسة وثاقبة النظر في الأمور ومسموعة الكلمة في المحلة، فكانت تحل أغلب المشكلات العائلية فيها. وكان والدي يستشيرها في كل صغيرة وكبيرة. وبقي والدي عبد الغني بوظيفته في بغداد حتى فارق الحياة وكان يسكن مع أمي فطومة في بيت جدي جاسم لأنه كان «كعيدي»، باصطلاح أهالي بغداد -وأبي وأمي لم يفارقا بيت جدي حتى ماتا. وكان أبي عند


اقدمه الى حضرة حاكم الفلوجة السيد حافظ خالد تذكاراً لما عندي له
من صداقة واعجاب بافكاره الحرة واخلاقه الفاضلة.
١ ايار ١٩٤٠
معروف الرصافي

استلامه راتبه يسلمه لأمي لتنفقه علينا، وكان رجلاً ورعاً يقضي جميع وقته بعد أداء واجبه الوظيفي في العبادة في الجامع وكان يعرض عليه كثير من المرضى والأطفال للقراءة على رؤوسهم تبركاً، وقد وعيت عليه وتوفي وأنا ولد كبير أطلب العلم ودفن في مقبرة باب المعظم.

أما أمي فطومة فقد ماتت أثناء غيابي عن العراق خلال الحرب العالمية الأولى ودفنت إلى جوار أبي عبد الغني في مقبرة باب المعظم. وقد آلمني موتها وأنا غائب ألماً عظيماً وإن أعظم حادث أحزنني في حياتي هو موتها أثناء غيابي ولازلت أذكره الآن بمرارة ومضض.

وأتخطر أني بعد أن رجعت من القدس إلى بغداد ونزلت في بيت مامو في جديد حسن باشا كان ذكرى أمي لا يغادرني وكنت كئيباً لذلك فشربت العرق ذات يوم ومرّ في الطريق «عازف ربابة» فناديته وطلبت منه أن يغني وصار يعزف لي ويغني «أبوذية» وأنا أبكي لذكرى أمي حتى بللت الأرض بدمعي وقد أعطيته عشرة روبيات وهو كل ما كان معي.

وقد وعيت وأعمامي يزورونني وأنا كنت أزورهم أيضاً ولكني لم أفهم شيئاً منهم ولم يفهموا شيئاً مني ولهذا انقطعت الصلات بيننا منذ الصغر وأنا لا أعرف الآن عن أمرهم شيئاً.

فعلي بك الذي هو الآن من وجوه كركوك من عشيرة عبادة التي هي من عشيرة قريش وإنه يتكلم التركية والكردية، وأولاد البيكات في كركوك جميعهم أكراد مع أنهم عرب من بيكات تكريت.

توضيح

دخلت على الرصافي ذات يوم فوجدت عنده شخصين من أهالي

الشمال يلبسون الزبون والدميري والعباءة وفوق رؤوسهم عمائم خضر كبيرة فسألته عنهما فقال: «إنهم أعمامي لأني أيضاً سيد».

أقاربه لأمه:

أما عن أقاربي لأمي فإن لي خالين وثلاث خالات، فأما الخالان فهما:

(١)- عبد الوهاب بن جاسم الشيخ علي.

(٢)- ملا نصيف بن جاسم الشيخ علي.

وخالي عبد الوهاب لم يتزوج ومات مؤخراً قبل مدة قصيرة، أما خالي ملا نصيف، فقد تزوج من امرأتين.

الأولى- تدعى روضة وقد ولدت له:

١- غناوي

٢- رشيد

٣- حميد

٤- خماسة

وخماسة هذه لها ثلاثة بنين وهم جميل وعبد الكريم وجاسم، أولاد مهدي بن صالح القراغولي.

أما الزوجة الثانية فتدعى خماسة بنت حمودي وقد ولدت له:

١- محمد صالح

٢- محمود

٣- أحمد

وهم الآن أصحاب معمل للجنائب والزوارق البخارية في البصرة وحالتهم المادية حسنة للغاية وعندما يأتون إلى بغداد يمرون بي ويزورونني.

أما خالاتي الثلاث فهن:

١- عواشة بنت جاسم الشيخ علي وهي متزوجة من فارس بن جرباوي بن محمد المرعي من عشيرة البوباز ولها منه:

(١)- محمود بن حاج فارس- مختار محملة خضر الياس الآن.

(٢)- أمينة بنت حاج فارس.

(٣)- ملكة بنت الحاج فارس.

٢- صلوحة بنت جاسم الشيخ علي وكانت متزوجة من شخص يدعى عبد الله الخياط ولم تلد له.

٣- أمونة بنت جاسم الشيخ علي ولم تتزوج.

وكنت أنا وحيداً لأبوي وكانت أمي تعتني بي كثيراً وتدللني وكنت أحل محلاً رفيعاً في بيت جدي وأعامل معاملة خاصة من قبل الجميع، إكراماً لخاطرها وكانت أمي كثيراً ما تعمل لي شيئاً من المآكل النفيسة ولكني لم أكن أحفل بهذا كله.

وأثناء غيابي في الأستانة باعت أمي وخالاتي سهامهن من دار أبيهن جاسم الشيخ علي إلى أخيهن خالي عبد الوهاب والمذكور قبل أن يتوفى باع الدار إلى ابن خالتي عواشة المدعو محمود بن حاج فارس ثم باع محمود الدار إلى جميل بن مهدي ابن خماسة بنت خالي ملا نصيف وهي الآن ملك للمذكور ولهذا لما رجعت إلى العراق لم أجد أمي ولا مسكنها الذي نشأت وترعرعت فيه.

الرصافي يعود إلى العراق

مجيء الأستاذ إلى بغداد بعد الحرب العظمى الأولى:

أفاد الأستاذ، «كنت أثناء الحرب العظمى في الأستانة. فلما عقدت الهدنة وفتحت الطرق جئت من الأستانة إلى دمشق لأجل السفر إلى بغداد إلا أنني لما وصلت دمشق وجدت أن السفر إلى بغداد محفوف بالمخاطر لأن الطريق غير أمين ويقع اعتداء على المسافرين وإنه غير ميسور لكل واحد للسفر، إلا لمن ساعدته السلطة البريطانية وسهلت له ذلك وحيث لم يكن لي اتصال بالسلطة البريطانية تعذر الاستفادة من مساعدة السلطة المذكورة، ولذا فقد بقيت بدمشق مدة سبعة أشهر محصوراً بدون عمل. ووصل إلى أسماع رجال المعارف في القطر الفلسطيني خبر وجودي بدمشق وصادف شغور وظيفة مدرس الآداب العربية في دار المعلمين في القدس، لذا فقد رغب المذكورون في التعاقد معي لأشغال الوظيفة المذكورة، فكتبوا إلى الأستاذ كرد علي صاحب جريدة المقتبس لأن يفاوضني في الموضوع، فلما عرض عليّ الأمر ورغبني فيه، بينت للمذكور موافقتي على قبول الوظيفة المذكورة، ولكن على شرط واحد هو أني أكون حراً غير مقيد بمدة معينة، فمتى أردت ترك العمل كان لي ذلك، فكتب المذكور كرد عليّ إلى فلسطين بما اشترطته،

فجاء الجواب بالموافقة، وعلى ذلك سافرت إلى القدس، وأخذت أدرس الأدب العربي في دار المعلمين وكان راتبي خمسة وعشرين جنيهاً مصرياً مع تكاليف الأكل والمنام، حيث كان لي غرفة منام وغرفة جلوس في المعهد المذكور، وكنت أتناول الطعام على مائدة المعهد، حيث كان قسماً داخلياً، وكنت خلال مدة إقامتي في القدس أرسل ما أتمكن عليه من النقود إلى زوجتي فاطمة في الأستانة وأمي فطومة في بغداد، ولما حلت العطلة سافرت إلى زوجتي في الأستانة ورجعت إلى القدس بعد انقضائها، فلما سافرت إلى العراق بناء على برقية حكمت سليمان انقطع الاتصال بيني وبين زوجتي فاطمة وحسبما علمت بعد ذلك أن عبيد الله صاحب مجلة «العرب» قد توظف قاضياً في إحدى المدن القريبة من الأستانة، وأن زوجتي أقامت الدعوى عنده تطلب الفرقة لغيابي غيبة منقطعة وهي أربع سنوات، فحكم المذكور بالفرقة وهذا كل ما علمته عنها فيما بعد.

بالباخرة من الأستانة:

قال الرصافي بعد مرور مدة على رجوعي إلى القدس، بعد أن أمضيت العطلة المدرسية في الأستانة، وعرجت بنا الباخرة في طريقها للعراق على ميناء عدن للتموين وأخذ الوقود فانتهزت هذه الفرصة أيضاً واطلعت على معالم المدينة بواسطة دليل من الأهلين، وأتخطر إنني أسير مع الدليل في ضواحي المدينة إذ شاهدت شخصاً يلبس ألبسة بيضاء وعلى رأسه عمامة ويلبس في رجله نعلاً وكان يسير في الطريق وخلفه شرذمة من رجال على هيئته ولباسه ولكن ثيابهم كانت أوسخ من ثيابه،

وكانوا يسرعون الخطا فلفت هذا المنظر انتباهي، فلما سألت من الدليل عن هؤلاء، قال بأن المتقدم في الجماعة هو أمير الحج والبقية حاشيته.

قال الأستاذ: لما سافرت إلى الأستانة لأجل أن أشتغل في صحيفة أقدام لصاحبها أحمد جودت وصرف المذكور عن إصدار طبعة من صحيفته باللغة العربية وعوضني أربعين ليرة بقيت مدة في الأستانة فصرفت هذا المبلغ وحرت في كيفية العودة إلى العراق، حيث لم يكن لديّ دراهم أخرى وأخيراً عزمت على العودة واستقرضت مبلغاً لهذا الغرض ولما شاع خبر عزمي على الرجوع إلى العراق جاءني المدعو زكي مغامس وهو من أهالي حلب ويشتغل في جريدة الصباح في ترجمة المقالات العربية التي تكتبها المجلات المصرية إلى اللغة التركية وكنت قد تعرفت به أثناء وجودي في الأستانة وكان بصحبتي دائماً وطلب مني أن أعدل عن السفر وكلفني أن أواجه ندرة مطران الذي هو من أهالي بعلبك أخ نخلة مطران الذي عقد مؤتمر العرب في باريس، فلما قابلت ندرة التمسني البقاء في الأستانة إذ ربما تمس الحاجة إليّ وتعهد بأن يدفع لي في كل شهر عشر ليرات ذهب عثمانية، فقبلت في البقاء وبر المذكور بوعده. فكان زكي مغامس يذهب إليه في نهاية كل شهر ويجلب لي عشر ليرات ذهب ولكن بعد أن بقيت في الأستانة مدة على هذه الحالة مللت الإقامة فرجعت إلى العراق وبعد أن وصلت بغداد وبقيت فيها شهراً واحداً فقط كتب إليّ المدعو عبيد الله وهو رجل دين من أهالي الأناضول كان عازماً على إصدار مجلة باسم «العرب» وأخبرني في الكتاب بأنه يعطيني عشر ليرات ذهب عثمانية وفي إمكاني أن أدرس في كلية «ملكية شاهانة» وأتقاضى مثل هذا المبلغ وأنه يتعهد لي

بالمساعدة فقبلت بالطلب وسافرت إلى الأستانة ثانية بعد أن قضيت شهراً في بغداد وفعلاً أصدر المذكور عبيد الله مجلة «العرب» فكان يكتب المقالات باللغة التركية وأنا الذي يتولى ترجمتها إلى اللغة العربية وكان المذكور ضليعاً في اللغة التركية وآدابها وكان القصد من إصدار تلك المجلة أنه كان في ذلك اليوم أن البلاد العربية أخذت تطلب بالإصلاح وكان قسماً من الدساسين وأصحاب الأغراض يتصيد في الماء العكر فيلقي بذور التفرقة والشقاق وكان هدف المجلة التفريق بين الإصلاح والفساد والتنبيه إلى ذلك لأجل جمع الصفوف، وفي أثناء اشتغالي في مجلة «العرب» كنت أدرس في «الملكية الشاهانية» وهي كلية عالية تخرج الموظفين الإداريين وكان يدرس فيها جميع لغات الأقوام الذين هم تبعة الدولة العثمانية مثل البلغارية واليونانية (الذين يسمونها الرومية)، والعربية وكنت أتقاضى راتباً عن التدريس عشر ليرات ذهب. كنت ألقي محاضرات في معهد القضاة ومعهد الوعاظ المرتبطين بوزارة الأوقاف وأتقاضى عن ذلك ست ليرات ذهب عثمانية شهرياً، (فكان دخلي الشهري من المصادر الثلاثة ستاً وعشرين ليرة ذهب عثمانية). وكنت أثناء هذه المدة أسكن مع عبيد الله في دار واحدة وهو رجل أعزب مثلي.

وعندما كان علي جودت رئيس الديوان الملكي عمل في البلاد مبغى عاماً لكثرة ما كان يجلب لجلالة الملك من الومسات[1].

وهذه المنكرات التي كان يرتكبها الملك بمعاونة الوزراء شكلت قضية المكاتيب السرية في عهد مزاحم الباجة جي وخلاصة الخبر أن الوزراء تخاصموا في البلاط وعلى الأثر تلقى البلاط عدة مكاتيب فيها طعون

بأخلاق الوزراء ونسائهم وفيه تعرض بالبلاط وقد اتهم يومئذ وزير الداخلية مزاحم بأنه هو الذي رتب المكاتيب.

ذهب الملك غازي إلى الرستمية وكان مع علي جودت وشخص آخر ما يقارب تسع البنات ثم جاءت سيارة رشيد عالي الكيلاني تحمل امرأتين عليهم عباءتان دخلتا في الجمهور وكان السيد رشيد عالي راكباً في السيارة في بداءة الأمر ثم مر في بيت صفوت العوا ثم جاءت السيارة تنقل الامرأتين.

عند ذهاب الملك فيصل إلى الناصرية أشغلوا له جميع بنايات الحكومة ومن جملة ما عملوا خصصوا المحكمة الشرعية للخمور والمشروبات[1].

نفي الإمام الخالصي:

في أحد الأيام ذهب ميجر كونس ومعه السيد هاشم العلوي وكان معاون مدير الشرطة العام وصالح حمام وعبد الله عوني وبصحبتهم خمسون شرطياً وبعض المفوضين إلى بيت المرحوم السيد مهدي الخالصي صباحاً وأحاطوا المكان بالمدافع الرشاش، ودخل السيد هاشم العلوي على السيد في البيت وأخرجه وأبعد خارج العراق واستقر به المقام في إيران حيث توفي هناك بعيداً عن موطنه. وكان رحمه الله تقياً ورعاً.

البغاء:

إنني دخلت الكله جيه وهذه تأسست مؤخراً، وقديماً كانت المومسات يزاولن مهنة الزنا في خارج السور وفوق عقادة الأسواق في بغداد وكن

يصعدن على العقادة من حمام كجحية في باب الآغا، ثم يطفرن من عقادة إلى أخرى وكان أهل الغوايات من سقطة الأخلاق يطلبوهن فوق عقادة الأسواق.

راتب حاكم دبيّ:

وبالمناسبة أتخطر أن السيد عبد العزيز الثعالبي التونسي روى لي عندما كان في بغداد بأنه قد زار دبيّ، أحد أمراء (الايالات) العربية الواقعة على الخليج الفارسي وكان في أثناء الكلام مع الأمير قد سأله عن وضعه ومأساته مع الحكومة البريطانية، فأجابه بأنه ممتن كثيراً من الحكومة البريطانية، لأن راتبه كان ثلاثمئة روبية وقد جعل أربعمئة روبية مؤخراً.

إنشاء حكومة في العراق:

وبعد أن قضيت مدة في المعهد المذكور، وردتني برقية من بغداد موقعة من قبل السيد حكمت سليمان تتضمن طلب حضوري لبغداد لمصلحة وطنية، فلما تلقيت هذه البرقية كتبت جواباً للسيد حكمت سليمان استفسر فيها عن الصفة التي يطلب بها ذلك مني، هل بصفته الشخصية باعتباره حكمت أم يكون أحد أعضاء الحكومة الوطنية، حيث كانت الأخبار ترد إلينا عن تشكيل حكومة في العراق، فلم أتلق جواباً من السيد حكمت سليمان رداً على استفساري المذكور، إنما بعد مرور عشرين يوم تقريباً أرسل عليّ المندوب السامي البريطاني في القدس وكان وقتذاك السير صموئيل وأفهمني بواسطة سكرتيره الذي يجيد

اللغة العربية، أنه ورد كتاب من حكومة العراق يتضمن طلب تسفيري على حسابها، ولما استفسرت من المندوب السامي الفلسطيني عن الغرض الذي تطلبني من أجله حكومة العراق، أجابني بأنه لم يذكر في الكتاب وأنه لا يعرف عنه شيئاً، إنما هو حاضر أن يسفرني على حساب الحكومة العراقية إذا رغبت ذلك وحيث إني كنت راغباً في السفر إلى العراق، فقد قبلت الطلب، ولذا فهمني المندوب السامي بأن حكومة فلسطين سترسلني بالقطار إلى السويس وهناك أنتظر لمدة ثلاثة أيام فتمر باخرة ذكر لي اسمها فتنقلني إلى مدينة بمبي في الهند وهناك أراجع الحكومة وأسلم لها كتاباً أعطي بيدي فتقوم بأمر تسفيري إلى البصرة. وبعد أن أتممت الإجراءات اللازمة بالسفر سافرت إلى السويس وبعد وصولي تلك المدينة رأيت أن أنتفع من الفرصة التي لديّ وهي ثلاثة الأيام وأزور القاهرة وأطلع على معالمها لأني لم أكن قد شاهدتها قبلاً. وفعلاً نفذت هذه الرغبة وسافرت للقاهرة وهناك التقيت بالسيدين فهمي المدرس ورؤوف الجادرجي. وفهمت أن هيئة بريطانية متألفة من المستر ونستون شرشل واثنين من الخبراء البريطانيين وهيئة عراقية متألفة من السير برسي كوكس ومسز بل[٢]، والسيد جعفر العسكري والسير ساسون مجتمعين في القاهرة للمداولة حول ترشيح الأمير فيصل بن الحسين إلى عرش العراق. وفي أوتيل سميراميس في القاهرة صادفت الهيئة العراقية فسألني السير ساسون عن سبب وجودي في القاهرة فأجبته بأن حكومة العراق قد طلبتني. فتعجب لأنه أحد أعضاء الحكومة ولا يعرف شيئاً عن ذلك، فقام من مكانه وتكلم مع المسز بيل، والمذكورة عرضت الكيفية على السير كوكس وأخيراً استوضحا مني الكيفية، فذكرتها لهم على

حقيقتها وأبرزت الكتاب الذي أعطاني إياه المندوب السامي في فلسطين إلى حكومة الهند، فاطلع عليه وأخيراً قال لي السير برسي كوكس، (إننا راجعين) إلى العراق بباخرة خاصة تنقلنا إلى البصرة مباشرة وفي إمكانك مرافقتنا بدلاً من السفر إلى الهند، فوافقت، وفعلاً سافرت مع الهيئة العراقية المذكورة على باخرة حربية إلى مدينة البصرة، وكان السفر فيها مريحاً وكان لكل واحد منا غرفة خاصة وقد رافقنا السيد فهمي المدرس. وبعد أن وصلت الباخرة البصرة بقيت أنا فيها مدة ثلاثة أيام بضيافة السيد عبد اللطيف المنديل.

العراق للعراقيين:

ثم بعدئذ سافرت إلى بغداد، ولما وصلتها علمت أن الذي أرسل علي هو السيد طالب النقيب والغرض الذي أرسل عليّ من أجله هو أن السيد طالب مع السيد محمود النقيب وتوفيق الخالدي وأتباعهم كانوا يريدون أن تكون الملكية لأحد رجالات العراق من ذوي البيوتات وكانوا متفقين على ترشيح السيد محمود النقيب، على أن لا تكون الملكية وراثية بل تنتقل بعده إلى السيد طالب النقيب ولما كان السيد محمود مسناً كان السيد طالب يطمع بأن تنتقل الملكية إليه عاجلاً. وقد أجمعوا الرأي على بث الدعاية لذلك ومقاومة كل فكرة لترشيح ملك أجنبي على العراق، وحسبما يظهرانه وقع اختيارهم عليّ لبث الدعاية لهذه الفكرة. أما سبب إرسال البرقية إليّ بإمضاء السيد حكمت سليمان فهو أنه كانت توجد فيما بيني وبين السيد طالب النقيب برودة، فلاحظ المذكور أنه إذا أرسل البرقية بإمضائه فإني لا ألبي الطلب ولذا سأل عمن له

صداقة وثيقة معي، فقيل له بأن أولاد سليمان بك من أصدقائي المقربين وأني كنت من الملازمين لهم أثناء وجودي في بغداد ولذا فإنه قابل السيد حكمت سليمان وسأله (عما إذا كان لديه مانع) من أن يرسل لي البرقية بتوقيعه، فبين المذكور عدم وجود مانع من ذلك ولذا أرسل إليّ السيد طالب النقيب البرقية بتوقيع السيد حكمت. كما أن برقيتي لم يستلمها السيد حكمت وإنما تسلمها طالب وهو الذي كتب إلى حكومة فلسطين لتسفيري على حساب الحكومة العراقية. أما عن سبب البرودة التي فيما بيني وبين السيد طالب النقيب، فترجع لسببين: السبب الأول في عهد الحكومة العثمانية سافرت من بغداد إلى مدينة البصرة، حيث كان لي صديق حميم مريض وأردت زيارته وزيارة المدعي العام في البصرة السيد مصطفى البرزنجي وهو من أصدقائي المقربين كذلك.

هجاء البصرة والنقيب[٢]:

وفي البصرة نزلت في بيت السيد مصطفى وفي أحد الأيام أخذني ولده السيدة حسين البرزنجي لزيارة رجب النقيب والد السيد طالب النقيب في بيته، وهو من وجوه البصرة وأعيانها وكنت وقتذاك ألبس العمامة والجبة، فلما دخلنا على السيد رجب اهتم اهتماماً زائداً بولد المدعي العام حسين البرزنجي، في حين أهمل الالتفات إليّ ولم يعرني أي أهمية، وقد تألمت من ذلك كثيراً. وبعد أن دخنت سيكارة واحدة استأذنت من السيد حسين بالانصراف وخرجت ونظمت وقتذاك قصيدة أهجو فيها أهل البصرة والسيد رجب النقيب وهي قصيدة طويلة منها هذا البيت:

مـــالي أراك على الكرسي منتـــفـــخـــاً

إن كـان فيك احتبـاس الريح فـاحتـقن[٣]

وهذا أول أسباب البرودة التي بيني وبين السيد طالب لأني هجوت أباه، أما السبب الثاني فإن السيد طالب عندما كان معنا في الأستانة وهو يعرف كما يعرف الجميع وهو من ذوي الإجرام والشرور، كان ضد الاتحاديين ويعلن عداءه لهم ويسيء إليهم ولذا فإني كنت لا أكلمه ولا أسلم عليه عندما كنت أصادفه في الطريق.

وكان همزة الاتصال فيما بيني وبين السيد طالب النقيب والسيد محمود النقيب السيد توفيق الخالدي، ولم يكن وقتذاك في الحكم. وقد هيأ السيد توفيق المذكور، أول مقابلة فيما بيني وبين السيد محمود النقيب في دار المذكور في باب الشيخ وكان خلاصة كلام السيد محمود النقيب، العراق للعراقيين ليس لدى العراقيين قوة مادية ولكنهم يملكون حقاً وهم يطالبون به ويجب العمل لذلك وانفض الاجتماع بدون نتيجة. وبعد مرور ثلاثة أيام هيأ السيد توفيق الخالدي (اجتماعاً ثانياً) مع السيد محمود النقيب وفي هذه المرة اجتمع معنا السيد طالب النقيب وكرر السيد محمود النقيب عبارته المتقدمة نفسها، العراق للعراقيين وكان السيد طالب يخاطبه أثناء الحديث «يا عم» وسألوني عن رأيي في الدعوة، فقلت له إن الأمر يتطلب مالاً وإن المال المطلوب لذلك لا يقل عن مئة ألف روبية، لأن دعوتنا الظاهرة وهي الجريدة، إن لم تنفع مع بعض الناس اقتضى استمالتهم، إما بالمال أو بالقوة وهي تحتاج أيضاً إلى مال ولما سمع السيد محمود النقيب مقدار المبلغ وجم في محله وقال هذا المبلغ كثير، وقال السيد طالب النقيب إني أتعهد أن أضع ضعفيّ ما يضع

العم، يعني السيد محمود النقيب وانفض الاجتماع، على أن نجتمع أربعتنا، أي أنا والسيد محمود النقيب والسيد طالب النقيب والسيد توفيق الخالدي في يوم الاثنين القادم. ونركب المركب التجاري الصغير العائد للسيد طالب النقيب من شريعة النادي العسكري ونعمل سفرة نهرية في دجلة ونتداول في الموضوع بعيداً عن أنظار الناس. وقبل أن يأتي يوم الاثنين، ويحل الموعد المعين قبض على السيد طالب النقيب ونفي، وبنفيه ماتت الدعوة.

توفيق الخالدي:

قال الأستاذ: السيد توفيق الخالدي من أهالي بغداد وكان كاتب تفتيش في دائرة السنية في العمارة، ثم صار (يوزباشي) للجندرمة في بغداد ثم تألق فجأة عند انضمامه إلى حزب الاتحاد والترقي، إذ عين نائباً وسافر إلى الأستانة وهو رجل نابه. وبعد احتلال العراق من الحكومة البريطانية، انضم إلى السيد محمود النقيب وأخذ يدعو له، فلما رشح الملك فيصل إلى عرش فلسطين كان الملك وحاشيته ينظرون إليه كجاسوس تركي خطر وكان أشد المعادين له نوري السعيد وجعفر العسكري. وفي وزارة السيد عبد الرحمن النقيب أراد المذكور أن يرشحه وزيراً فوقف نوري السعيد وجعفر العسكري في سبيل ذلك وأرسلوا وفوداً من العشائر إلى الملك فيصل وأقنعوه بأن يرشح الحاج رمزي بمحله لنفوذه ومركزه وفعلاً تم ذلك، لكن توفيق الخالدي لم يضعن لخصومه، بل تمكن بما لديه من دهاء وسعة حيلة أن يتدخل مع المس بيل والمندوب السامي هنري دويس بدرجة إنهما كان ينعزلان معه في المذاكرة ويعتمدان

عليه وكانا يذهبان إليه في مزرعته في الحارثة لذلك فقد أصبح وزيراً للداخلية في وزارة النقيب التالية رغم مقاومة خصومه وبعد سقوط الوزارة وبينما كان المذكور راجعاً إلى أهله قتل من قبل شخص في عتبة باب داره.

البحث عن عمل:

بعد أن نفي السيد طالب النقيب وبقيت أنا في بغداد عاطلاً من دون عمل وقد ضاعت عليّ وظيفتي في القدس ولهذا فإني عبرت إلى جانب الكرخ وقابلت المسز بيل في دار المندوب السامي وقلت لها إنك مطلعة على أن حكومة العراق طلبتني من القدس وجلبتني على حسابها ولكنني لما وصلت إلى بغداد لم أجد شخصاً أتفاوض معه عن الغرض الذي دعيت من أجله، وبقيت بلا عمل فأجابتني بأني مستعدة لمساعدتك وكتبت إليّ كتاباً إلى الحاج المستر فلبي، وكان وقتذاك ناظراً للداخلية، وطلبت مني أن أقابله وهو يساعدني فشكرتها وأخذت المكتوب وخرجت، فلما ذهبت إلى وزارة الداخلية وأردت مقابلة المستر فلبي، لم أتمكن من ذلك مدة ثلاثة أيام متتاليات، حيث كان يقال لي في كل مرة أذهب إليه، إنه غير موجود وخرج الآن إلى غير ذلك من المعاذير وفهمت بعد ذلك أن المسز بيل لم تكن مطلعة على أنني من دعاة النقيب ولذا فإنها كتبت لي الكتاب إلى المستر فلبي وهو من أقطاب الإنكليز الذين يعارضون ترشيح الملك فيصل على عرش العراق ولكنها بعد أن أعطتني الكتاب بسرعة أخبرت بذلك، فخافت أن ينتفع المستر فلبي مني لتأييد مبادئه ويساعدني من الجهة الثانية ولذا اتصلت حالاً بسكرتير الوزارة

وكان وقتذاك السيد عبد العزيز مظفر، تلفونياً وأمرته أن يحول دون مواجهتي للمستر فلبي وأن المذكور لهذا السبب كان يشاغلني، وبعد أن عجزت عن مواجهة المستر فلبي رجعت إلى المسز بيل وقلت لها يظهر بأنك أرسلتني على شخص غير موجود، فقد حاولت خلال ثلاثة أيام أن أقابله، فلم أتمكن من ذلك فاعتذرت وأخذت الكتاب الذي كتبته إلى المستر فلبي مني وكتبت إليّ كتاباً ثانياً إلى مفتش المعارف الذي لا أتخطر اسمه الآن، إنما أتذكر وجود حرف «ط» في أول اسمه وسلمته لي ووعدتني خيراً، فلما أخذت الكتاب إلى المفتش في وزارة المعارف بادرني بقراءة مقامة من مقامات الحريري عليّ وكان يحفظها جيداً، وكان هذا المفتش يريد، حسبما يظهر، يبين لي أنه يتقن اللغة العربية، وفعلاً كان يتقنها فسمعنا منه المقامة على كل حال وبعد أن انتهى من قراءتها وأطل على الكتاب، قال لي بأن الوزارة عينتك نائب رئيس لجنة التأليف والترجمة براتب قدره خمسمئة روبية، فاعترضت على مقدار الراتب، فوعدني بزيادته متى ساعدت على ذلك الميزانية، فوافقت، وبهذه الصورة أصبحت نائب رئيس لجنة التأليف والترجمة في وزارة المعارف التي كانت تشغل بناية السنية، مقر وزارة المعارف الآن.

سلطة الوزير زمن الاحتلال:

وصادف عند تعييني في وزارة المعارف وجود مشكلة كان لها أثر بعيد في البلد والوزارة وكان خلاصة المشكلة أن مديرة إحدى مدارس البنات في بغداد، وهي امرأة أرمنية، قد خرجت في تصرفاتها عن عرف البلد وعاداته في إدارة المدرسة، فطلبت من التلميذات قص الشعر وتقصير

الملابس، وما إلى ذلك من المطاليب التي التي عدها بعض الناس خروجاً على العادات والتقاليد وكان السيد الشهرستاني، أحد أقطاب القائلين بطرد المديرة المذكورة وصادف آنذاك تعينه وزيراً للمعارف، فكان من المعلوم أنه سيأمر بطردها، فذهبت إلى غرفته لأشاهد ما سيقرره في هذه القضية وكان المفتش الأول قد تبدل فجاء بدله المدعو فارن، فأخذ الوزير يتكلم مع المستشار حول المديرة وسوء تصرفها وبيّن للمذكور أن تقاليد البلاد وعاداتها لا تهضم مثل هذه التصرفات، وقال إن هذه البلاد إسلامية ذات تقاليد وإن المذكورة قد أصابت التقاليد الإسلامية في الصميم وبعد أن تكلم الوزير وأسهب، رد عليه المستشار فارن بقوله: «هذه مديرة كيسة وقديرة»، وخرج فحضرني بيتان من الشعر قلتهما وقتذاك وهما:

ألا بلغوا عني الوزير مقالة
له بينها لو كان يخجل توبيخ
أراك بحمام الوزارة نورة
أما جناب المستشار فزرنيخ

والغريب أن البيت الثاني انتشر انتشاراً واسعاً في ذلك الزمن بين الناس حتى إني بعد مرور يوم، بينما كنت جالساً في مقر وظيفتي دخل عليّ مدير الأوقاف وقتذاك وهو المستر كوك وبادرني بقوله:

أتاك الزرنيخ «فأجبته» وأنا نورة
تعال اجلس بجنبي و«أجلسته قربي»

تدريس الأدب العربي:

وقضيت مدة بهذه الوظيفة دون عمل، يزورني بعض الأصدقاء فأقتل الوقت في الحديث معهم، وأخيراً ذهبت إلى مفتش المعارف، وكان

قد تبدل المستر فارن وجاء محله المستر سمث وقلت له: «إني عينت نائب لجنة التأليف والترجمة مع أنه لا وجود للجنة ولا للرئاسة وقد مضى مدة وأنا أتقاضى راتباً من دون عمل، فبأي حق آخذ الراتب، فأجابني بأن الميزانية لا تساعد على تأليف اللجنة، حيث يستدعي ذلك مبلغاً طائلاً وقال لي إذا كان لا بد من عمل فبإمكانك أن تجمع المعلمين في أوقات دورية وتلقي عليهم دروساً في الأدب العربي، فوافقت على طلبه وعلى ذلك أخذت ألقي محاضرات في الأدب العربي على المدرسين في مدرسة المأمونية بجوار وزارة الدفاع وقد سافرت إلى الموصل وألقيت محاضرات على المدرسين هناك في الموضوع نفسه.

محمود الشابندر:

وبمناسبة ذكر المحاضرات، أذكر أني كنت أتردد في بعض الليالي على بيت محمود جلبي الشابندر وهو من تجار بغداد المشهورين وأشرافها، وكان عنده «ديوخانة» أي ديوان يؤمها بعض أصدقائه، يلعبون القمار، (وأتخطر) بالمناسبة أيضاً أن المذكور السيد محمد جلبي الشابندر كان يقدم للزوار في مجلسه لزواره سيكارة واحدة «أم الزبانة» وكان خادمه المسن يقدم للجميع قهوة مُرة مَرة واحدة أيضاً، وحيث كان يطول بنا المجلس لأننا كنا نلعب القمار وكنا نحتاج إلى القهوة، فننادي على الخادم، فلا يأتينا وكان المذكور ينام على «دكة المجاز» يفتح الباب ويغلقها وكان فراشه بساط بالي فاعترضته من جهة عدم حضوره عندما نطلب تقديم القهوة ثانية، فقال لي بأن محمود جلبي قد أبلغه أن لا يقدم القهوة للزوار إلا مرة واحدة.

طبع المحاضرات:

وفي أحد الأيام بينما كنا نتجاذب أطراف الحديث ورد ذكر المحاضرات فاقترح عليّ محمود جلبي المذكور أن أقوم بطبعها لينتفع الناس منها، فبينت له عجزي المالي، الذي يقعدني عن توظيف الفكرة، فتبرع المذكور أن يطبعها على حسابه الخاص وأعطى المحاضرات إلى السيد رزق غنام صاحب جريدة العراق، وطلب منه أن يطبعها على نفقته، وبعد مرور مدة، صادفني السيد رزق غنام وطالبني بأجرة الطبع البالغة ثلاثمئة روبية وقال إن محمود جلبي لم يدفعها، فقلت له يمكنك أن تبيع النسخ وتستوفي أجرة الطبع والزيادة إليك، فوافق المذكور، وحلت العقدة بهذه الصورة. وبقيت في هذه الوظيفة حتى جاء السيد ساطع الحصري إلى الوزارة فعينني مفتشاً للغة العربية.

أسباب العداء بين الملك فيصل والأستاذ الرصافي:

قال الأستاذ: إن سبب العداء بيني وبين المغفور له جلالة الملك فيصل يرجع لعدة حوادث:

الحادث الأول: أني كنت في الأستانة وكان جلالة الملك فيصل في الأستانة أيضاً وكان بيننا في بادئ الأمر مودة، إلا أنه قبل أن يخرج جلالة والده الملك حسين على الدولة العثمانية سافر من الأستانة ولما وصل نبأ خروج الملك حسين على الدولة العثمانية هجوته لعمله هذا لأنه مالأ دولاً تريد تمزيق شمل العرب والإسلام وتقسيم بلادهم كما حصل فعلاً فكان هذا الهجاء أول أسباب العداء.

الحادث الثاني: عندما كنت أذهب إلى مقر وظيفتي في وزارة المعارف التي تشغل بناية السنية كنت طبعاً أذهب للوزارة المذكورة من

باب السراي وفي أحد الأيام عند دخولي باب السراي لأجل الذهاب لوزارة المعارف، شاهدت نهر دجلة أمامي حيث كانت بناية المشيرية التي يشغلها جلالة الملك فيصل وقتذاك، قد تداعت وسقطت في دجلة فتعجبت من ذلك لأن هذه البناية مشيدة بصورة متقنة وفي هذه الأثناء جاء إسماعيل الصفار، وكان مديراً عاماً للشرطة ووقف بجانبي وهو متعجب مثلي من سقوط البناية وحضرتني أبيات من الشعر من دون إرادتي فنطقت من الشعر:

أبلاط أم ملاط أم مليك
بالزعاطيط محاط
غضب الله على صاحبه
فتداعى ساقطاً ذاك البلاط

فأخرج إسماعيل الصفار من جيبه ورقة وقلماً بسرعة وكتب البيتين المذكورين ومضى زمن، فنسيت الحادث ولكن بعد مرور مدة وردتني جريدة من جاوة محررة باللغة العربية فيها مقال وفيها البيتان المذكوران، فعجبت لوصول خبر البيتين إلى تلك البقعة البعيدة من الأرض وعجبت لبراعة إسماعيل الصفار في نشر الخبر بهذه الصورة. وحسبما فهمت بعدئذ أن إسماعيل الصفار كان منبوذاً من قبل جلالة الملك فيصل والسبب يرجع إلى عهد الحكومة العربية في سورية، حيث كان إسماعيل الصفار قائمقاماً في إحدى الأقضية في سورية الجنوبية، فلما غزا الفرنسيون سورية وفرَّ الملك فيصل مر في طريقه بمركز قضاء إسماعيل الصفار وطلب من إسماعيل أن يزوده ببعض صفائح البنزين لسيارته فامتنع المذكور من ذلك واحتج أنها مسلمة إليه بموجب وصل وسجلات

ولا يتمكن أن يعطي شيئاً منها فحفظها الملك فيصل في نفسه على إسماعيل وكان إسماعيل يعرف تلك فلأجل أن يتقرب من جلالة الملك فيصل ويمحي سيئاته السابقة، نقل إليه البيتين فأوغر صدره عليّ.

إسماعيل الصفار:

إسماعيل من أهالي صوب الكرخ تلقى علومه العسكرية في الأستانة وكان ممن اشتغل في الحركة العربية وهو ضابط ركن وكان أثناء الحرب العالمية في حلب فنقل إلى... فرفض أمر النقل فأخذته الحكومة العثمانية بالجبر إلى تلك الجهة ولما تشكلت الحكومة الفيصلية في الشام عين (قائم مقام) لأحد الأقضية الجنوبية في سورية، ثم بعد زوال الحكومة العربية انتقل إلى بغداد وعين مديراً عاماً للشرطة.

الحادث الثالث: ثم إني رأيت مضايقة في المعاملة من قبل وزارة المعارف وأحسست أن ذلك يجري بإيعاز من الملك فيصل الذي آلمه أمر البيتين ولذلك طلبت من وزارة المعارف أن تمنحني إجازة لمدة ثلاثة أشهر، فمنحتني الوزارة المذكورة الإجازة المطلوبة من دون راتب، وسافرت فوراً إلى حلب وكنت مصمماً أن أذهب إلى البلاد التركية وأتجنس بالجنسية التركية وأعيش هناك كمواطن تركي ولا أعود للعراق وبلاد العرب أبداً.

ثورة الظلم:

وقال يخاطب رجال الحكومة ببغداد عام ١٩٢٢ إلى أولي الأمر:

يا مبعدي بظلم عن مناصبهم
وقاطعين إلى ما أبتغي طرقي

علمت كل خـــفي من ضـــمـــانركم
ومـــا علمت الذي تـرضـــون من خلق

مـــاذا يوافــقكم من شــأن صـــاحــبكم
حـــتى يكون لديكم حـــائز الســـبق

إن كـــان عـــقل فـــإني عـــاقل فطن
أو كـــان حـــمق فـــإني أحـــمق الحـــمق

فـــجـــربوني تفـــوزوا عند تجـــربتي
بمـــا تـــريـــدون مـــن طـــيـــش ومـــن نـــزق

وإن أبيـــتم ســـوى من عـــرضـــه دنس
فلســت مـــــعكم على شيء بمتـــــفق

لا أبعـــد الله غـــيـــري عن مناصـــبـــهم
إني بتـــدنيس عـــرضي غـــيـــر مـــرتزق

حيرة الرصافي:

ولكن لم أتمكن أن أدخل البلاد التركية، حيث لم أجد شخصاً يسعى لي في ذلك، وسمعت بعدئذ بوجود الأديب التركي المشهور سليمان نظيف في بيروت وكان هذا والي في بغداد أثناء الحرب العظمى، فسافرت إلى البلدة المذكورة لمواجهته لعلّه يتوسط ويساعدني بما عنده من مركز لدخول البلاد التركية، فلما واجهته في بيروت وكان آنذاك مبدأ تأسيس الحكم الكمالي في أنقرة وعرضت عليه طلبي واعتذر باعتبار أنه منبوذ من قبل الكماليين، ولكنه وعدني بأن يكلف الأديب جلال نوري ليساعدني بما عنده من مركز لدى الكماليين. فبقيت في بيروت مدة

ولكن جميع المساعي التي بذلتها لدخول البلاد التركية خابت ولم تنجح وأخيراً رغبني بعض رجالات بيروت البارزين بأن أتجنس بالجنسية اللبنانية، فوافقت على ذلك وقدمت طلباً، ولكن الطلب رفض من قبل السلطات المختصة الإفرنسية، وبعد مرور مدة وردتني برقية من المرحوم السيد محسن السعدون، رئيس الوزارة يطلب حضوري إلى بغداد وحوّل لي مبلغاً قدره ثلاثمئة روبية ولكن قبل أن تردني البرقية كان قد أقيم احتفال في بيروت لتكريم أمين الريحاني بعد رجوعه من سياحته الأولى في جزيرة العرب ودعيت لإلقاء كلمة في الحفلة، فنظمت قصيدة أسأل فيها أمين عن حالة نجد وعما إذا كانوا لا يزالون يطلقون اللحى ويحفون الشارب ويكفرون من يخالف ذلك إلى أن قلت له بأني لا أسألك عن العراق لأني أعرفه حق المعرفة والقصيدة مذكورة في الديوان وهي تتألف من أبيات كثيرة منها الآتي:

لنا ملك تأبى عصابة رأسه
لها غير سيف التميزيين عاصبا
وليس له من أمره غير أنه
يعدد أياماً ويقبض راتبا

الصلح مع الملك:

وكنت أقصد الملك فيصل وقد نشرت القصيدة جميع صحف بيروت، فلما جئت إلى بغداد بناء على البرقية التي أرسلها المرحوم السيد محسن السعدون، وقابلته علمت أن المذكور يريد أن يصالحني مع جلالة الملك فيصل وبعد أن تواعد معي أخذني إلى البلاط الملكي وكان وقتذاك في

قصر شاؤل شعشوع في طريق الأعظمية فجلس عبد المحسن في غرفة صفوت العوا، وكان وزير البلاط وأخذني تحسين قدري وكان أحد المرافقين وأدخلني على جلالة الملك في غرفته، وكان أثاث الغرفة يتألف من منضدة كبيرة وخلفها كرسي، جالس عليه جلالة الملك فيصل وأمام المنضدة كرسي واحد لا غيره، فلما دخلت الغرفة بادرني الملك بقوله، يا معروف «ليش يا معروف أنا الذي أعدد أياماً وأقبض راتباً» ولم يكن بخلدي بأن القصيدة ستسبقني إليه، فأجبته، «أسأل الله أن لا يكون كذلك» وجلست على الكرسي دون استئذان، ثم قال «ليش كل هذا العداء يا معروف»، فأجبته. «يا صاحب الجلالة لا يوجد شخص واحد في الدنيا يقول أن لي مطمعاً في مقامكم لأجل أن يكون لي عداء معكم، لأن الأغراض هي التي تولد العداء، فقال «وهذا بلاط أم ملاط»، فأجبته، «إن هذا لم يكن موجهاً لشخصكم الكريم، وإنما لمقامكم، والمقصود حاشيتكم الذين أساؤوا إلى البلاد»، فأجاب، «إن إساءة بعض الحاشية لا يبرر مثل هذا القول»، ولما وجدت أن الملك لا يريد المفاهمة، قمت من محلي ولوحت بيدي بالسلام وانصرفت، وبهذه الصورة كانت القصيدة التي قلتها في حفلة تكريم أمين الريحاني، حادثاً ثالثاً أوغر صدر الملك عليَّ.

الحادث الرابع: عند زيارة الأستاذ الثعالبي مدينة بغداد، عمل لإزالة سوء التفاهم الذي بيني وبين الملك فيصل وجمعني المذكور مع الملك في قصره الذي يشغله الآن البرلمان العراقي، وفي هذا الاجتماع بيَّن الملك فيصل أنه تناسى كل الأحقاد الماضية، وأنه لا يعدني إلا أحد أفراد عائلته، فشكرته للعناية التي أولاني إياها، وبعد مرور مدة على هذا

الاجتماع أرسل عليّ جلالة الملك فيصل وأعطاني جريدة لبنانية قد ذكرت خبر الاجتماع من أوله إلى آخره مع الحديث الذي تبودل فيه، وقال لي: «لم عملت هذا»، فقلت لجلالته، إنك تعلم أن المجلس كان يضم جلالتك والأستاذ الثعالبي وأنا ولا يوجد أحد غيرنا وأنا أوثقك بشرفي إني لم أذكر خبر الاجتماع لأحد ولا أعدت ذكره ولا مع الثعالبي، وجلالتكم بالطبع لا يمكن أن تكونوا ذكرتموه لأحد لأنكم مستاؤون من نشر خبره، بقي الأستاذ الثعالبي وهو موجود وفي إمكانكم أن ترسلوا عليه وتسألوه عن ذلك، وانصرفت، والملك على أشد ما يكون من الغيظ.

وسوء التفاهم الذي ذكرت أسبابه الذي كان فيما بيني وبين جلالة الملك فيصل هو الذي جعل الملك يصرف نظره عني ويسيء إليّ في بعض الأحيان.

زوجته فاطمة:

كنت أسكن مع عبيد الله صاحب مجلة العرب في بيت واحد قبل أن أتزوج، والذي كان يقوم بخدمتنا امرأة خادم وكنا نتقاسم المصرف، وذات ليلة رجعت إلى البيت سكراناً (وتحارشت بالخادمة) وكان عبيد الله في البيت وقد اطلع على الحادث وسمع صياح الخادمة، وفي اليوم الثاني أخذ المذكور يعرض عليّ أمر الزواج ويحثني عليه وصادف مجيء أخته وأولادها من الأناضول، فقال: إن أختي تقوم بالخطبة فوافقت على ذلك، فخطبت لي امرأة تركية من أهالي الأستانة لها ثلاثة إخوة أحدهم كان (بيم باشي) والثاني دكتور والثالث طالب في المدرسة الطبية.

وبعد أن تزوجت من المذكورة أسعدتني وأراحتني وقلبت سواد حياتي بياضاً وأنا مدين لها بتلك السعادة الوقتية التي رأيتها في حياتي لأني كنت قبل أن أتزوج منها، كان دخلي الشهري (ست وعشرون ليرة ذهب) ومع كل هذا الدخل الكبير، كنت لا أملك بدلة إضافية على البدلة التي كنت أرتديها وكنت إذا توسخت ملابسي وأردت غسلها ألازم البيت حتى تغسل الملابس وتجف فأرتديها. وكنت في شظف من العيش وفي عسر للتبذير الذي كنت أبذره، ويبذره كل عازب، فلما تزوجت منها تبدل حالي من العسر إلى اليسار، وأتخطر أني حسبت عدد ملابسي ذات مرة، فكانت (اثنتي عشرة بدلة) عدا البدلة التي كنت أرتديها.

وكانت زوجتي فاطمة نحيفة للغاية ولهذا كانت أحوالها الصحية لا تساعدها على الولادة، فإنها حملت مرة واحدة وأجهضت ابناً وأشار الطبيب عليها بعد ذلك بعدم الحمل وإلا فقدت حياتها، وأعطيت الأدوية اللازمة، وقد جاء إرشاد الطبيب في مصلحتي لأني لم أكن راغباً في الأولاد.

وبقيت في معاشرة زوجتي فاطمة المذكورة والسكن معها في بيت واحد المدة التي قضيتها في الأستانة وحتى تركي الأستانة بعد الهدنة.

لماذا يشرب العرق؟

وعلى ذكر حادثة سكري وتعرضي بالخادمة، أتخطر أول أمري بشرب العرق، كان بعد امتحاني التدريس وتعيني مدرساً في مدرسة علي أفندي حيث كان المدرسان في هذه المدرسة ممن يشربونها وبحكم المخالطة شربتها معهم وبقيت على شربها وأنا أفضل العرق على كافة صنوف

المشروبات ولي رأي في شرب العرق ألا وهو أن الحياة بحد ذاتها عبء ثقيل على الإنسان وسبب متاعبها هو العقل الذي لا تخمد له حركة لا أثناء اليقظة ولا أثناء النوم، ولما كان العقل هو سبب المتاعب كان في حظ الإنسان أن يعيش بعض الزمن دون عقل وهذا ما يتم بشرب الخمر الذي يعطل مركز السيطرة في الدماغ. وبقيت أشرب الخمر حتى تركتها مضطراً في الفلوجة بعد إصابتي بالحكة.

حاجة الرصافي:

قال الأستاذ: بعد أن أرسل المرحوم السيد محسن السعدون عليّ وجلبني من بيروت وتواجهت مع جلالة الملك فيصل ولم تسفر المواجهة عن نتيجة مرضية، فقد بقيت عاطلاً في بغداد دون شغل وكان المرحوم عبد المحسن السعدون يهديني بعض المال من حين لآخر فأعيش عليها وكنت وقتذاك أتردد على بيت محمود بكر بك في محلة حسن باشا، وكان يلعب فيه القمار، وكنت أتردد عليه للتسلية وقتل الوقت، حيث لم تكن لديّ دراهم لألعب القمار وكان ابتداء ترددي على بيت المذكور محمود بكر بك شتاءً، فأخذ الشتاء يستدبر تدريجياً حتى دخل الربيع وأصبح الطقس حاراً، وحيث لم تكن لديّ ملابس ربيعية أو صيفية، فقد كنت مضطراً على ارتداء الملابس الشتوية، وذات يوم ذهبت إلى بيت محمود وقت العصر فقال لي أحد الحاضرين لم تزل ترتدي الألبسة الشتوية؟ فأجبته: سألبسها إن شاء الله. ولما قمت ورجعت إلى البيت كان التأثر بلغ بيّ مبلغاً عظيماً، وضاق صدري مما أنا فيه من العسر فنظمت قصيدتي الهمزية وهي موجهة إلى المرحوم السيد عبد المحسن

السعدون، وفيها أذكر للمذكور بأني لا أبغي لباساً غالياً مما يرتديه المتبطرون وإنما أبغي لباساً بدوياً وعقالاً. وإن هذه القصيدة قد نشرها في حينه سليم حسون في جريدة العالم العربي، وبعد نشر هذه القصيدة تأثر عبد المحسن تأثراً شديداً وقابل الملك فيصل وأقنعه بوجوب مساعدتي وإنقاذي من الحالة التي أنا فيها، فأوعز الملك فيصل بصورة سرية إلى ساطع الحصري وكان يومئذ مدير المعارف العام لأجل أن يوظفني، فأرسل إليّ المذكور لمقابلته وكان راتب المفتش في ملاك المعارف وقتذاك خمسمئة روبية، ولكن الأمر الذي أعطي إلى ساطع الحصري يتضمن توظيفي براتب أربعمئة روبية. لهذا لما قابلت المذكور قال: أريد أن أوظفك مفتش براتب اسمي قدره خمسمئة روبية، على أن يكون راتبك الحقيقي أربعمئة روبية، فقلت له: إذا كان ما أتقاضاه أربعمئة روبية، فما المانع أن تعينني بهذا الراتب وأنا قابل به وبأقل منه للضيق الذي أنا فيه، فأجابني بأن الملاك يستدعي ذلك فصرفت نظري عن المناقشة وقبلت بالوظيفة براتب اسمي قدره خمسمئة روبية وبراتب حقيقي قدره أربعمئة روبية. وبقيت في هذه الوظيفة ست سنوات متتالية بالراتب الاسمي والحقيقي عينهما وحيث لم يزد راتبي طيلة هذه المدة، فقد سئمت الحالة واستقلت فعرضوا عليّ وظيفة مدرس لآداب اللغة العربية براتب قدره ثمانمئة روبية، فترددت في بداءة الأمر لعدم وجود مكتبة لديّ لا سيما وهذا المنصب يستدعي تحضيراً ومطالعة مستمرة فأقنعوني بأني أستطيع أن أستفيد من مكتبة المدرسة وإذا كنت أريد بعض الكتب الخارجية فيمكنهم أن يزودونني بهذا على حساب المكتبة. فقبلت ذلك ولما فحصت المكتبة وجدت فيها ثلاثة كتب فقط من الكتب التي أحتاجها، ولهذا

فقد عملت قائمة بأسماء الكتب التي أحتاجها وذكرت في هذه القائمة أسماء ستين كتاباً تقريباً وقدمتها للمعارف. فماطلوني مدة ثم بعد ذلك اعتذروا لعدم وجود مخصصات بالميزانية ولم يشتروا الكتب بتاتاً. وعندما باشرت بإلقاء المحاضرات وجدت أن معلومات التلاميذ في العربية ضعيفة، حيث لم يكونوا ليفهموا الاصطلاحات وليس عندهم أي إلمام بالعروض ولا بالبيان ولهذا اضطررت أن ألقي عليهم خلال الأسبوع محاضرات في تفسير الألفاظ الغامضة ومحاضرات في العروض وفي البيان وألقي عليهم محاضرة واحدة في آداب اللغة العربية وبقيت على هذه الطريقة، طيلة السنة وقد ضجرت وأرهقني العمل لقلة المصادر وتأخير التلامذة. لهذا فإني بعد انتهاء السنة سافرت إلى الحلة ومن هناك قدمت استقالتي وسافرت إلى البصرة وذلك لأجل السفر إلى الهند والإقامة هناك وفي البصرة نزلت بضيافة السيد عبد اللطيف المنديل، وهو من أشراف البصرة وأعيانها وملاكيها وتربطني معه صداقة قديمة. فعمل المذكور جميع التسهيلات اللازمة لسفري وفي اللحظة التي أوشكت على السفر وردت برقية من عبد المحسن السعدون إلى عبد اللطيف المنديل ومتصرف البصرة لمنع سفري إلى الهند، وهكذا أصبح الرجل الذي يعطف عليّ ضدي ويعاكسني، ولهذا رجعت إلى بغداد وبعد رجوعي لبست الزي العربي، وهو الدشداشة وفوقها السترة والعقال والكوفية والعباءة وهذا كان أول عهدي بهذا الزي لأني وإن ذكرت في قصيدتي الهمزية أني أريد هذا اللباس إلا أني لم أنفذ رغبتي بمناسبة توظيفي فبقيت ألبس الألبسة الإفرنجية، حتى مجيئي من البصرة حتى بينت ذلك وبعدها فكرت في الابتعاد عن بغداد والاستراحة بعيداً عن ضوضائها، فوقع اختياري على

بلدة الفلوجة، وهذا مما يساعد على استطراد لبسي للألبسة العربية، لأن أغلب أهالي الفلوجة يرتدون هذا الزي.

طلعت باشا:

عندما كنت أسكن مع عبيد الله صاحب مجلة العرب في بيت واحد قبل أن أتزوج، وكان يسكن في محلتنا طلعت باشا، فقال لي عبد الله ذات يوم أن طلعت باشا راغب في أن يتعلم اللغة العربية، وقد سألني عن أستاذ ماهر قدير يدرس اللغة العربية، فأرشدته عليك، فكلفني أن أفاتحك بالأمر بصفتي صديقك، ولهذا فأنا أرجو منك أن تذهب في كل يوم إلى بيت المذكور لتدريسه العربية، فقبلت بهذا التكليف وكنت أذهب في كل يوم إلى بيت طلعت باشا لتدريسه اللغة العربية، ولكن ظهر لي بعد مرور مدة أن المذكور لا يقصد في حقيقة الأمر والواقع أن يدرس اللغة العربية وإنما غايته الوقوف والاطلاع على حقيقة نزعتي السياسية، حيث كنت أذهب إليه يسألني المذكور ويناقشني في الأمور السياسية من أول الوقت إلى آخره. وكنت أفضي إليه فيما يخص العرب برأيي بكل صراحة، فكنت أنتقد أعمالهم في الأمور التي لا حق لهم فيها وأؤيد وجهة نظرهم في الأعمال الإصلاحية التي يطالبون فيها وبعد أن بقيت مدة على هذه الحالة، قال لي طلعت باشا، بأنه صرف النظر عن الدراسة لأن أوقاته وكثرة أشغاله تحول الآن دون ذلك وأنه أرجأ الدراسة إلى فرصة أخرى.

نائب في المجلس العثماني:

وبعد أن انتهت دورة المجلس الأولى وهي أربع السنوات وشرع في الانتخاب الجديدة جاءني جمال الغزي وقال لي: «أبلغك قرار حزب

الاتحاد بترشيحك للمندوبية» والمطلوب إبداء رأيك عن أي منطقة تفضل ترشيح نفسك، ففكرت في الأمر جلياً ولاحظت أن عدد من رشحوا أنفسهم عن بغداد كثيرون وإذا أنا رشحت نفسي عن بغداد وأخرجتني الحكومة بالانتخاب، فسأخلق لنفسي عداء في قلوب بعض الناس الذين تربطني بهم أحسن الصلات وقد وجدت الملاحظة نفسها فيما لو رشحت نفسي عن البصرة، ولهذا رشحت نفسي عن المنتفك، وبهذه الصورة دخلت مجلس المبعوثان سنة ١٩١٢.

مع الزهاوي:

وإني مع جميل صدقي الزهاوي اشتغلت في هذا المجلس بإعداد اللوائح للإصلاحات التي كانت الحكومة تنوي إدخالها بلاد العرب، وذلك بإعطاء المختارية لهذه البلاد وجعل التعليم باللغة العربية في المدارس الابتدائية إلى غير ذلك من الإصلاحات، ولكن هذه اللوائح سحبتها الحكومة العثمانية بعد إعلان الحرب، حيث قالت أن حالة العرب لا تساعد على تلك التنظيمات.

دخولي الماسونية:

وبعد وصولي الأستانة بناء على دعوة من عبيد الله، اتصل بي ندرة مطران وزكي مغامس، اللذان ذكرت خبرهما معي وأخذا يشوقاني لدخول الماسونية، وكانت الماسونية وقتذاك متألفة من عدة ألواج منها لوج باسم «الأخوة العثمانية»، وهو لوج خاص بأبناء العرب ورئيسه ندرة مطران وكانت هذه الألواج يوحدها ويتزعمها «المشرف الأعظم» الذي


تقدمة مودة واحترام الى الفاضل المهذب
السيد حافظ خالد حاكم الفلوجة المحترم
من المخلص
معروف الرصافي

كان يرأسه جاويد بك وزير المالية، وتحت ضغط وإلحاح نذرة مطران وزكي مغامس اضطررت إلى دخول لوج الأخوة العثمانية، وكان يستلزم دخول اللوج دفع رسم معين، فقام المذكوران بدفعه وكانت العضوية في كل لوج تتألف من عدة درجات، فأخذوا (يرفعوني) من درجة لأخرى بين أسبوع وآخر حتى أصبحت بدرجة أستاذ ، وكان نذرة وزكي يدفعان الرسوم المقتضية.

ذات يوم انتهت مدة انتخاب الرئيس جاويد بك رئيس «المشرق الأعظم» فاقتضى انتخاب الرئيس الجديد، وكانت الطريقة في ذلك أن يرشح كل لوج اثنين من أعضائه يجمعان مع مرشحي الألواج الأخرى، وينتخبوا الرئيس «المشرق الأعظم»، وقد انتخبت أنا وزكي المغامس عن لوج الأخوة العثمانية، فحضرنا الاجتماع وكانت الآراء متجهة لترشيح طلعت باشا لهذا المنصب. فطلب جاويد أن يترأس هو لجنة الانتخاب، فعارض بعض الأعضاء وقال لا وجه لهذه الرئاسة لزوال الصفة، ويجب أن يكون الرئيس من أعضاء اللجنة وحصل اختلاف وفوضى في الاجتماع، فانفض دون أن يجري الانتخاب، وتأجيل ليوم آخر، وحيث إني كلما تقادم الزمن عليّ كان الاشمئزاز والنفور يزداد عندي من الماسونية حيث اطلعت أن مبادئها التي تعلنها للناس كلها كذب وافتراء مثل الإخاء والعدالة وما شابه ذلك. ومن الدعايات الكاذبة وأنها جمعية هدامة ذات أغراض سياسية وشخصية بحتة، فقد قلت إلى زكي مغامس أن يبلغ جماعته بأن ينتخبوا أحداً غيري، ليحضر الانتخاب لأني ممتنع عن ذلك ومن ذلك الحين قطعت صلتي بالماسونية.

تبديل ملابسه بعد الانقلاب:

كنت أرتدي لباسي المألوف وهو العمامة والجبة والزبون وبمناسبة البرد كنت لابساً فوق الجبة عباءة صفراء مارين. فلما دخلت المقهى لم أجد أحداً فيه، وبرز لي من غرفة «الوجاغ»، صاحب المقهى السوري، فلما شاهدني بالعمامة ارتعب ومر بقربي وهو يقول، «اخلع العمامة يا رجل لا تبليني»، وذهب فتركت المقهى وتوجهت إلى الباب العالي وما سرت كثيراً، حتى أحاط بي الجند من كل جانب وهم يقولون بالتركية «يا عدو الله»، وجردوني من جميع ما لدي من الأوراق وكان على بعد منهم ضابطهم، فجاء إليّ وكف عريدة الجند عني وسألني عن هويتي وعن الجهة التي جئت منها، فقلت له بأني جئت من سالونيك، فهز رأسه استهزاء، ولم يصدق بكلامي في بادئ الأمر، وقال لي تريد أن تموه الحقيقة عنا، فزعمت إنك جئت من سالونيك، لنتركك ولكنني قلت له بأني من أهالي بغداد وأن السيد محمود شوكت باشا وإخوته من أصدقائي الحميمين وقد سافرت لسالونيك لزيارتهم ومكثت عندهم زهاء الأسبوع وقد عدت الآن إلى استنبول وكانت بزتي هي العباءة فوق الجبة وكلامي المشوش بالتركية التي لم أكن أتقنها وقتذك، يؤيدني فيما أقول، فاقتنع الضابط وأعاد لي الأوراق وأطلق سراحي، فانصرفت وشاهدت في طريقي مقهى فدخلته، فوجدت فيه مصادفة السيد عمر فخر الدين فرويت له متاعبي، فأشار عليّ أن أشتري لي (سترة وبنطلون وطربوش) وهي لا تكلف كثيراً وأرتديها وأرفع هذا الشر مؤقتاً عني، فقبلت بنصيحته، وطلبت مساعدته في شراء هذه الحوائج فأخذني إلى (مغازة) قريبة واشترى لي منها سترة وبنطلوناً وطربوشاً، وارتديتها في

المغازة نفسها وأمنت ملابسي القديمة فيها وخرجت ومنذ ذلك التاريخ لم أعد إلى لبس العمامة أبداً، أما عن رفيقي جميل صدقي الزهاوي، فقد تبين لي بعد ذلك أنه لما كان يرتدي العمامة وهو محسوب من رجال الدين، خاف أن تكبس الشرطة بيته وتقبض عليه وتعتقله، فهرب مع أحد البغداديين وهو المدعو صالح الملى، وهو أيضاً من المعممين إلى «بيك أوغلي» وهناك أخفيا نفسيهما في بيت عائلة مسيحية خلال مدة المحنة. وكان جميل صدقي الزهاوي يرتدي سترة وبنطلوناً ومعطفاً طويلاً إلى تحت الركبة ويلبس في رأسه عمامة وكان المذكور إذا أراد أن يرتكب المعاصي رفع العمامة أي القماش الأبيض من الطربوش ووضعها في جيب المعطف فيصبح (أفندي) دون أن يفطن أحد إلى أمره. والمذكور جميل صدقي الزهاوي نزع العمامة بمناسبة الانقلاب مثلي ولم يعد إليها أبداً.

سببت انتحار المرحوم السيد عبد المحسن السعدون:

قال الأستاذ: إن الذي سبب انتحار المرحوم عبد المحسن السعدون هو الشخص المدعو طه الراوي وأن هذا الشخص كان يدعى بديوي، فسمى نفسه طه وهو من الجواسيس الإنكليز الذين يعتمد عليهم وكان في أحد الليالي جالساً مع المرحوم عبد الحسن السعدون في حزب التقدم مع اثنين من أعضاء الحزب، حيث كان طه الراوي منتسباً إلى حزب التقدم الساعة الحادية عشرة زوالية بعد الظهر، فدار البحث حول شؤون العراق العامة، فقال عبد المحسن السعدون، «إن الإنكليز لا يعطون حقاً وهم لا يخضعون إلا بالقوة، وعلى الشعب العراقي إذا يريد أن يأخذ حقه أن يعلن الثورة على الإنكليز»، وبعد أن انفض المجلس وترك عبد

المحسن بناية الحزب، ذهب طه الراوي من ساعته إلى مقر المندوب السامي، وكان السير جلبرت كلايتون، وأخبره بما تكلم به عبد المحسن السعدون، فأرسل المندوب السامي المذكور على عبد المحسن وجلالة الملك فيصل، وأمام جلالة الملك سأله عما قاله، فلم ينكر عبد المحسن ما نطق به وقال: «ما قلت إلا الحق»، وبعد مرور يومين انتحر عبد المحسن.

ثورة على الشيخ مطلك:

قال الأستاذ: وبعد أن انتحر السيد محسن السعدون أرسل الإنكليز الشيخ مطلك وهو أحد جواسيسهم المشهورين وهو رجل من رجال الدين في الفرات يرتدي العمامة والجبة على زي الروزخونة، وصادف أني شاهدته في المرة الأولى من النافذة وهو يطرق الباب وكنت أسكن في بيت في (كوكنظر)، فأمرت الخادم بأن لا يفتح الباب له، فانصرف، أما في المرة الثانية، فقد كنت غائباً عن البيت، فلما رجعت وجدته جالساً بداخل غرفة الاستقبال يصلي فتركته وشأنه وأمرت فأحضر ليّ الشراب وأخذت أشرب وبعد أن شربت بعض الأقداح قلت للمذكور، «أنت لِمَ تصلي في هذه الغرفة وهو محل غير نظيف، يشرب فيه العرق»، فأجابني بلغة أهل الصحن وبأسلوبهم اللين، «إنما محلكم نظيف يا أستاذ والعرق بالقدح»، ثم شربت وقلت له، «أنت رجل جاسوس ووضيع، فلمَ تتزيا بزي الشيخ وتلبس العمامة والجبة»، فأجاب بقوله، معاذ الله يا أستاذ أن أكون كذلك، فقلت له «إن العمائم والجبب في هذا العصر تضم جمهرة كبيرة من الأنذال السفلة عديمي المروءة والوجدان أمثالك» ثم شربت وقلت له ما حملك على المجيء إلى هنا. فقال، إننا تلاقينا في

محلات كثيرة وأخذ يروي مقابلات ومحلات لا حقيقة لها، وتذكرتك وجئت لزيارتك، فشربت، ثم قلت له اخرج من هنا يا عدو الله إذ ليس لديَّ شيء سري، ما أقوله في مجلسي، أقوله في المحلات العامة، (ألعن أبوك وأبو الذي أرسلك) وطردته. وقد ورد لي أن الشيخ مطلك أرسل من قبل الإنكليز إلى السيد فخري الجميل وهو من أشراف بغداد وأعيانها، فأخذ المذكور يلازم السيد فخري ملازمة المرء لظله، فيأتيه صباحاً إلى ديوانه ولا يتركه إلا عند النوم ويتناول طعامه معه والسيد فخري الجميل يداهنه ويجاريه مخافة شره وبقي على هذه الصورة تسعة أيام وهو من الجواسيس غريبي الأطوار.

والشيخ مطلك هذا اشترك في تأبين السيد شكري الألوسي في بيته وكان حاضراً المجلس سالم بن محمد آغا وهو رجل فكه للغاية فأراد أن ينصرف، فقال له بعض الحاضرين، لا تترك المجلس، فقال لمَ، فقيل له لأن الشيخ مطلك سيقرأ قصيدة «حويزة» وكان إذا قرأ يغني بإلقائه، فقال سالم، «إذاً أروح أجلب قنينة عرق وأعود».

أقاربه:

الآن شيئاً عن أقاربي لأمي، فلي الآن أولاد خال اثنان وهما محمود وصالح أولاد أنصيف، وهم حتى الآن يترددون عليّ ويزورونني عند قدومهم من البصرة لأنهم يسكنون هناك، ويشتغلون حدادين في الدوب والماطورات ولي ابنة خالة واحدة والدها من أهالي سامراء وهي مدرسة الآن في تلك البلدة.

إيمان الأستاذ:

قال الأستاذ: إني أؤمن برسالة النبي محمد إيماناً تاماً عن علم ودراية لأنها ترمي إلى أشرف غاية وهي إسعاد البشر ويقول فلاسفة المسلمين من الصوفية، بأن هناك ناحيتين في الدنيا، وهما الناحية الشرعية والناحية العقلية، وإن الناحيتين قد (تتوافقان في بعض الأمور وتتخالفان في أخرى)، وفي هذه الحالة يجب ترك الأمور وعدم التعرض إلى الناحية الشرعية، إذ قد يكون العقل قاصراً عن فهم الغرض الشرعي، أنا أقول إن الناحية الشرعية والعقلية متوافقتان تماماً في جميع الأمور، وقد دققت ذلك ببعض النواحي التي تطرقتها في كتابي الشخصية المحمدية ورسائل التعليقات عند تعرضي لها في سياق البحث وإذا اعتبرنا النواميس الطبيعية التي عبر عنها القرآن بسنة الله التي لا تقبل التبديل هي قدرة الله، انحلت المعضلة وأصبح عدم وجود تنافر بين الناحيتين الشرعية والعقلية.

الحاجة للدين:

قال الأستاذ، إن الأمة إذا كانت متأخرة مادياً ومعنوياً، فهي أحوج ما يكون لانضباط الدين لأجل أن يكون الوازع فيها، ولكن الأمة إذا كانت متحضرة ومتركزة فيها الآداب والنظام والتشكيل الحكومي فيها دقيق فهي، أقل حاجة إلى الدين لأن الدين لمثل هذه البيئة أيضاً ضروري لأنه لا يوجد في الكون شيء يقتل الإنسان مثل اليأس والدين يقضي على اليأس كما أن هناك أفعالاً لا يتطرق إليها القانون والنظام يقتضي لها وازع ديني ليردع عن إتيانها. وأفضل الأديان التي تؤدي هذه الجوانب هي الديانة الإسلامية.

ولكن الأستاذ مع إيمانه بالإسلام لم يكن يقلد مذهباً خاصاً وكان يقول، لقد عاش المسلمون ردحاً بعيداً من الزمن دون مذهب قبل أن تظهر المذاهب، فأريد أن أعيش على طريقة هؤلاء وهم خيرة الإسلام وصفوته. وكان يرى أصحاب المذهب السني والشيعي على ضلال لأنهم خرجوا وابتعدوا ابتعاداً عن روح الإسلام وكان يقول: إن كتب التاريخ قد تكلمت بإسهاب عن تأسيس المذهب الشيعي والغرض منه وهو ثل مجد العرب والنيل منهم وتقويض مدنيتهم القائمة على القرآن، وأنا إذا سمعت أن رجلاً أعجمياً يعتنقه لا يأخذني العجب، ولكن العجب كل العجب أن يكون العربي شيعياً ولو سئلت ما هو أغرب شيء شاهدته في حياتك لقلت (وجود عرب متشيعون). وأفاد بأني أوردت ذلك في الرسالة «العراقية». وقال وإذا كان المقصود بالتشيع هو محبة آل البيت كما يوهمون العوام، فإني لا أعتقد أن عربياً يجري بعروقه الدم العربي لا يحب النبي وآله، إذ إن النبي هو الذي خلق العرب من العدم إلى الوجود وهو مؤسس مجدهم وكيانهم، فمحبته ومحبة آله فريضة على العرب ونرى عرب العراق الممسوخين في هذا العصر الذين سلخوا من دين الإسلام وأباحوا لأنفسهم المحرمات وعطلوا الفرائض يتمسكون بالنعرة المذهبية لأغراض مادية شخصية، مع أنهم غير مسلمين بالنظر لأفعالهم.

روى شخص إلى الأستاذ أنه قرأ في كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أن النبي عندما عرج به شاهد على باب الجنة البيت الآتي:

خلقت علياً قبل الورى
ومن أجل علي خلقت الورى

فثار الأستاذ وقال، «أريد يوماً أن أخرج على المنارة فأصيح بأعلى صوتي، «يا قوم إني أكفر بجميع ما تؤمنون به، وأدعهم يعملون بي ما شاؤوا بعد ذلك لأنهم يريدون منا أن نضع عقولنا بعجوزنا ونحن نطلب منهم أن نضعها تحت أحذيتنا فيمتنعوا. إنهم يجعلوننا نتعرض للنبي الكريم وصحابته الأطهار وآله الأبرار بهذا الهراء المشين».

وقال الأستاذ، «إن أهل السنة يذكرون بلال الحبشي في الآذان خمس مرات في اليوم في الملحق الذي أضافوه إلى الآذان في حين أنهم لا يرضون من الشيعة أن يقولوا في الآذان علياً ولي الله، ومركز بلال في الرعيل الأخير من الصحابة ودون مركز الإمام علي ببون شاسع.

الشيخ رضا الطالباني:

قال الأستاذ، «كان الشيخ رضا الطالباني يحسن اللغة العربية والتركية والكردية والفارسية، وكان يجيد الهجاء وهو أهجى من جرير ولم يرد له شعر في غير هذا الباب وشعره قليل.

وقعت بينه وبين جميل صدقي الزهاوي مهاجاة فتغلب على جميل وهتكه، لأن لسانه سليط وشعره فاحش للغاية، ومن جملة ما أتذكره من هجو الشيخ رضا لجميل قوله:

أم جـــــميـــل ولدتـه مـن ورا
إن كـنـت لا تـعـــرف ذا
أمـا ترى في وجـهـه المصـفـر آثار الخـرا

ومن شعره في جميل أيضاً:

قـبـيل الموت قـال أبو جـمـيل
لامـرأته اصـبـري صـبـراً جـمـيـلا

فـمـا صـبـرت عن الفـحـشـاء يومـاً

وقـد جـعلت سـبـيلهـا سـبـيـلا

قال الأستاذ ، وكان بين الشيخ رضا الطالباني ومفتي بغداد السيد يوسف العطا برودة وفي أحد الأيام تلاقيا في بيت السيد محمود النقيب في باب الشيخ، فتمثل المفتي في البيت التالي وكان ينشده بتأنٍ وإمعان:

تـه دلالاً فـأنـت أهـل لـذاكـا

وتحكم فـالحـسـن قـد ولاكـا

وفي الحال أجابه الشيخ رضا الطالباني:

خـذه مني مـفـضـضـاً ببـصـاق

وأعطيناه مـذهـبـاً بخـراكـا

وقد زعل المفتي وترك المجلس.

في القاهرة

ذهب الأستاذ مع الوفد إلى مصر:

قال الأستاذ في عام ١٩٣٧ في عهد وزارة ياسين الهاشمي، ألف المذكور وفداً وأرسله إلى مصر لتوثيق عرى الصلات الأخوية العربية بين القطرين وكنت أنا أحد أعضاء الوفد ولم نزود بمعلومات ولا كان لنا برنامج ولم يكن للوفد رئيس لئلا يضطر ياسين على نصبي رئيساً للوفد وكان من أعضاء الوفد علي محمود الشيخ علي والسيد مكي الأورفه لي ووالده والمرحوم السيد سعيد ثابت وعند وصولنا فلسطين رأيت أن سفرنا بغير انتظام وحركاتنا غير منسجمة فنتغالب على ركوب القطار

وكل واحد يجلس في جهة كأنه لم تكن علاقة تربطنا ولهذا قلت إلى سعيد ثابت، أرى من المصلحة لأجل أن نظهر بمظهر لائق أن تتولى أنت رئاستنا فوافق بقية الأعضاء وما رأسنا المذكور حتى أخذ يستبد بنا ويتصرف فينا تصرفاً شاذاً، ولذلك اضطررت بعد ذلك أن أترك الوفد وأرجع وحدي بعد أن قضينا مدة أسبوعين في القاهرة، من ذلك أنه قال لنا بعد وصولنا القاهرة، «تعالوا آخذكم إلى النحاس لنزوره» وكان النحاس وقتذاك خارج الحكم، فقلت له بأي مناسبة نذهب إلى النحاس ونزوره فهو مصري وهذه بلاده ونحن ضيوف مصر فمن حق الضيافة أن يزورنا هو وامتنعت من الذهاب معهم، فذهب هو وأعضاء الوفد وتخلفت أنا عنهم.

طه حسين:

وإن أنسى فلا أنسى فضل الدكتور طه حسين فإننا كنا مدعوين في حفلة ولما انتهت الحفلة خرجنا وفي الطريق تقدم مني شخص وقال لي إن الدكتور طه حسين واقف يريد أن يسلم عليك، وكان الدكتور غير مدعو للحفلة ولكنه حضر وانتظر في الطريق للتسليم عليَّ وقد أخجلني بكرم شمائله هذه فبعد أن سلمت عليه اعتذرت منه وقلت له في نيتي زيارتك وإن سأزورك إن شاء الله في بيتك، فقال لي أنت مع أفراد الوفد مدعوون عندي على حفلة شاي في بيتي وبالطبع سأراك فودعته شاكراً أفضاله وبالفعل حضرت الحفلة التي أقامها المذكور بفرح.

قال الأستاذ: إن الدكتور طه حسين هو أعلم أدباء مصر قاطبة وهو من العلماء الأحرار ولكن يلام بشيء واحد أنه يماشي رجال الدين بعضاً، والعالم يجب أن يقول الحقيقة ولو أغضب الغير كائناً من كان.

حمد الباسل:

وفي أثناء وجودي في مصر نظمت قصيدة وقد علم بذلك عبد العزيز الثعالبي فأشار المذكور على المرحوم حمد الباسل باشا أن يعمل حفلة في بيته ويدعو لها لأجل أن تلقى القصيدة في بيته، فعمل الباسل بإشارة عبد العزيز الثعالبي وعمل حفلة كبيرة دعي لها زهاء خمسمئة رجل تقريباً من أعيان مصر ووجوهها وفي الحفلة قبل إلقاء القصيدة ألقيت كلمة موجزة قلت فيها، إننا في مصر نلبي اليوم دعوتين صباحاً ومساء وليس لدي الوقت الكافي لتنظيم قصيدة ترضيني، فقد نظمت القصيدة التي سألقيها عليكم وأنا لا يهمني أن تقولوا لي أحسنت وإنما يهمني أن تقولوا لي أصبت ثم تلوت القصيدة إلى أن تعرضت بشأن الأقباط في البيت التالي:

وليس فرعون ممن شط به
عن العرب العرباء في النسب

(البيت لا أحفظه يراجع الديوان»[1].

فقام أحد الحاضرين وهو يصيح أن أقول أحسنت زيادة على قولي أصبت، وقد طلبوا مني أن أنشد القصيدة في الراديو ففعلت.

شوقي وحافظ:

وكان المرحوم شوقي حياً وقتذاك ولكنه لم يزرني ويسلم عليّ فأنا لم أزره ولذا فإني لم يسبق لي أن تلاقيت مع هذا الشاعر ولا مع حافظ إبراهيم.

طرفة:

وبمناسبة القصيدة هذه التي ألقيتها بالراديو من مصر خطر لي خاطر فكه، هو أنه يوجد في قضاء الفلوجة سركال يدعى عباس العبد الفرحان

وهذا الشخص كان لا يصدق بكون الراديو حقيقة وكان يدعي بأنه حيلة من حيل الصناعة ولكني بعد رجوعي من مصر أخبرني المذكور أنه آمن بصحة الراديو، وقال لأني أعرف صوتك حق المعرفة وسمعت كلامك ولما كنت في مصر تحققت أن الراديو ينقل الأصوات من البلدان.

بدأ عهد التأليف:

قال الأستاذ: زرت في أحد الأيام السيد كامل الجادرجي، فقدم لي كتاب، «مع أبي العلاء في سجنه»، للدكتور طه حسين وذلك في عام ١٩٤٢، فكتبت رسالتي الرابعة من رسائل التعليقات «على باب سجن أبي العلاء»، لأن الدكتور طه حسين ضرير قبل أبي العلاء، فهما حبيسا سجن واحد، لذا اخترت العنوان على باب السجن كأني أسمع ما يدور بينهما ومن غريب المصادفات أني أفقد بصر عيني اليمنى فأصبحت على باب سجن أبي العلاء حقيقة وقال الأستاذ، إن عيني اليسرى كانت أضعف نظراً من اليمنى ومع ذلك فقدت عيني القوية وبقيت عندي الضعيفة ويقول الدكتور لقد باشر فيها ماء أبيض ولكن لا يوجد خطر منه وقد يستمر عشرين سنة دون فعل ما ولكنه منعني من المطالعة.

قال الأستاذ: إني كتبت رسائل التعليقات الثلاثة، الأولى عن التصوف الإسلامي والثانية عن النثر الفني والثالثة عن كتاب المستشرق الطلياني كيتاني في عام ١٩٤١، وكيفية كتابة هذه الرسائل إنه بعد حركة رشيد عالي، جئت من الفلوجة إلى بغداد ونزلت ضيفاً في بيت السيد خيري الهنداوي في الأعظمية، فمللت من البطالة، فصحت على ولده وسألته أن يعطني كتاباً ألتهي وأتسلى به، فأعطاني كتاب «التصوف

الإسلامي» فكتبت الرسالة الأولى عنه ثم طلبت منه كتاباً ثانياً فأعطاني كتاب «النثر الفني»، فكتبت عنه الرسالة الثانية ثم إني زرت السيد كامل الجادرجي في بيته وهناك اطلعت على الترجمة التركية لكتاب «كيتاني» فاستعرتها من المذكور وكتبت الرسالة الثالثة عن النقاط المهمة التي في الكتاب، ففي الكتاب نقاط كثيرة يجب أن يتناولها المرء بالبحث ومع العيوب الكثيرة التي في الكتاب فهو كتاب قيم ثمين.

الشخصية المحمدية:

قال الأستاذ إني لما سئمت العيش في بغداد وقررت أن أرحل عنها اخترت الفلوجة وقد شوقني إليها آل عريم الذين تعرفت إليها بواسطة السيد عبد القادر المميز ومنذ اختياري للفلوجة عزمت على تأليف كتابي «الشخصية المحمدية» أجلو بها سيرة المختار وفعلاً باشرت بتأليفه عندما وضعت قدمي في الفلوجة وأنا إذ كان عملي ناقصاً فسببه قلة المصادر التي لدي فأنا ألفت هذا الكتاب وليس لدي من أمهات المصادر سوى أربعة وهي: السيرة النبوية للحلبي، وسيرة ابن هشام والتفسير للزمخشري ومعجم البلدان، وهذه الكتب الأربعة هي أيضاً ليست ملكي وإنما استعرتها من السيد مصطفى علي.

كتبه:

وقال الأستاذ شارحاً إن آثاره هي أولاً «الديوان» ويوجد شعر كثير خارج الديوان جمع بعضه السيد مصطفى علي، وثانياً كتاب «الآلة والأداة» وهو يتضمن أسماء الآلة والأداة على أنواعها ما دق وعظم في

اللغة العربية ويتألف من ثمانية أجزاء، فقدت سبعة أجزاء منها وبقي جزء واحد فقط، وكتاب «أبو العلاء» ويتضمن ثمانية وعشرين رأياً مقتبسة من اللزوميات، وهذا الكتاب أرسل إلى جريدة «المكشوف» في بيروت لطبعه ولم يصدر حتى الآن، وكتاب «الشخصية المحمدية» حلّ اللغز المقدس والمحاضرات في دار المعلمين العالية والمحاضرات الملقاة على مدرسي المدارس ورسائل التعليقات والنسخة الأصلية موجودة الآن في مصر لدى الأستاذ عبد الوهاب عزام، فإنه شاهدها عندما كان في بغداد فطلب مطالعتها فأعطيتها له وبقيت عنده وقبل سفره دعاه السيد طه الراوي إلى وليمة وكنت أحد المدعوين وأحضر السيد عبد الوهاب عزام الرسائل وأخذ يطري عليها ومما قاله أن معروف الكرخي ليس الصوفي الوحيد بل إن معروف الرصافي قرين له في الصوفية، فقلت له أنا لم أعطك الرسائل لأجل أن تطريني بل أردت أن أعرف رأيك حول نشرها في مصر لأني حسبما أسمع أن في مصر مطابع كبيرة تطبع الكتب النافعة، فأجابني إذا كان الأمر كذلك سآخذ الرسائل معي وسأراجع المطابع عنها وإن لم أتمكن من نشرها سأعيدها إليك، فشكرته وكان معه اثنان من الأساتذة المصريين في كلية الهندسة وقال سأعيدها إليك مع أحد هذين الأستاذين عند رجوعهما إلى العراق بعد العطلة، فشكرته. ومنذ سفره عام ١٩٤١ حتى الآن لم أحصل منه على شيء وحيث أن السيد مصطفى علي له نسخة استنسخها لنفسه فإني استعرت نسخته وطبعتها في بغداد وكتب لي الأستاذ زكي مبارك كتاباً في مجلة «الصباح» يطلب مني نسخة من كتاب «رسائل التعليقات»، وأنا كتبت له أن يراجع عبد الوهاب عزام ويأخذ منه النسخة الأصلية المكتوبة بخط يدي ويحتفظ بها لنفسه وإن شاء الله فليعد طبعها على أن يكون الربح له.

زكي مبارك:

وبمناسبة ذكر الأستاذ زكي مبارك، قلت للأستاذ إني لم أقرأ كتاب «التصوف الإسلامي» و«النثر الفني»، ولكن المعروف عن الأستاذ زكي مبارك أنه كان في كتبه يعمل للدعاية لنفسه أكثر مما يهتم للمادة، ولا أعلم إذا كان الكتابان من هذا الصنف، فأجابني ليس هكذا، ظلمت الرجل إن كتابيه فيهما بعض الأخطاء ولكنهما (أثرين قيمين فريدين في بابها). وقال الأستاذ إن أول تعرفي بالدكتور زكي مبارك إنه زارني بصحبة السيد ثابت عبد النور في الفلوجة ثم توالت زياراته عليَّ بعد ذلك في الفلوجة وفي بغداد أيضاً.

أمين الريحاني:

قال الأستاذ إني بعد أن اخترت الفلوجة مقاماً وباشرت بكتاب «الشخصية المحمدية» انتخبت نائباً وبالطبع استلزم الأمر إقامتي في بغداد في هذه الأثناء زار السيد أمين الريحاني العراق وكان في كل ليلة يحضر إلى بيتي ويشرب العرق معي وكان أثناء مجلس العرق تدور بيننا أحاديث ومحاورات، وبالطبع باعتبارها واقعة في مجلس عرق (تكون جمال من شكر) وكان قد اطلع المذكور على الدفاتر العشرة التي كانت جاهزة من «الشخصية المحمدية» فلما رحل كتب جميع ما دار في مجلس الخمر وقد سبب هياجاً بكتابه ضدي منعني من أن أخرج من البيت ولهذا اضطررت إلى أن أكذب جميع ما رواه ونقله المذكور عني.

قال الأستاذ، روى لي بعضهم أن الأستاذ أمين الريحاني قد ارتكب اللواط فتعجبت من ذلك فمما هو مشهور عن المسيحيين ابتعادهم عن

هذا العمل، فسألت الأستاذ أمين وهو يشرب الخمر عندي فقال لي إن للخبر صحة فإني عندما ذهبت إلى بلاد نجد اشتد بي الشبق فشكوت ما بي إلى المرافق الذي أرفقه معي جلالة ابن السعود فقال لي أما البنات فشيء متعذر محفوف بالمخاطر وهو مع ذلك قليل وغير لائق أما الأولاد فممكن وقد فعلت الفعل للضرورة.

نوري السعيد:

قال الأستاذ إن أول تعرفي بنوري السعيد إني لما كنت في الأستانة قيل لي إن شاباً يريد مواجهتك فلما أذنت له تقدم مني الشاب وعرفني بنفسه وكنت أعرف والده سعيد أفندي وقدم لي المذكور صورة فوتوغرافية له مكتوب بظهرها ما معناه «ما من أمة تقدمت وارتفعت إلا بفضل شعرائها».

وإني لأتخطر نكتة وقعت لي مع السيد نوري السعيد وهي إني بينما كنت أسير في شارع الرشيد قرب رأس القرية شاهدت بالطرف الثاني من الشارع شاباً رشيقاً جميلاً ولما عبرت الشارع إليه وجدته نوري السعيد فسلمت عليه وتركته مسرعاً.

نشأة الأستاذ:

قال الأستاذ أرسلت صغيراً إلى اللالا (وهو مدرس القرآن) وبعد أن بقيت مدة عنده أدرس القرآن ختمت فأرسلت إلى المدرسة الابتدائية وكانت في جامع وفيها مدرسان، مدرس أول ومدرس ثانٍ، ثم بعد ذلك انتقلت إلى مدرسة الرشدي عسكري وتتألف من أربعة صفوف فاجتزت

صفين منها، وفي الصف الثالث رسبت فأثر هذا الحادث بي تأثيراً كبيراً فتركت المدرسة المذكورة وقررت أن أدخل إحدى المدارس الدينية وأطلب العلوم الدينية، وكان طلابها آنذاك محترمين في البلد ولهم منزلة وقد دخلت في مدرسة جامع الحيدرخانة ومدرسها السيد محمود شكري الآلوسي وأول ما درست فيها كتاب الأجرومية ثم شرح خالد وكان يدرس الطلبة الذين هم أقدم مني تحت إشراف المدرس السيد محمود شكري ولما شاهد السيد محمود إقبالاً شديداً للدرس أخذ يتعهدني بالتدريس بنفسه وأتذكر أنني عندما كنت أدرس الألفية لابن مالك كان قد طلب من أحد تلامذته وكان يدعى عبد اللطيف العربي أن يتولى تدريسي وكان المذكور يدرس في السيوطي ولكن لما لم يحسن المذكور تدريسي أخذ السيد شكري يدرسني بنفسه ثم انتقلت إلى السيوطي فأخذت أدرس مع عبد اللطيف الذي كان سابقاً يدرسني وكان المذكور بليداً مما اضطر السيد شكري أن يعهد إليّ أمر تدريسه السيوطي وكان في بادئ الأمر لي غرفة في الجامع آوي إليها نهاراً لأجل الدرس ثم أخذت أسكن فيها وانقطعت عن الذهاب إلى بيتي في محلة القراغول إلا في المناسبات وكان يسكن معي في الجامع طالب واحد فقط، والطلبة في عهدنا على نوعين، قسم يطلب العلم حقيقة ويداوم في جميع الأيام ويلازم المدرس، وقسم يسجل اسمه ولا يداوم لغرض التخلص من الجندية، ولهذا كان المداومون الطلبة الحقيقيون لا يزيدون على الاثني عشر طالباً على اختلاف درجاتهم. وقد انضم مؤخراً إلينا في الجامع المذكور السيد مسعود الآلوسي وسكن في إحدى الغرف والمذكور هو أخ السيد شكري الآلوسي، وكن سكيراً فاسقاً، ثم فجأة ترك الفجور وتدين وانعكف للعبادة بالجامع. وأذكر عن المذكور

نكتة، وهي تتعلق بأن الناس مع الشهرة فإني ذات يوم كنت مع المذكور جالسين في باب جامع الحيدرخانة، فتلوت عليه بيتين من نظمي استحسنهما وسجلهما ثم سألني (عمن قالها، فقلت له إنها لي، فشق المذكور الورقة وقال كنت أظن أنه لأحد الشعراء)، ثم بعد مرور مدة صادف جلوسنا في ذات المحل، فتلوت عليه بيتين من شعري، فلما سألني عن الشاعر قلت له المتنبي، فكتبها، ثم أفضيت له بالحقيقة، فأخذ يحلفني، فقلت له إنك لا تفهم الشعر لأني إذا قلت لك الشاعر مشهور ثبتها، وإن قلت لك لي، مزقتها مع أن العبرة بالمادة لا بالشخص القائل، فأبقى الورقة.

بداية نظمه الشعر:

قال الأستاذ وأنا قلت الشعر وعمري ستة عشر عاماً، وأول ما نظمت من الشعر الرجز على طريقة ألفية ابن مالك نفسها وأنا لا أتخطر أول بيت نظمته وكان شعري إلى أن بلغت الرابعة والعشرين من عمري ضعيفاً غير متكامل، وقد أصبح القراء يهتمون بشعري بعد هذا العمر وقد جمعت ما نظمته من الشعر (بين السادسة عشرة والأربعة والعشرين) في كراسة وكانت هذه الكراسة موضوعة في غرفتي التي بجامع الخاتون، فشب في الغرفة حريق واحترقت الكراسة.

أساتذته:

قال الأستاذ وبقيت أطلب العلم اثني عشر عاماً حتى ارتويت، ولم أجد ما أنتفع منه، وكانت دراستي للعربية على يد المدرس السيد محمود

شكري الآلوسي، وكان أعلم أهل زمانه في هذا الباب، ودرست المنطق والأصول على يد عبد الرحمن القرداغي (أعلم زمانه في المنطق في جامع بابا كركر في الرصافة). ودرست الفقه على يد المدرس عبد الوهاب النائب في مدرسة الخاتون، ودرست البديع والبيان على يد عباس القصاب في مدرسة الشيخ صندل بالكرخ، وكنت أدرس بعضاً في مدرستين.

الشواهد:

وكان السيد شكري الآلوسي يتعهدني كثيراً وقد وضع تحت تصرفي جميع كتبه وفيها كتب ثمينة وأنا مدين للمذكور بكتبه، وأسجل هذه كدين له لأني كنت أستعير ما شئت من كتبه وكان من بين تلك الكتب «الشواهد»، وهي كتب تضم الأبيات التي يوردها أهل الأدب شاهداً لإثبات قاعدة ما، وقد صنف المتقدمون كتباً جميع الشواهد فيها، ويذكرون ما سبق البيت وما يلحقه، وبعضهم يذكرون القصيدة بكاملها للتنوير. وكنت مولعاً بكتب الشواهد ومنها حفظت ما يقارب الخمسة عشر ألف بيت شعر، وكانت العادة أن المدرس أثناء التدريس يضع بجنبه أحد كتب الشواهد ليرجع إليها أثناء التدريس. ولكن السيد شكري الآلوسي استغنى عن كتاب الشواهد وكان يقول للتلاميذة مشيراً عليّ «هذا كتاب الشواهد». وكان إذا أراد الاستشهاد ذكرت له البيت وما قبله وما بعده وما قاله إلى آخره، فالمذكور لذلك كان يسميني «الشواهد».

اسم الرصافي:

قال الأستاذ وهو أول من سمّاني بالرصافي، وسبب التسمية أن المذكور ألف كتابه المعروف «بلوغ الأدب في أحوال العرب» وطبعه في

مطبعة أهلية تعود لشخص يدعى «علي أفندي» في سوق السراي وعهد إليّ أمر تصحيحه وإني قرضت الكتاب المذكور بعدة أبيات كانت مصدرة في مقدمة الطبعة الأولى وكنت قد كتبت أسفل الأبيات اسمي «معروف». فلما شاهد السيد محمود شكري أعجب به إعجاباً وقال لي، اكتب بعد اسمك، الرصافي لأنك معروف الرصافة، والكرخي هو معروف الكرخ. فلم أفعل، فكتب ذلك بخطه، فصار يناديني بالرصافي وهو الذي أذاعه ونشره فغلب عليّ.

قال الأستاذ وبعد أن أتممت دراستي التي دامت اثني عشر عاماً تعينت مدرساً في مقاطعة الراشدية العائدة للسيد عبد الوهاب النائب. فإن المذكور كان يحتاج كاتباً لمقاطعته، يعاون الوكيل، فتشبث بإنشاء مدرسة، فأنشأت الحكومة مدرسة وعينتني مدرساً فيها، وقضيت فيها سنة واحدة ثم نقلت إلى مدرسة علي أفندي في رأس الكنيسة، وهو مسجد فيه مدرسان أول وثاني، وقد تعينت مدرساً ثالثاً، وقبل أن أنهي السنة انتقلت إلى مدرسة الإعداد العسكري مدرساً للغة العربية وبقيت في هذه المدرسة ثلاث سنوات وبعد ذلك تمت المشروطية وسافرت إلى الأستانة على النحو الذي ذكرته.

رسائل التعليقات:

قال الأستاذ بصدد طبع كتابه «رسائل التعليقات»، عند عرض الكتاب على مديرية الدعاية العامة للسماح بطبع الرسائل فإن وكيل المدير العام، السيد ناجي الفلسطيني حذف من الرسائل بعض العبارات وأضاف عليها بعض العبارات، زيادات من عنده، شوه أساس المعنى دون

أن يستشيرني، ذلك أني ذكرت عن وفد ثقيف لما جاء النبي، عام الفتح، طلبوا من النبي أن يعفيهم من الصلاة فامتنع وقال: (لا خير في دين لا صلاة له)، ثم طلبوا أن يعفيهم من الصيام، فقال لهم: (أجزت لكم أن تفطروا قبل المغرب وأن تمسكوا بعد طلوع الشمس)، فأضاف السيد ناجي الفلسطيني من عنده العبارة التالية: (وذلك قبل فرض الصيام)، مع أن الصيام فرض في السنة الخامسة، ووفد ثقيف وفد على النبي في السنة الثامنة، ثم لم يتنبه السيد ناجي المذكور أنه إذا لم يكن مفروضاً الصيام فلم يطلبون أن يعفهم منه ولكنه بعقلية ملا نظر للأمر، وقال إنه إذا كان مفروضاً كيف يتساهل النبي في الفرض. لهذا أضاف الزيادة المذكورة من عنده. ثم إن المفسرين وأصحاب السير، كانوا يعبرون عن الصراع الذي ينتاب النبي بقول، (يأخذه ما يأخذه عند الوحي)، وأنا عبرت عنه بالصرع، فامتنع وبدل الصرع، وقال إن السيدة عائشة كانت تقول ذلك، مع أني قلت له إن عبارة الصرع تعني سورة الألم وشدته أثناء الحمى، إلا أنه أحرن فاضطررت على قبول التصحيح، وعدد الأستاذ عدة تصرفات مثل هذه وقال الأستاذ ربما قرأ الناس، وعدوها غلطاً مني.

الأستاذ وابن السعود:

وعند قيام جماعة بمحاولة اغتياله، كما هو معروف، كنت في الفلوجة، فزارني الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية السيد إبراهيم المعمر ثلاث مرات إلى الفلوجة، وكان في كل مرة ينتخب لزيارتي سبباً، فمرة يدعي أنه زار سن الذبان ومر بي، ومرة أنه خرج للصيد وفي كل مرة كان يلوح لي بقصيدة الاغتيال، وكان يقول: هلا قلت في ذلك

شعراً. وكان قد مر على الحادث ما يقارب سبعة الأشهر، فكنت أعتذر عن ذلك متعللاً بأنه قد مر زمن بعيد على الحادث، ولم يبق مناسبة لقول الشعر فيها، ولكن تجاه إلحاح المذكور اضطررت أن أنظم القصيدة التي نشرها المذكور في الجرائد المحلية في حينه، وبعد مرور مدة وصلني من المذكور حلة، جلبها لي إلى الفلوجة أحد رجاله، وكانت تتألف من زبون وزخمة وسترة وغترة وعقال وعباءة، وإن جميع هذه الألبسة لم تكن من الطراز الذي ألبسه، فهديته ما خلا العباءة، فقد أبقيتها عندي وكان فيها ياخة من الكلبدون عريضة، وأنا أبقيتها ولم ألبسها لأني لم آلف لبسها. وأخيراً عند سفري إلى لبنان أخذتها معي بناءً على أن ألبسها هناك. ومع أن هناك لا يعرفني أحد لم أجرؤ على لبسها. وذات يوم كنت في الأوتيل في عاليه. وذكرت خبر العباءة، وكان بين الموجودين أحد مشايخ الدليم يدعى حسين، الذي لا أتخطر اسم أبيه، فقال لي يا أستاذ بعها لي، فقلت له: غداً أرسلها لك. وفي اليوم الثاني أرسلتها له مع كتاب ذكرت له فيه أن العباءة أرسلت لي هدية والهدية لا تباع ولذا فأنا أهديها له لرغبته فيها. وبهذه الصورة انتهت قصة العباءة.

أثر شعره:

قال الأستاذ، لما ألقي البيت التالي على ابن السعود وهو:

فلا يا ابن الرشيد بلغت رشداً
ولا نلت السعود يا ابن السعود

قال ابن السعود: لقد أخطأ الشاعر لأني نلت السعود وأصبحت ملكاً، وهذا يدل أني كنت على حق في ما قمت به ولكن هذا البيت لم

يسبب حقده عليّ بقدر ما تركته القصيدة البائية التي قلتها في أمين الريحاني، لأن الريحاني كان قد زار نجداً وأنا تعرضت في القصيدة إلى نجد وقلت سائلاً الريحاني فيما إذا كان أهل نجد لازالوا باقين على تكفير من يحلق اللحى والشوارب كما هو مذكور في القصيدة وأنه اغتاظ من هذه القصيدة كثيراً فيما نقل لي وهي:

لقد زرت نجداً يا أمين فقل لنا
أتذكر من أخبار نجد جوانبا
فما حالة الإخوان فيها فإننا
نرى الناس عنهم يذكرون الغرائبا
فهل كفروا من ليس يرسل لحية
وهل فسقوا من ليس يحفي الشواربا
وما أنا من قوم يدينون باللحى
ولم يقبلوا إلا من الحلق تائبا

النفاق:

قال الأستاذ: عندما كنت أصدر جريدتي «الأمل» كان الأستاذ صالح شكر، يصدر جريدته «الزمان»، أعطي المذكور مبلغاً قدره خمسمئة روبية لأجل أن يحمل عليّ ولذلك أخذ المذكور يتعرض لي وبقي على هذه الحالة مدة سبعة أيام، وأنا لا أتعرض به، وذات يوم صادفني في شارع ابن الرشيد السيد حليم الحافاتي وعبد اللطيف ثنيان وكانا من المنافقين، فأخذوا ينهالون على إبراهيم صالح شكر بالسب والشتم بعد أن سلّما عليّ، وأنا بالطبع لم أجاريهما على ما كانا يظهرانه لأني أعرفهما

حق المعرفة. ثم انصرفا وكان يتردد إلى مجلس السيد فخري الجميل شخص يدعى، حسن شوكة، فجاء مساء إلى بيتي والغيظ يغلي في صدره، ولما سألته عن سبب غيظه، أجابني أنه كان في مجلس السيد فخري الجميل وكان حاضراً الأستاذ إبراهيم صالح شكر، وحضر على الأثر عبد الحليم الحافاتي وعبد اللطيف ثنيان فانهالا عليّ بالسب والشتم أمام إبراهيم صالح شكر، الأمر الذي جعله يدافع عني ويترك المجلس وهو حانق ومغتاظ. وإني أنشأت قطعة أدبية رائعة للغاية صدّرتها بالبيت التالي العائد للشاعر أبي النواس:

سيبقى بقاء الدهر ما قلت فيكم

أما الذي قلتموه فريح

وكان هذا الرد إلى البلاط الذي حرض الأستاذ إبراهيم صالح شكر عليّ، وكان ممن يشتغل في الجريدة شخص يدعى، سعد عبد الكريم، وهو من أهالي لبنان نسيب المستر سمرفيل المفتش في وزارة المعارف وهو من أهالي لبنان وكان قد تبرع من تلقاء نفسه لترجمة البرقيات الخارجية، وفهمت بعدئذ أنه كان جاسوساً عليّ. فدخل المذكور عليّ عندما كنت أصحح المقال واطّلع عليه فأخذه إلى الجهات المختصة. وفي الليل ذهبت إلى بيت السيد فؤاد محمود الدفتري، وهناك وجدت السيد أحمد الشيخ داوود، وكنت أذهب إلى بيت المذكور للعب البوكر، وهناك يحضر السيد عبد العزيز المظفر، وكان وقتذاك مديراً للمطبوعات وقال لي سمعت أنه سيصدر في الجريدة مقالة افتتاحية بهذا المضمون، وذكر لي القطعة المذكورة فاستغربت من وصول خبرها إليه، وعلمت أن سعداً هو الذي أخذها ورجاني أن أترك أمر نشرها وانضم إليه السيد أحمد الشيخ داوود

ورؤوف الدفتري، ولهذا اضطررت إلى أن أحذفها من الجريدة.

وقلت للمذكور أرسل أحداً إلى المطبعة لحذفها من الجريدة، ولكن بعد مرور ثلاثة أيام ذهبت بنفسي إلى المطبعة ليلاً وحذفت المقال الافتتاحي. وفي اليوم التالي ظهرت الجريدة «الأمل» والمقال على صدرها، وبعد مرور خمسة أيام بينما كنت صباحاً مسجياً فوق فراشي إذ دخل عليَّ السيد ياسين الهاشمي عند بزوغ الشمس وكان قد سأل عني فأخبر أني في غرفتي، فلما شاهدته قمت من فراشي واهتممت بأمره، فجلس واعتذر وقال إني كنت ماراً فأردت زيارتك ثم سألني عن المقال الافتتاحي وقال لي هل لديك دليل بأن ما كتبه السيد إبراهيم صالح شكر كان بتحريض من البلاط، فأجبته نعم، فقال وما هذا الدليل، فأجبته إن هذا أمر شخصي يتعلق بي وأنا لا أبيحه، لا أتفوه به إلا أمام القضاء، فبإمكان البلاط أن يحيل القضية إلى المحاكم، وأنا أبيّن الدليل، وبعد أن جلس السيد ياسين انصرف. ولهذا لما عيّن المذكور قائم مقاماً إلى الفلوجة لم نكن نتزاور. وقد أخبرني صالح البراك وكان يشتغل مضمداً في الفلوجة، أن المذكور عيّن أفراد شرطة لمراقبة محلي وتسجيل من يزورني. إن الشرطي الموكل إليه أمر المراقبة كان قد تعرض به وأخبره أنه معيّن من قبل القائم مقام للمراقبة، وبناء على المعرفة التي تربطهما طلب منه عدم التردد إلى بيت الأستاذ.

وبقي إبراهيم صالح شكر يضمر لي العداء وذات يوم أرسل متصرف الرمادي حسن فهمي المدفعي مهندساً من الرمادي لتحديد عرصة لي في مدخل الفلوجة، وكان هناك محجوز قطعة للسراي وكان يراد تحديد قطعة له بجانبي. فلما وصل المهندس إلى الفلوجة وسمع به إبراهيم صالح شكر

منعه من ذلك وخابر المتصرف وأقنعه بسحب المهندس وهذا بسبب العداء الذي ذكرته.

أعطي المذكور مبلغاً قدره خمسمئة دينار من قبل الملك فيصل ليسبني وسلمه المبلغ السيد نوري السعيد بيده.

وكان ذكر الحافاتي، قال الأستاذ كان هذا الشخص قاضياً في العهد العثماني، وهو رجل منافق وبذيء اللسان، ولا يسلم من لسانه أحد، وإنه قبل الاحتلال عندما كان قاضياً في الناصرية اعتُدي عليه وأهين من قبل أهالي الناصرية فأمره المتصرف التركي أن يترك الناصرية في خلال أربع وعشرين ساعة وإلا أُخرج على أرذل صورة. فسافر المذكور في الحال وإنه في عهد الحكومة العراقية عهدت إليه جملة وظائف في مديرية الأوقاف، وكان يتقاضى حوالي الثمانمئة روبية شهرياً مثل مؤقت الآذان وخطيب إمام، وكان يتقاضى هذا المبلغ الضخم وهو جالس في بيته ينهش أعراض الناس.

وعلى ذكر القضاة روى الأستاذ الرصافي أن قاضياً ذا منزلة رفيعة في عهد الحكومة العراقية وله أولاد من ذوي مراكز عالية كان مرتكباً ومرتشياً بصورة فظيعة، فأرشي في قضية بعشرين تنكة دهن فلما فتحها بعد ذلك ظهر فيها تسع عشرة تنكة تحوي براز إنسان، وواحدة فقط تحوي دهناً، وكان القضاة في ذلك العهد كلهم على هذه الشاكلة.

وقال إنكم حرضتم عليّ من يشتمني ويسبني ولكن ذلك لا يجدي نفعاً، لأن هذا الكلام هراء فيزول أثره بعد يومه أما الذي قلته فيكم سيبقى إلى الأبد، وإن لم تكفّوا عن هذا العمل الرخيص فسأشنع بكم بحيث أجعلكم أمثولة إلى الأبد.

جريدة الأمل:

إني أصدرت جريدة الأمل لا لأجل أن أستفيد منها بل كانت الحكومة قد سدت جريدة إبراهيم حلمي «العمر» فأخذت امتياز إصدار الأمل لحسابه لأجل أن يتعيش المذكور منها وإن المذكور أراد أن ينبري بالرد على إبراهيم صالح شكر ومن الظلم أن يقرن الاثنان من حيث الكفاءة الأدبية ولكنّي ضد إبراهيم حلمي العمر في ذلك كما تقدم بعض الأدباء بردود لنشرها في جريدتنا فلم أوافقه على ذلك.

إبراهيم صالح شكر والعقاد:

إن إبراهيم صالح شكر عندما كنت أصدر جريدة الأمل كان يزورني في الإدارة وكان وقتذاك (ملا عادي) يلبس العمامة وصدره مكشوف وكان يجلس أمامي باحترام ومكتف، وكان المذكور يبدي لي احتراماً زائداً وهو رجل فارغ في العلم ولكنه يحسن نهش الأعراض والكلام على الناس. وذات يوم بعد أن خلع العمامة وبدل زيّه التقى بي في أوتيل «الهلال» في الميدان وكان معه السيد حسن غصيبة، وفي ذلك المجلس أخذ يبجل شاعرية العقاد ويسهب في المدح إلى درجة المغالاة. الأمر الذي جعلني أعترض عليه فقلت له إن العقاد أديب عادي فمن أين صار شاعراً وأين شعره الذي تتبجج به، فالق علينا شيئاً منه، حتى إنه كأديب تأثر ليس من المبرزين، فلم كل هذا المديح، فتأثر المذكور من كلامي وزعل ومن ذلك التاريخ انقطع عني وأضمر كراهيته لي فاجتمع عاملان فيما كتبه المذكور ضدي.

الأستاذ وياسين الهاشمي:

قال الأستاذ وياسين الهاشمي صنيعة من صنائع الإنكليز خلافاً لما كان يعتقده العوام أنه زعيم وطني، وكانت معارضته بتحريض من الملك فيصل، حتى مصاريف المعارضة من الملك فيصل.

أثناء انتخاب مجلس سنة ١٩٣١ الذي صدّق المعاهدة في وزارة نوري السعيد كان الملك فيصل ضد ترشيحي للنيابة، ولكن المذكور كان قد رتب مع نوري السعيد ترتيباً بأن يخلق معارضة ضد المعاهدة، لأنه ليس من المصلحة أن تُقبل بلا جدل، وقد وقع اختيار الملك على ياسين الهاشمي لأجل أن يمثل هذا الدور، لأن العوام يعتقدون أنه معارض ووطني، ولما رأى السيد نوري السعيد هذه الرغبة في نفس الملك فيصل، انتهز الفرصة وقال للمذكور: إذا كانت هذه رغبة جلالتكم فإنّي أستنسب ترشيح الرصافي وهو من المعارضين. وقنع الملك بهذا الرأي، فوافق وعلى هذا الأساس رشحت للنيابة. وفي ليلة يوم اجتماع المجلس دعيت مع النواب إلى بيت نوري السعيد رئيس الوزارة وقد لاحظت أثناء الحفلة أن نوري يأخذ كل نائب ويخرج ثم يرجع إلى أن وصل الدور عليَّ فأخذني إلى غرفة مجاورة بجوار الصالون ليس فيها سوى منضدة وكرسي واحد، وكلفني المذكور أن أجلس على الكرسي ففعلت وقلت له وأنت على أي شيء تجلس فأجابني اجلس وأنا أقف، فجلست، ثم سألني عن المعاهدة وقال لي ما رأيك فيها فأجبته إن رأيي (أن ترفضها)، فتقطب وجهه وقال لي (ألم تقل لي إن المعاهدة لا بأس بها)، فاغتظت من كلامه هذا وقمت وقلت له إذا أنت تثبت لي أن هذا القول صادر مني فأنا مستعد الآن أن أكتب استقالتي وأسلمها لك وأنصرف بلا جدال، فابتسم وقال

لي، اجلس، وأنا لم أقل شيئاً يغيظك، ولكن إذا كنت مخالفاً للمعاهدة فلا تحضر المجلس، فقلت له (هذا ممكن إجراؤه) ثم خرجت إلى الصالون، ولكني حضرت الجلسة وحملت عليها، والذي رفض المعاهدة ثلاثة عشر شخصاً، فهم أحد عشر شخصاً من أتباع ياسين الذين لفقهم المذكور بإيعاز من الملك فيصل، والمذكور وأنا، وإذا عرفنا أن السيد ياسين وجماعته كانوا ممثلين مسرحيين في المجلس فليس هناك أحد رفض المعاهدة سواي.

نشروا المعاهدة التي في طيها
قيد يعض بأرجل الآمال
قد أبلعونا حبة استعبادنا
لكن مموهة بالاستقلال
والعهد بين الإنكليز وبيننا
كالعهد بين الشاة والرئبال
من ذا رأى ذئب الذئاب مصاحباً
بتودد حملاً من الأحمال

تسوية حقوق الأراضي:

وفي عهد وزارة ياسين المذكور تقدمت الحكومة للمجلس بقانون لتسوية حقوق الأراضي وكان القانون يتضمن أن يرأس اللجان رجال من الإنكليز، وأنا قلت بحق القانون المذكور بأني أسلم بأنه لا يمكن أن يكون لنا استقلال خارجي لأننا أمة صغيرة مضطرة بحكم حالتها بأن تكون

تحت سيطرة دولة كبيرة مثل بريطانيا للمحافظة على كيانها ، ولكن لا أفهم لم لا يكون لهذه الدولة استقلال داخلي في شؤونها الخاصة، لأن المنازعات على الأراضي هي قضية داخلية أهلية صرفة، فلم يتدخل بها الإنكليز ويشترط القانون أن يكون الرؤساء منهم، وهل لا يعني ذلك أنهم سيعطون الأراضي لصنائعهم فيغدقونها على بعض ويحرمونها من بعض، وأن يؤسس إقطاعات في البلد حسب رغبتهم ومشيئتهم وبعد أن أتممت كلمتي قام ياسين الهاشمي وقال بأن سبب أن يكون رؤساء اللجان من الإنكليز لخبرتهم ودرايتهم ولأجل أن يدربوا العراقيين، ثم يمكن أن يكون العراقيون رؤساء. أما بخصوص الاستقلال فهو غير موجود وجلس.

وإني خرجت من قاعة المجلس لأدخن وكنت أتمشى فجاءني رضا الشبيبي وقال لي: لمَ أنت هنا ، فقلت له لماذا ، قال لي يردّون عليك في المجلس، فلما سألت عن الذي يرد عليّ فقال لي، الشيخ حسن السهيل، وهو من صنائع الإنكليز، فدخلت القاعة فوجدته قد أنهى كلمته، فلما سألت عما قاله هذا ، أجابوني بأنه قال الإنكليز قوم عدول ذوو إنصاف، فتعيينهم رؤساء لا ملحوظ فيه.

وقد دلت الأيام على حكمة ما كنت قد لاحظته حيث أنشأ الإنكليز بواسطة لجان التسوية إقطاعيات في العراق كما وأنهم أغدقوا بإعطاء الأراضي لصنائعهم وخدامهم مثل حسن السهيل الذي رد عليّ بينما حرموها من أصحابها الشرعيين كما وأنهم أنشؤوا لهم رجالات تعرف العشائر والأراضي وأهلها مثل «إستن» الذي أصبح رئيساً عاماً للاستخبارات على أثر إعلان الحرب، وإن الإنكليز لم يعطوا الرياسات للعراقيين إلا بعد أن رسخوا قدم القانون وفقاً لخططهم المرسومة.

منح الأستاذ خمسين فداناً من أراضي أبي غريب!؟

قال الأستاذ أثناء وجود السيد عبد الله مظفر قائم مقام في الفلوجة، وكان المذكور رجلاً جليلاً وله مركز عندي وكان المساجين يعملون وقتذاك في حفريات أبي غريب، فإنه ذات يوم أراد أن يذهب إلى المشروع لتفتيش السجن مع مدير السجن الذي كان يقيم في الفلوجة، المدعو داوود وهبي، وأنه سألني إذا كنت أرغب في أن أصحبه في جولته فلم أتمكن من أن أرد طلبه وذهبت معه وفي الطريق قال لي لماذا لا تقدم طلب لإعطائك قطعة أرض من أبي غريب، فقلت له إن هذا الطلب ليس مطمئناً أن يلبى فلا وجه لتقديمه لأن الأراضي كما بينت إنما تعطى للمنسوبين والصنائع ولكن المذكور بقي يصر عليّ وفي اليوم الثاني بينما كنت بداخل بيتي صباحاً إذ جاء فراش القائم مقام وهو يحمل عريضة عليها طابع باسمي في الطلب وطلب مني أن أوقعها بعد أن بلّغني سلام القائم مقام فاضطررت أمام الأمر الواقع أن أوقعها وإن القائم مقام شرح عليّ العريضة وأرسلها إلى متصرف الدليم، وكان آنذاك السيد محمود السنوي، وشرح عليه المذكور وأرسلت إلى لجنة التقسيم في بغداد، ونامت، وأنا راجعت ياسين الهاشمي في ديوانه وقلت له أنا مراجعك الآن عن قضية أريد منك جواباً مختصراً عنها إما نعم أو لا، ولا أريد أن توضح لي عنها وتؤملني لأن اليأس عندي أفضل من تشغيلي في الأمل بالخاصة، وأنا لم يكن لي أمل فيها من الابتداء، قال لي قل، فقلت له قضية الأرض تصير أم لا، فأجابني بأني حولتها إلى رشيد علي، فلما سمعت ذلك ردعته وانصرفت وقد تركت قضية الأرض هذه وكانت المتصرفية قد نسبت ليّ قطعة مساحتها خمسون فداناً ولكن في

وزارة السيد حكمت سليمان عُيّن خيري الهنداوي مديراً للأملاك الأميرية وإنه أيقظ القضية من جديد، وكان متصرف بغداد آنذاك هاشم العلوي وهو من جملة أعضاء لجنة التقسيم ووافق جميع الأعضاء بمنحى القطعة، ما خلا هاشم العلوي فكان يعارض وأخيراً وبتأثير من خيري الهنداوي وافق وذهبت المعاملة إلى مجلس الوزراء لإصدار القرار وكنت وقتذاك في سورية، فوردتني برقية من السيد عبد العزيز عريم يشرح لي القضية ويطلب حضوري لإنجازها، ولأني لم أتمكن من المجيء إلى العراق لأسباب صحية وفي هذا الأثناء سقطت الوزارة، وألّفها السيد جميل المدفعي فشطب على المعاملة، وأعطيت الأرض فيما بعد إلى باقر الشبيبي.

مع المدفعي:

وسبب شطب المدفعي للمعاملة أنه متأثر مني للغاية، وسبب تأثره أن نسيبه المدعو خالص كان (قائم مقام) في الفلوجة وأنا لم أكن أعرفه في السابق، ولكن بعد أن سافرت إلى الفلوجة وتجولت بها ووقع اختياري على الإقامة فيها وذلك عام ١٩٣٣ بتحريض من السيد حميد كنّه الذي كنت ألتقي به في مقهى «عارف آغا» في الميدان ركبت أنا وعبد الغفور البدري وعبد القادر المميز وكمال مجيد في سيارة الأخير وذهبنا إلى الفلوجة إلى البيت الذي استأجرته الكائن أمام سراي الحكومة القديم، فلما نزلت من السيارة شاهدت السيد علي البزركان وكان وقتذاك متصرف الدليم يتكلم مع شخص فلما شاهدته ذهبت نحوه وجاء المذكور نحوي وبعد أن تسالمنا عرّفني عن من كان معه وقال أعرّفك، بخالص بك، قائم مقام الفلوجة وكان المتصرف علي البزركان مدعواً عند

القائم مقام خالص على الأكل، لهذا فإن القائم مقام خالص أخذ يلحّ عليّ بالذهاب معهما، ولكن اعتذرت، وقلت للمذكور أنا لست وحدي، ومعي جماعة، ولا يمكن أن أتركهم، فذهبنا وبعد ذلك أخذ القائم مقام خالص يتردد عليّ في كل يوم صباحاً قبل ذهابه إلى السراي، ويجلس عندي حتى الساعة الحادية عشرة، يضايقني كثيراً لأن ذهابي إلى الفلوجة كان بناء على رغبتي في الكتابة وكنت قد اتخذت جميع الترتيبات لذلك، فأخذ المذكور بإطالة جلوسه عندي يغيضني في ذلك لهذا فقط صارحته في أحد الأيام وقلت له إنك تبطئ الإقامة عندي وهذا ربما يمنعك عن عملك الرسمي في السراي، فأجابني لا يا أستاذ فإن عملي بسيط للغاية وهو لا يتجاوز بضعة أوراق أوقعها، فقلت له ولكنك أيضاً تمنعني من عملي لأني جئت إلى الفلوجة للكتابة، ومع أني أتشرف بزيارتك إلا أن وقت عملي هو صباحاً، بالفترة التي تشغلني فيها، لأني بعد الظهر أنام وفي المساء أشرب الخمر وقلت له اجعل مدة مكوثك ساعة، ففعل، وكان حميد كنّه وهو ملاك في الفلوجة زعلان مع القائم مقام خالص فتصالح معه وأخذ يفسد في ما بيني وبين آل عريم وهم خصومه ملاكين من الفلوجة وكانت تربطني مع عبد العزيز عريم رابطة صداقة لهذا فقد طلبت من القائم مقام خالص أن يكف عن آل عريم فلم يمتنع، ولهذا فقد كتبت كتاباً إلى جميل المدفعي لأن خالص متزوج من أخته، وقلت له فيه أن خالص ناشئ في لواء الدليم ومعروف ماضيه وسلوكه لدى العام والخاص، ولهذا أرى حفظاً لسمعتك أن تنقله إلى قضاء آخر (لا يعرفوه)، فاغتاظ جميل المدفعي من هذا الكتاب وبقي يضمر لي العداء بسبب خالص.

وخالص هذا سلوكه الشخصي في ابتداء حياته كان رديئاً ولما كان جميل المدفعي متصرفاً في الناصرية كان خالص كاتب تحريات، وكان يقيم في بيت المدفعي. وإن الذي صالح ما بين حميد كنه وخالص، الحاكم عباس مظفر عند تعيينه في الفلوجة.

ذات يوم كنت في بيت نوري السعيد أشرب الخمرة مع جماعة، وكان السيد نوري السعيد يتذمر من جميل المدفعي وهو يقول للحاضرين: بالله عليكم شوفوا ما يعمله المدفعي، فقلت إلى نوري وما قيمة هذا الشخص حتى تتذمر منه، إنه دب بلا عقل، فأجابني لا يا رصافي إنه شهم ولم أكن أعلم بقضية خالص مع أخته، وكذلك علمت أن أخته الثانية متزوجة من شخص يدعى الحاج سري. فلما التقيت بنوري السعيد بعد ذلك ذكّرته وقلت له تتذكر أنك قلت عن المدفعي الشهم فالآن فهمت لماذا إنه شهم..؟

والمدفعي يلتزم خالص التزاماً عظيماً، وقد هجوته بعدة مقطوعات يحفظها بعض الناس ولا أتذكرها الآن.

قال الأستاذ في عام ١٩٢١ كنت ساكناً في بيت رشيد مامو قرب سوق الهرج وكان يأتي إليّ بعض معارفي نلعب الورق ونشرب ونقيم بعض حفلات (الجالغي) وكان من جملة ممن يتردد عليّ السيد جميل الراوي ومير بصري[٢] وكان السيد جميل يضرب على العود ومير بصري يضرب على الكمان وكانا يتبرعان لنا بهذه الخدمة، وبعد ذلك فهمت (أن المذكورين جاسوسين للإنكليز عليّ).

مباذلة:

قال الأستاذ يوجد للسيد حقي ناظر الخزينة الملكية بيت، في محلة (كوك نظر)، باعه إلى المومس المشهورة روجينا، وهو بيت واسع

الأرجاء، ومن بيوت بغداد القديمة وكان إيجار البيت المذكور ألف وخمسمئة روبية، ولكن بالنظر لكونه مجاوراً إلى المنزل العام (الكلّه جيه) بقي مدة طويلة مغلوقاً دون إيجار، فجاءني محمد البمبيلي وكان وقتذاك رفيقاً إلى روجينا، وأنا كنت أسكن بجوار بيت أحمد القيماقجي، وقال لي هذا البيت مغلوق فهل ترغب أن تؤجره بمبلغ ثمانمئة روبية فوافقت وفتحت باباً على الكلّه جيه فكانت المومسات يدخلن بيتي من الباب، ونجلس معاً وكنا نلعب بوكر وكنا نخرج لهن بعض (فيشات)، وكان من يرغبها منا يذهب معها إلى محلها في الكلّجية من الباب ويقضي حاجته ويرجع وكنا نرقّص بعضهن بملابسهن أو عاريات.

قال الأستاذ إني كنت قبل أن أتحول إلى هذا البيت، أدخل المنزول بعد الشرب للتسلية وأنا داخل نزول حلب والشام وسالونيك والأستانة.

أليس الأرمنية:

قال الأستاذ في إحدى سفراتي نزلت في حلب في أوتيل ثم إني ناديت صاحب الأوتيل وقلت له إني رجل غريب أرغب في الونسة، وأرجو أن ترشدني، فصاح على صانع في أوتيله، ويدعى مصطفى، وقال له، خذ هذا الرجل ليتونّس فأخذني المذكور إلى المبغى العام وليس إلى محل خاص وحيث إني كنت سكراناً ووصلت إلى المبغى فلم أر موجباً للرجوع ودخلت أحد الدور فقدمت لي صاحبة الدار بنت أرمنية تدعى «أليس» وكانت على جانب عظيم من الجمال، وقضيت معها تلك الليلة وكانت معها أمها تعمل لها نركيلة من حين لآخر، فقلت لصاحبتي

«أليس» إنه يوجد في بغداد تبغ نركيلة فاخر للغاية يدعى «تتن أبو الجلود» إذا رجعت إلى بغداد سأجلب لك كمية منه وعند إيابي إلى الأوتيل وجدت العربة في الباب على أهبة السفر والحمّالون ينقلون الغراض فركبت في العربة وقدمت إلى بغداد.

فلما سافرت إلى الأستانة أخذت معي كمية من التتن المذكور وفي الطريق كنت أحلم بأليس وبنتها (وكنت جد راغب) في أن أصل إليها في أقرب فرصة، لهذا عندما وصلت بيّ العربة إلى (دير خافر) وهو آخر مرحلة من مراحل الطريق إلى حلب ناديت صاحب العربة وقلت له بأني قد استأجرت العربة منك بمبلغ عشر ليرات ذهب عثمانية وأنه هل يكفي ساعتين لأجل عرق الحيوانات وراحتها وأنا أعطيك ليرة ذهب إذا سافرت بيّ إلى حلب ليلاً وكنا قد وصلنا دير خافر في وقت العصر فلما شاهد المذكور الليرة وافق وسافر بيّ ليلاً وكنا تأخرنا في الطريق فلم نصل حلب إلا وقت الفجر وقبل بزوغ الشمس أخذت التبغ وتوجهت إلى المنزول وطرقت الباب الذي تسكن فيه أليس ففتحت لي صاحبة الدار الباب ولما سألتها عن أليس قالت لي (يا أبي أين هي أليس؟) وأخذت تتحسر وتتألم ولما استفهمت منها، قالت لي أن الحكومة أرجعت كل مومس إلى بلدتها ومن جملتها أليس. ولنصور الإنسان انكسار الخيال عندي في هذه اللحظة فإني بقيت أتخيلها في ذكراي طوال الطريق من بغداد إلى حلب، ولما وصلت لم أجدها، ولكني أفرغت خيالي في صاحبة البيت وكانت امرأة قبيحة وأخذت التبغ معي ورجعت قافلاً إلى الأوتيل.

حركة مايس والوصي:

قال الأستاذ نحن ثلاثة لم يجر اعتقالنا بسبب مرضنا، وهم أنا

وعبد الغفور البدري وفهمي المدرس، ولولا وجود نوري وإقناعه الوصي بأنّي مريض وربما أموت في المعتقل فتبتلي الحكومة بدمي لنالني إيذاء المذكور، لأنه أشد كراهية لي من الملك فيصل، فرحم الله فيصلاً، فقد كنت أتكلم وأبدي رأيي بحرية، أما الوصي فقد أوعز لجميع الصحف أن لا يذكروا حتى اسمي.

مساندة نوري السعيد:

صادف بعد حركة مايس أن أرسل نوري السعيد إليّ ثلاثين ديناراً، بيد محمود السنوي ولما قال له محمود أن هذا المبلغ قليل قال له هذا المبلغ كافٍ لأننا إن أرسلنا له أكثر من ذلك يصرفه في الحال، فلنرسل له تدريجياً، وهذا رأيه فلما سمع الوصي بذلك أرسل عليه وعاتبه، وأنه تعذر من الوصي بقوله أنه عملها مرة واحدة بناء على التماس محمود السنوي والحاجة، فأرسل على محمود وعاتبه كذلك.

وفي عهد وزارة نوري السعيد بعد الحركة أنشأ المذكور وظيفة لي في مكتبة الأوقاف هي حارس الكتب براتب قدره أربعون ديناراً عدا التقاعد واشترط عليّ أن أهادن الوصي، فامتنعت، فأعطيت هذه الوظيفة إلى إبراهيم صالح شكر باعتبار أننا نتكاره.

الوصي والرصافي:

سألت الأستاذ هل هناك سبب لعداء الوصي معك غير القصيدة التي أذعتها أثناء الحركة.. ؟ فأجابني لا، لا يوجد غير القصيدة، ولكني في القصيدة دمرته ومن حقه أن يزعل كل هذا الزعل، ولكني لم أقلها

بدافع أغراض شخصية معه بل عن عقيدتي الراسخة، وأنا قد قلت مثل ذلك في عبد الحميد وغيره وليس لي معهم شيء، ولكن هذا الرجل أشهر العداء عليّ ولم يترك حالي كأني فعلت.

مع الزهاوي:

قال الأستاذ كنت ذات يوم جالساً مع جميل صدقي الزهاوي في مقهى كانت تحت بناية المحاكم، فحضرني البيتان التاليان:

عـجـبـت لقـوم يخـضـعـون لدولة
يسـوسـهم في الموبقـات عـمـيـدها
وأعـجب من ذا أنهم يرهبـونهـا
وأمـوالهم منهم -ومنهم جنودها

وهي القصيدة المعروفة فقال لي جميل أعطني البيتين لأنظم قصيدة منها، فقلت له ولماذا أعطيها لك تنظم فيها وفي الليل نظمت القصيدة المذكورة وجعلت مطلعها البيتين.

طرف الزهاوي:

وكان جميل صدقي رجلاً فكهاً، حاد البديهة، وقد روى الأستاذ الرصافي عنه القصة التالية، فإن المذكور كان يتردد إلى إحدى الدواوين للتعلولة وكان يتردد على الديوان شيخ معمم وكان يشكو وجود كلبة في طريقه لهذا فإنه يضطر على أن يحول طريقه فقال له الزهاوي إن القضية هينة للغاية فاستفسر منه الشيخ فقال له يمكنك أن تعرض طريق الكلبة وإذا نبحت عليك وهجمت فقل لها بحق قطيمر عليك ارجعي فسترجع،

وذهب الشيخ وفي اليوم الثاني مر الشيخ من الطريق الذي فيه الكلبة وأمامه خادمه يحمل المصباح فهجمت عليهما الكلبة فهرب الخادم، ومزقت الكلبة ملابس الشيخ فوصل الشيخ الديوان وصدره موغر غيظاً على الزهاوي، وكان يسبه ويشتمه، فلما حضر الزهاوي أخذ الشيخ يكيل له السباب فقال له لماذا ؟ فأجابه لأن الكلبة عضتني ولم ينفع دعاؤك، وظهر أنه حيلة، فقال له يقتضي، أن هذه الكلبة ليست مسلمة.

راتب سلطان مسقط:

قال الأستاذ، روى لي الثعالبي أنه لما زار إمارات الخليج سأل سلطان مسقط عن علاقته مع بريطانيا فأجابه بأنه مسرور للغاية ولما سأل منه عن السبب قال لأن راتبي كان ثلاثمئة روبية، ورفعه الإنكليز أخيراً إلى أربعمئة روبية.

لا الصلح مع إبراهيم صالح شكر:

قال الأستاذ جاءني حسن فهمي المدفعي يوماً وقال لي أريد أن أعمل لك وليمة وأصالحك مع إبراهيم صالح شكر، فقلت له إن فعلت الوليمة فأنا سوف لا أحضرها من جهة، ثم إن الصداقة تزول بيننا وتكون منزلتك عندي كمنزلة إبراهيم صالح شكر، فقال لي إذا كان الأمر كذلك فأنا أصرف نظري، وتركني.

الصلاة على النبي:

قلت للأستاذ يوماً إن من جملة ما ينتقدونك عليه وكان هذا

الانتقاد من جلال الحنفي إمام جامع الأزبك، إنك عندما تذكر النبي في كتابك تذكره باسمه دون ذكر لفظة (صلى الله عليه وسلم)، قال الأستاذ وقد اعتدل في مجلسه وأخذ يتكلم بشدة إن الصلاة على النبي واجبة لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليَّ وسلموا تسليما)، هل أنا أفضل من أبي بكر فإنه لما سمع بخبر وفاة النبي وقدم المدينة وشاهد ما فيه المسلمون من الذهول والوجوم قال: يا أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم أضاف إن الصلاة على النبي واجبة لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)، وإن الفقهاء قد اختلفوا إلى ثلاث فرق في وجوب الصلاة، فقال فريق لما كانت الصلاة على النبي واردة في الصلاة فيكون المسلم قد أداها ولا لزوم لذكرها، وقال الفريق الثاني إذا تكرر ذكر النبي في المجلس أكثر من مرة وجب الصلاة عليه مرة واحدة، وقال الفريق الثالث إنها تجب في الحياة مرة واحدة والصلاة على النبي بالشكل المعروف لدى مسلمي هذا العصر لم يكن معروفاً في الصدر الأول، ففي القرنين الأول والثاني لم يكن معروفاً وفي عهد الرشيد، إن المذكور أول من استعمل الصلاة على النبي في كتاباته عندما كان في الرقة، وبما أن الناس على دين ملوكهم فقد أخذ بعضهم يستعملها، ولكن لم يكن شائعاً استعمالها. وبعد القرن الرابع شاع استعمالها في المذاهب الثلاثة التي ذكرناها مع ذلك لم يقل أحد أنه إذا ذكر اسم النبي كتابة يجب إضافة الصلاة، فبعد هذا أعد جاهلاً إذا لم أذكر اسم الصلاة.

الذكر بالقلب أم باللسان:

قال الأستاذ عندما انتقلت إلى الأعظمية وسكنتها زارني في بيتي

أحد مشايخ بغداد الشيخ قاسم القيسي، وإني رأيت في باب المجاملة أن أرد عليه زيارته، فسألته عن محله فأجابني بأن محله غير لائق لقبول الضيوف إلا أنه يلتقى دائماً في وقت العصر في بيت السيد كامل بن حسن بك، وبناء على ذلك أخذت أتردد على بيت المذكور وأجتمع بالشيخ قاسم، وقد أعطيته كتاب «التعليقات» وبقي عنده ما يقارب عشرة الأيام لمطالعته، لأنه يدعى صوفياً وقد درس النقشبندية في كردستان على يد الصوفي عمر طويلة، وذات يوم روى المذكور خبراً مفاده أنه عندما كان يطلب طريقة من «عمر طويلة» كان المذكور لا يجتمع معه إلا عند الختمات والذكر، ولكن نسيبه وهو وجل من أصحاب الطريقة ومتزوج بأخته هو الذي كان يجتمع معه دائماً وكان عمر طويلة ونسيبه يسكنان في بيت واحد وإن الشيخ قاسم سأل نسيب عمر بقوله إن الذكر عند النقشبندية يجري بالقلب ولا باللفظ مع أن الأحكام الشرعية كلها مبنية على اللفظ فمثلاً إن الرجل إذا عزم على تطليق زوجته ولم يلفظ الطلاق فلا يفيد التصميم شيئاً وعلى ذلك يقتضي الذكر الذي يجريه النقشبندية في قلوبهم لا يفيد حكماً لأنه لا يلفظ، وإن نسيب لعمر لم يتمكن أن يعطي جواباً كافياً وكان يتلكأ بالجواب وبعد ذلك لما اجتمعنا بعمر الطويلة تطرق إليّ المتحدث من تلقاء نفسه مع أننا لم نتعرف إليه واستنتج المذكور من ذلك أن عمر الطويلة كان يعلم علم الغيب فقلت للمذكور لا يمكن لعمر الطويلة ولا لغير عمر من الناس أن يعلم علم الغيب بدليل القرآن لقوله تعالى: (قل لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير)، (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا)، وعددت له جملة آيات فقال إن هذه شطحات، فلما سمعت ذلك منه قلت

له إذا كان ما ورد في القرآن الكريم شطحات والقضية أسفرت أن عمر الطويلة يعلم الغيب فأنا بريء من مجالستك، وقمت. فلما وصلت البيت حررت ورقة للمذكور، قلت له فيها اعتبر معارفتي بك غير كائنة ولا أود أن تزورني أبداً وأرجو أن ترسل لي «رسائل التعليقات»، فأرسله المذكور لي وكان في رأس المهرجين على الكتاب.

فخري الجميل وفريق مزهر:

قال الأستاذ كان فخري الجميل يتردد إليّ ويزورني، وكنت أيضاً أزوره، وفي عام ١٩٤٣ كنت أجتمع عصراً في بيت السيد عبد الرزاق الفضلي، وإن المذكور أخذني بسيارته عصر يوم بارد لزيارة فخري الجميل وبعد غياب الشمس استأذنّا من المذكور ولكنه ألح علينا بالبقاء لأجل تناول الطعام، فأجبنا الطلب، وعند جلوسنا على المائدة لاحظت أن التمن من النوع النكازة الفاخر، فسألت من فخري عن مصدر التمن، فأجابني أنه من مزارعي في ديالي وحيث إن التمن غذائي الرئيسي فقلت للمذكور، إذن صدفة حسنة طالما التمن من حاصل مزارعك فأرجو أن ترسل لي منه لأني أتقوت على التمن، أوعدني بذلك ثم بعد ذلك أرسل لي مقدار حقتين تقريباً فكتبت له أن الكمية المرسلة قليلة، وقد نفدت وطلبت منه أن يرسل لي إذا لم يكن لديه مانع فأرسل المذكور لي منّاً. ومن ذلك التاريخ انقطع عن مراجعتي وزيارتي بتاتاً، وقد رويت الحكاية إلى فريق المزهر فأرسل لي المذكور ثلاثة أكياس تمن.

مصر في شعره:

وقال الأستاذ عندما أقيم المهرجان لتكريم شوقي في بغداد كلفت

لألقي قصيدة في المهرجان فنظمت قصيدتي وكان وقتذاك قد قامت حملة شديدة على طه حسين من أجل كتاب تاريخ الأدب الجاهلي، وعلي عبد الرزاق من أجل كتابه «الخلافة» وقلت في هذه القصيدة ليس لمصر أن تكرم شاعراً إذا كانت حرية الرأي فيها غير موجودة، وأن تحمل على العلماء بينما تكرم الشعراء، ومن جملة أبيات القصيدة:

لقد أسمعتنا ضجةً أمطرت بها
(عليا) و(طه) حاصباً متطايرا
فمال هذا عُدَّ في مصر مارقاً
ومال هذا عُدَّ في مصر كافرا
إذا لم تكُ الأفكار في مصر حرةً
فليس لمصر أن تكرّم شاعرا

ومن أجل كراهي للمخانيث[٢]:

وقد حمل عليّ كاتب يدعى الرافعي، غير الرافعي المعروف، من أجل هذا البيت، ورماني بالإلحاد، بينما بعض الكتاب رد على القصيدة رداً محموداً وقال إن الذين يحملون على الكتاب ويكفرون المفكرين هم أناس لا يأبه بهم في مصر.

قلت للأستاذ أن أحد أصدقائي (المحامي محمد عبد الحميد) روى لي أنه كان حاضراً المهرجان وأنك قرأت البيت «المناويك» بدل «المخانيث»، وأن الناس أصابهم وجوم مدة ثلاث دقائق، فلما عدت قراءة البيت المخانيث أخذوا يهتفون لك فأجابني أن ذلك غير صحيح.

أخبار متفرقة أخرى[٤]:

ملابسه:

كان الأستاذ في مجلسه يلبس الدشداشة ويضع فوق رأسه العرقجين، وكان يرتدي دشداشة شكل الدكلة التي يلبسها أهل الخليج، فإذا خرج من البيت ارتدى فوق الدشداشة سترة وفوقها العباءة، وفي رأسه العقال وحمل في يده عصا.

هدية مظهر الشاوي:

وقبل وفاته بمدة قصيرة أهدى له السيد مظهر الشاوي عصا فاخرة في رأسها غطاء من الفضة منقوش، وقد مدح الرصافي مظهراً لهذه الهدية.

أخبار عبد:

كان كل ما يصل إليه يسلمه إلى عبد، وهذا كان يسكن في بيت مستقل في الفلوجة مع زوجته، وكان ينفق على الأستاذ وهو يعمل الأكلة في بيته ويرسله إلى الأستاذ ولا ينام في بيت الأستاذ بل كان يتولى ذلك (خادمين آخرين). الذي زوّج عبد هو الأستاذ وكان عبداً مسرفاً، وكان يستدين ويراوغ الدائنين. فجاء أحد الدائنين إلى الرصافي وهو جالس في المقهى، وطالبه بقيمة صفيحة دهن أخذها عبد، فهاج الأستاذ وغضب وقال للدائن أنا أقول مراراً لا تعطوه بالدين، ولما قال له هوبي، أحد الحاضرين، حاتروى لك عن عبد فزعل وقام.

رأيه في المسلمين:

قال الأستاذ بصدد مسلمي اليوم إنهم لا يعرفون من الإسلام غير اسمه، أما روح الإسلام فلا (يفهموه). روى لي أحدهم نكتة وهي، أن

واحداً من أهالي الموصل ذهب للحج ولما رجع جاء أصحابه (يهنؤوه) بالسلامة وسأل أحدهم هل رأيت زمزم فأجابه (شلون ما شفتوها، كن وكن كلمتوها)، فلما قيل له أن زمزم هي بئر قال، (إذن كن حفروها بعدي) وهذه تريك أن الشعائر تؤدى دون معرفة الغرض منها.

الهندي المسلم:

إن سراقاً سلبوا بعض الناس، وفرّ هندي مسلم فمسكوه فأراد أن يثبت لهم أنه مسلم، فأخرج ذَكَرَه وصار يصيح مسلمان لكي يروه مختوناً مع أن هذا الأحمق لم يقل بالشهادة وأغلب الإسلام على هذه الصورة.

اسم مدير المدرسة الابتدائية في الفلوجة مجيد فارس، واسم مدير المال جميل الأسود.

عطفه على الأطفال:

في أحد الأيام استلم الرصافي راتبه، ومساء بينما كان ذاهباً إلى بيته صادف عند مدخل جسر الفلوجة نساء وأطفالاً في الطريق بشكل يلفت النظر، فسأل منهم عن شأنهم فأخبروه بأنهم ركبوا في سيارة إلى بغداد ولكن السائق أنزلهم في الفلوجة، وامتنع من السفر بهم إلى بغداد، فما كان من الأستاذ إلا أن رثي لحالهم وأعطاهم بعض النقود ثم أرسل على المدعو حاج مهدي الطيار، وهو صاحب حانوت في مدخل الجسر وطلب منه أن يستأجر لهم سيارة لحسابه وسفّرهم إلى بغداد.

عفة الشلاح:

قبل احتلال الفلوجة بأربعة أيام(٥) أشير على الأستاذ الرصافي بوجوب مغادرة الفلوجة، وكان وقت ذاك ضيفاً لبيت عريم، فسافر من

الفلوجة إلى بغداد، وأرسلت سيارة لوري من بغداد إلى الفلوجة لنقل أغراضه، وكان الجيش في ذلك الوقت قد وضع يده على وسائط النقل جميعها، ووقف بعض أصحاب الرصافي مثل المضمد صالح البراك وسيد كاظم الحلاق، وحمّلوا «الغراض» كلها في اللوري، وبقي عند الأستاذ مقدار ثلاثة أو أربعة عشر كيس رز كان قد اشتراها خادمه عبد للتجارة، فنقلت باللوري قبل أن يُحمّل إلى بيت المرأة عفة الشلاح، ويقع بيتها بجوار مشروع الكهرباء، وبعد دخول الإنكليز في الفلوجة نهبوها، ولكن هذه المرأة حافظت على الرز، وبعد رجوع الأمور إلى مجاريها سلمت الرز للأستاذ.

ولهذه المرأة عفة الشلاح قصة مع الرصافي، فإن هذه المرأة من النساء المشبوهات ويوجد لها بنت، وكانت مشبوهة في سلوكها مثل أمها، عفة أحبها عبد، غلام الرصافي، وأراد أن يتزوجها وكلّم الرصافي، فثار وقال له أنت حر بنفسك ولك أن تتزوج ممن تشاء، أما أن تشاركني وتتردد عليّ فلا، حيث ليس بالمقبول وأنت غلام أن أقبل معك قحبة، (أنت وحدك عبء ثقيل على السمعة فكيف أقبل معك مومسة في بيتي).

تعرفه بالشاعر العامي ملا عبود الكرخي:

قال الأستاذ في عام ١٩٢٣ أو ١٩٢٤ عطلت الحكومة جريدة المرحوم السيد إبراهيم حلمي العمر، فبقي المذكور عاطلاً عن العمل، لذا تبرعت وأخذت (رخصة) بجريدة سميتها «الأمل»، وجعلت المذكور يشتغل بها، وأنا كنت أشترك في التحرير. وذات يوم بينما كنت ماراً في شارع الرشيد إذ صادفني أحد أصدقائي وكان معه ملا عبود فقدمه

لي وعرفه بي، وبعد هذه المقابلة زارني المذكور في الجريدة نفسها، وعرض عليّ القصيدة العامية (المجرشة)، فعجبت بها أي إعجاب وهي في الحقيقة شعر ممتاز، تعجز الفصحى عن الإتيان بمثله، ولذا فقد مدحت الملا عبود بأبيات ونشرتها في «الأمل»، وكان ذلك سر شهرته. وبعد مرور شهرين زرت السيد محمود علي والد السيد علي محمود الشيخ علي أحد الوزراء العراقيين، فقرأ لي المذكور قسماً من القصيدة وذكر لي اسم ناظمها وتبين لي أن الملا عبود منتحلها لنفسه ولم تكن من نظمه، ولذا ما عدت لتثبيتها في الديوان، وصادف عند رجوعي من بيروت إلى بغداد وعرض الديوان في الأسواق صادفني الملا عبود، وعاتبني على عدم تثبيت التقريض في الديوان، فقلت له: إن السيد مصطفى علي هو الذي تولى طبع الديوان وأنا لم أشرف عليه، وإنه لم يثبتها سهواً ووعدته بتثبيتها في الطبعة القادمة وإنه نشر الأبيات في مقدمة ديوانه الموسوم بـ «ديوان الكرخي».

هو والإنكليز:

وعندما نزلت في الأعظمية كان يزورني من حين لآخر احد الإنكليز في السفارة البريطانية، وكان يجيد اللغة العربية وكان يضايقني المذكور كثيراً بزياراته لأنه يأتي إليّ وقت الظهر دائماً بينما أنا في عادتي أن أتناول طعام الغذاء في الساعة (الثانية عشرة) وبعد الغذاء أنام ولما سألته عن أسباب زيارته لي في هذا الوقت وبينت له الملاحظات، أجابني بقوله أنت عليك مراقبة من قبل الحكومة ولهذا أضطر على زيارتك في هذا الوقت، فهجت وقلت له لمثلي يقال هذا الكلام، (فإنتو) الإنكليز تلاحظون من مراقبة الحكومة العراقية.

وإن هذا الرجل كان يحاول عبثاً أن أكتب شيئاً لمصلحة الإنكليز، وأخبرني المذكور أن لي إضبارة خاصة ابتداؤها منذ أن كنت نائباً في الحكومة العثمانية، وإن الوصي عبد الإله كان قد طلب اعتقالي من الإنكليز، ولكنهم لم يوافقوا لمرضي، وأنا قلت لهذا الرجل وهو يحاول أن يستميلني بهذا الكلام، أنتم تعرفون أنا عدو كل ظالم وعدو بريطانيا لأنها سبب شقاء الشعوب، (فليش ما اعتقلوني وكان خلصتو من حياتي اللي أنا فيها)، وكان كورنوالس وهو المخالف لاعتقال الأستاذ.

صراحته:

طلب أحدهم من الرصافي أن يقول شعراً وألح، فقال يا رجل اتركني هذا ما في الإمكان إذا ما يصدر عن الطبيعة، فقال (ليش ما ممكن، فأجابه: إذا تضرط أنا أتمكن، وأسكته).

مرض الرصافي:

كان الأستاذ مصاباً بداء الإفرنج وقد شفي منه عام ١٩٣٩ حيث دلت الفحوص على خلوه من المكروب. وفي أوائل عام ١٩٣٩ أصيب بالقرحة الليفية، فأجرى له طبيب الفلوجة، وكان وقتذاك السيد وديع رسام، عملية وأنقذه منها، وكان في الفلوجة وهو يشرب العرق ولكن لما اشتدت عليه الحكة، وكانت شديدة ترك شرب العرق، وكان يدلك جلده بمادة صفراء. كان قبل أن تشتد عليه الحكة ويترك شرب العرق يأكل كل شيء ولكنه أخيراً اقتصر على الرز والمحلبي والتمر والخبز والحليب والفاكهة الطازجة والفاكهة المفورة بالسكر (الكومبوت).

وصف الشاعر:

كان الأستاذ طويل القامة نامي الأعضاء كما تدل عليه صورته وكان

إذا تكلم يسحر محدثيه بالنظر لذكائه وسرعة خاطره واستنتاجه، وقد جالست الكثيرين فلم يلفت نظري أحد كما لفت نظري الرصافي بشخصيته.

كان عظم السلامية الأعلى لخنصر يده اليمنى مقطوعاً فسألت الأستاذ عنه، فقال إني وعيت وسور بغداد عامر، وكان يحيط بالسور خندق وكان للسور أربعة أبواب وهي الباب المعظم والباب الوسطاني وباب الطلسم والباب الشرقي، وكان يوجد أمام باب الوسطاني وباب الطلسم (طابتين) وهي عبارة عن تل مكعب من التراب، عالٍ معمول من غرف من اللبن مملوءة بالتراب، وقيل إنها كانت تستعمل في الحروب القديمة للمراقبة ورمي المدفعية. ولما جاء محمد بك الداغستاني واشترى بيته في باب المعظم باشر بهدم السور وتشييد الاصطبل الملحق بالبيت، ومنذ ذلك الحين أخذ الأهلون يتجاوزون على السور بالهدم للانتفاع من الأنقاض حتى تلاشى، وكان يتجمع في الخندق ماء نزيز كان يؤذي الأهلين بالبق والرائحة الناجمة عن الخيسة، فجلب إلى بغداد ماكنة كبيرة تدار بالبخار لسحب ماء النزيز من الخندق، ولما رحل الوالي المذكور هجرت الماكنة قرب الخندق، وكان أحد دواليبها محاطٍ بطبقة من المطاط فكنّا نحن الصغار نذهب إلى الماكنة ونقطع قطعاً من المطاط لأجل محي الكتابة، وكنت في مرة أقطع قطعة بالسكين دار الدولاب وانحصر إصبعي بين الدواليب وقطع.

من عاداته:

كان الأستاذ يأخذ حماماً حاراً في كل يوم، وكان عنده «كيزر» وبانيو، وذلك من جراء الحكة. كان يدخن ويشرب سكاير (أم الزبانة) داخل علب، وكان يشرب القهوة بكثرة، وتقدم إلى زواره بكثرة كذلك.

الأدب التركي:

كان الأستاذ يحفظ أشعاراً من الأدب التركي، وكان يتمثل بها في المناسبات باللغة الأصلية، ثم يترجمها إلينا إلى العربية، وكان أكثر ما يحفظ لشاعر تركي ملحد لا أتخطر اسمه، ومن شعر هذا الشاعر الذي رواه الرصافي بخصوص الذين يقيمون الليل بالتسبيح:

ليس هذا السبيل لعبادة الخالق
أيها الحمقى الذين تدقون طبول الليل
إن هذا المستنقع مشحون بآلاف الضفادع التي تملأ سكون الليل بنعيقها
وهي أحق منكم بالتقدير إن كان الجزاء للأصوات
إلهكم بنظرية الخلق من طين
أيها الإله الذي عجنت طينة حواء
ما ضرك لو وضعت تبناً في طينها لتمنع الفطر
فكان الفطر سر بلاء البشر على الزمن
الشيخ الذي يقتني زنبيلاً فيه ألف حجر وزنبيلاً آخر خاليا
فيدير الأحجار من الزنبيل الأول للثاني لضبط التسابيح

لغاته:

سألت الأستاذ عما إذا كان يجيد التركية، ومتى تعلمها، فقال تعلمت بعض مبادئها الأولية في مدرسة الرشدي العسكرية في بغداد، ولما ذهبت إلى الأستانة وأقمت فيها تعلمتها ولكنني غير متمكن منها ولا أجيدها إجادة، أعرفها وأتمكن أن أتفاهم بها.

تدريس العربية بالتركية:

وقال إنه من غريب الأمور في العهد العثماني أن اللغة العربية

وقواعدها كانت تدرس في مدارس العراق باللغة التركية من قبل مدرسين أتراك.

ما يعرف من اللغات:

سألته في ما إذا كان يعرف اللغة الفارسية فأجاب بأنه يعرفها معرفة بسيطة جداً، وأن الكتاب الذي أجهد نفسه في مطالعته في الفارسية عند محاولة دراسة هذه اللغة، كتاب (كلستان)، أي كتاب الورد للشيخ سعدي، وأنه لا يعرف من اللغات الأجنبية غير اللغتين المذكورتين، وسألته عن اللغة الكردية فأجاب أنه لا يعرفها أبداً.

زوار الشاعر:

كان المداومون في بيت الأستاذ الرصافي ببغداد حسن شكرة، وحاج شكري بن بطي، وعبد الغفور البدري، ومصطفى علي، ونوري ثابت، ونجم العلوجي، وشفيق سلمان، وكان الذي يتردد عليه كثيرون منهم خالد سلمان، وعارف جابان، ونوري السعيد، وخيري الهنداوي.

ذكر الفقراء:

كان جماعة الرصافي يلحون عليه لشراء زوالي للغرف لأنه لا يوجد فيه غير البناء، وذات ليلة ذهب مع جماعته إلى (حفلة جالغي) كانت تقام في مقهى الشابندر أمام بناية المحاكم، فمر على جامع السراي فشاهد الفقراء في البرد نائمين على الدكات، فالتفت الأستاذ لرفقائه وقال لهم (احنا جالسين في غرف وعلى كمبار، فماذا يقول هؤلاء وهم إخوتنا في البشرية، هل تريدون زوالي).

رفقاً بالحيوان:

شاهد الأستاذ حولي في رأسه عليجة، لئلا يشرب من ثدي أمه، فتأثر وأخرج قيمة قنينة حليب وأعطاها إلى صاحبة البقرة لتترك الحولي يشرب.

سليمة ورجينة:

ذات ليلة قال أصحاب الرصافي أن سليمة ورجينة من دون شغل فأرسل عليهما فجاء الخادم وهو يقول، تقول قبّل أيادي الأستاذ، عليّ العادة، فقال سبحان الله هذه تعني من فمها وإلا فرجها.

قال الأستاذ أرسلت رجينة ذات يوم إلى بيتي زنبيلاً فيه تفاح وعرموط بيد خادمها وأخبرني بأنها ترغب في زيارتي، فقلت للخادم قل لها لتتفضل، فانصرف ثم جاءت المذكورة رجينة وكان عندي في البيت أحمد حقي وعارف جابان وحسين فخري، فلما دخلت رجينة قام لها المذكورون على أرجلهم وهم يلتمسون منها الجلوس بقربهم، وأنا جالس أنظر إليهم، ولكن المذكورة جاءت وجلست بقربي، فأخذت ألعب حنكها بيدي، وأتمازج معها بقولي، لو كنت أنكح بناتاً لنكحتك، فأجابتني كيف هذا يا أستاذ وأنا مثل بنتك، فأجبتها وأي بأس من ذلك فإن نبي الله لوط نكح ابنته. ثم بعدئذ قلت لها سمعت بأنه يوجد في خدمتك ولد جميل للغاية، فلو تنازلت وأرسلتيه لي لأنيكه، فأجابتني (شنو هالحكي ليش أنا قوادة مال ولد)، فأجبتها (ليش يصير إنتي قوادة مال بنات ولا يصير أن تكوني قوادة مال ولد).

مدح أمير المحمَّرة:

قال الأستاذ، ولما كتبت قصيدة «الملابس» ونشرتها في جريدة «العالم العربي» وقعت الجريدة بيد الشيخ خزعل أمير المحمَّرة، فأرسل لي المذكور بواسطة المحامي السيد سليمان فيضي خمسمئة روبية، وقد جلبها لي حاج شكري، فامتنعت في بادئ الأمر من أخذها، ولكن أجبرني جماعتي على أخذها.

السعيد والوصي:

قال الأستاذ، في الأيام الأخيرة كلّم محمود السنوي نوري السعيد ليساعدني، وكان نوري زعلان عليَّ من أجل القصيدة التي نظمتها بمناسبة حركة مايس، فأرسل لي خمسين ديناراً، ثم خابرني بعد ذلك أرشد، وأبلغني بأن سمو الوصي يطلب مواجهتي، فاعتذرت بمرضي.

مساعداته للآخرين:

شاهد رجلاً يلازم مقهى عارف آغا لعدة أيام فسأله عن شأنه، فقال إنه طباخ ومن دون شغل، فكتب له كتاباً إلى السيد أرشد العمري، فأعطاه خمسة دنانير، وواعده لمراجعته بعد أسبوع. كان يوجد رجل أعمى يبيع الكبريت والسكاير في مقهى عارف، وإنما كان يجلس وتبيع له ابنته الصغيرة، وعمل الأستاذ على استحصال راتب له من أمانة العاصمة.

عبد اللطيف المنديل والمستر منك:

كتب عبد اللطيف باشا المنديل إلى صديقه جناب المستر منك، مدير الكمارك في بغداد كتاباً وصف به له حالة ابنه الصغير، وأنه بلغ من العمر أن صار يشير بيده ويتكلم بكلام لا يفهمه إلا هو، فطلب المدير المشار إليه إلى الرصافي أن يقول على لسانه أبياتاً في المعنى فقال:

نجل عبد اللطيف وهو نجيب
كيف لا يظهر النجابة طفلا
أن يكن غير واضح القول لفظاً
فكلام النجيب يفهم عقلا
كلما قال أو أشار فمعنى
قوله أنه علاء سيعلى

إن آل المـنـديـل قــــــوم كـــــرام
قــد زكّــوا في الأنام فــرعــاً وأصــلا
نجل آل المنديـل غــيـــر عــجــيب
أن يكون النجــيب طفــلا وكـــهــلا
أيهــا النجل عش لتــجــديد مــجــد
قـــد بنتـــه لك الأوائل قـــبـــلا

المستر منك:

قال الأستاذ، التقيت ذات مرة مع المستر منك، وتعرفت به، وكان المذكور يبدي لي اهتماماً واحتراماً عظيمين، وكنت إذا زرته في دائرته يستقبلني من باب الغرفة ويجلسني في صدرها، وكان يباحثني في الأدب وفي شؤون أخرى، والمذكور له ولع بدراسة اللغة العربية وآدابها، وكان ملماً ببعض قواعدها، وصادف مرة أن حكم المذكور أحد التجار بغرامة قدرها ثمانمئة روبية لمخالفته قانون أحكام الكمرك والمكوس، وقد أرشده بعضهم عليّ لألتمس قضيته من مستر منك، فجاءني التاجر وكان يرتدي كشيدة وقبّل يدي، وهو أكره شيء عندي، وعرض عليّ قضيته، وألحّ في الالتماس، فلم أر بداً من مواجهة مستر منك عن قضيته، فلما وصلت عليه قلت له بعد أن سلمت عليه، إني سأكتب في الجرائد بأني لا أعرف مستر منك ولا تربطني صداقة معه، فاستغرب وقال لمَ، فعرضت عليه قضية التاجر، وقلت له لأن الناس أخذوا يعجزوني وأنا بدوري صرت أعجز، فقال لا بأس، وخفض الغرامة على التاجر إلى ثلاثمئة روبية، وبقيت العلاقة مع المذكور.

الديوان:

في عـهد وزارة نوري السعـيـد وافـقت وزارة المعارف على أن تطبع ديواني على حسابها، ولكن اشترطت بعض الشروط من جملتها حذف بعض أبيات من الديوان الأول، فوافقت على ذلك، وسافرت إلى بيروت وكان معي السيد مصطفى علي، وحذفنا من الديوان جميع الأبيات التي طلبت وزارة المعارف حذفها، وأعدنا طبعها، ولما ورد الديوان إلى بغداد، وتوزعت نسخة، سقطت نسخة بيد جلالة الملك فيصل، وشاهد وجود أبيات غير مرغوب فيها، فأرسل على نوري السعيد، وسأله عمن أمر بطبع الديوان، فكلٌ أنكر أمره، وأخيراً حلوا المعضلة بتضميني أجرة الطبع المصروفة، واستقطعوها من راتبي.

رحم الله فيصلاً:

وقال الأستاذ، ومع ذلك رحم الله فيصلاً ورعى عهده فقد كان لا يحمل غلاً في صدره، وكنّا نتكلم في عهده بشتى النواحي، ولم يتعرّض لنا أحد، والآن أصبحنا في زمن لا يجرؤ امرؤٌ أن يذكر اسمنا.

مدح الطليان:

كنت ذات مـرة عند الأستـاذ الرصـافي، فـجـاء إليـه أحـد رجـال الاستخبارات في الحبانية المدعو «دنفيل» حسب ما أتخطر، وقال له سمعتُ أن مديرية الدعاية لم تنشر لكم شعراً عن الطليان، وكان وضع الطليان وقت ذلك غامضاً، ولكنهم قد أعلنوا العداء للإنكليز ومؤازرتهم للألمان، فأجابه الأستاذ بأن كاتب محكمة الفلوجة المدعو سعيد البدري، حسب ما أخبرني هو بنفسه، قد كتب كلمة عن الطليان وضمنها بعض الأبيات أخذها من القصائد التي قلتها عنهم في الحرب الماضية، فقال دنفيل: هل بالإمكان الاطلاع

عليها. وسأل دنفيل الأستاذ بقوله: وهلاً يوجد لك شعر حديث، فأجابه الأستاذ: نعم، ولكن ليس في الطليان، فقال دنفيل وهو يضحك: هل في حق الإنكليز، فأجاب الأستاذ (ربما يكون ذلك).

سن الذبان:

وفي أثناء الحديث تطرق دنفيل إلى كلمة (سن الذبان) ومعناها، فقال بأنه وجد خارطة إنكليزية مخطوطة في القرن الثامن عشر، ووجد مكتوباً على هذا الموقع باللغة الإنكليزية (سن الذبان)، وترجمه باللغة الإنكليزية « »[٦]، فمن هنا يظهر أنه كان في قديم العهد تكثر الذئاب في هذه المنطقة، فكانت تدعى سن الذيبان، لأن البدو والأعراب حتى يومنا هذا يجمعون الذئب على وزن ذيبان، وبعدئذ تحرّفت كلمة ذيبان إلى ذبّان، فقال الأستاذ مخاطباً إياي لله دَرّهُم لقد رسموا لبلادنا خرائط في القرن الثامن عشر وعرفوا المواقع والجهات قبل أن يأخذوها بزمن سحيق.

الرغبة في تطور البلاد:

وقال المستر دنفيل للأستاذ في سياق حديث عن حالة البلاد، لماذا تتألم يا أستاذ من تأخر البلاد الحالي، فإن التقدم والازدهار لا يأتي مرة واحدة، فأجاب الأستاذ: لم تكن هذه القاعدة صحيحة علينا، فهذه مشاريعكم، ومنها معسكر الذبان، قد ولد كاملاً تاماً من جميع الوجهات، ولم ينشأ على سنة التكامل التدريجي.

ويسكي لدنفيل:

وحيث أن المستر دنفيل لم يشرب القهوة، وليس له ما يقدمه له، فإنه استعان بالسيد فيليب عبوش، وهو مقاول يسكن الفلوجة، فأرسل له قليلاً من مشروب الويسكي قدّمه للمذكور.

إغراء الرصافي:

وإني قد قمت وتركت دنفيل في بيت الأستاذ حيث بقي حتى جاوز موعد جلوس الأستاذ. ولما زرت الأستاذ في اليوم التالي، قال لي وهل علمت لماذا بقي المستر دنفيل في المجلس كل هذه المدة، إنه عرض تنظيم شعر لمؤازرتهم، وقال بأنه مستعد لتقديم ما يرضيني من المال، فأجبته بأني متأسف من عدم تلبية الطلب لأن الشعر يصدر عن الشعور وليس هو كلام مقفى، ولهذا لا يمكن أن أبيع شعوري بالمال، وصرفته.

خيري الهنداوي:

وقال الأستاذ: شرب السيد خيري الهنداوي العرق في بيتي مرة وسكر، فطلبت منه أن يذهب إلى الفراش ويستريح قليلاً، فلم يذعن للطلب ولكنه أخذ يذكر فضلي عليه، ومما قاله لي: (إنت ربي يا أستاذ)، فقلت له: (شوف يا خيري، هذا لواص، بئس ذلك الرب الذي يأمر ولا يطاع، إذا أنا ربك، اذهب إلى فراشك ونام، فأطاع).

بيتان في الحقائق:

لقَنتُ في عصر الشباب حقائقاً

في الدين تقصر دونها الأفهام

ثم انقضى عصر الشباب وطيشه

فإذا الحقائق كلها أوهام

لِم أخرج من النيابة:

قال الأستاذ، إن سبب إخراجي من النيابة في عهد وزارة السيد طه الهاشمي أن اللجنة التي تألفت لإقامة حفلة بمناسبة مرور سنة على وفاة ياسين الهاشمي. أرسلت لي اللجنة كتاباً تطلب منّي الاشتراك بالحفلة،

فأجبت اللجنة بأني حاضر ومستعد للاشتراك فيها على شرط أن يكون الخطباء فيها أحراراً في ذكر ما للهاشمي وما عليه، وأن تؤلف بعدئذ لجنة من الفضلاء ممن اشتهروا بالعدالة وتثبيت ما هو حق، وإسقاط كل ما كان باطلاً، وإلا فلا فائدة من حفلات تقام للمدح والإطراء لأنها تعلم الناس على النفاق ولا ينفعهم ذلك شيئاً. فوقع هذا الكتاب بيد السيد طه الهاشمي، فلم يرض بصيغة جوابي، وامتعض منه، ونقلها بعض المنافقين بأني قد قلت بأن الهاشمي لم يقم بأي عمل مجيد للبلاد، وإذا وجد للهاشمي حسنة واحدة له، فاجعلوها بصقة في وجهي، ولهذا أضمر لي المذكور العداء، وأخرجني من النيابة.

المنافق والغلطة:

قال الأستاذ، كان يوجد في الفلوجة، في عهد إبراهيم صالح شكر، مدير مال يدعى الأسود وكان منافقاً، فكان يتردد على مجلسي، وينقل الأخبار إلى القائم مقام إبراهيم صالح شكر تقرباً منه، فوصلني هذا الخبر فامتعضت منه كثيراً، وصادفني مجيء العيد فعملت في يوم عرفة وليمة دعوت له معارفي وأصدقائي في الفلوجة، وفي الموعد حضر مدير المدرسة الابتدائية السيد مجيد (...)(٧).

وكان من جملة المدعوين، ولم أكن أعرفه جيداً، فاعتقدت أنه الأسود، فاعتديت عليه بالكلام من دون شعور، وفي اليوم الثاني ذهبت إلى بيته وقلت أنت مخيّر بين أمرين، إما أن أترك الفلوجة لأن عيني أصبحت غير قادرة على رؤيتك، أو أقبّل يدك، وقبّلت يده.

رجال الدين:

لا در در رجال الدين أنهم
قد أظهروا فيه منه غير ما كتموا

واستعملوه كما تهوى مآربهم
كأنه ليس إلا آلة لهم
تالله ما كان في الإسلام من حرج
على الأنام ولا في نهجه غمم
بل كله جاء تيسيراً وتبصرة
للعاملين وأحكاماً بها حكموا
لكنما القوم ظلوا جامدين على
ما منه قد وهَموا يا بئس ما وهَموا
إذا سلكت إلى الإصلاح مسلكه
فأنت في رأيهم بالكفر متهم
وإن تصادمت بالعادات تنكرها
فأنت في زعمهم بالدين تصطدم
وإن أتيت ببرهان فأعجزهم
لم يحسنوا الرد بل من عجزهم شتموا
وإن تقل لهم قبولاً لتقنعهم
شدَوا عليك وردوا قبل ما فهموا
خلائق كظلام الليل من يرها
يقل بأمثال هذه تمسخ الأمم(٨) .

عتابه على العرب:

كان الأستاذ يتألم من حالة بعضنا ، ففي ذات يوم قال كنت أول من أشاد بمجد العرب وشحذ الهمم لإعادة المجد المفقود ، وقد بقيت أربعين عاماً ونيفاً أهتف بذكراهم، ومع ذلك فأنا في الوضع الذي أنا فيه، فلو

كنت بدلاً من ذلك أجمع أعقاب السكاير لأصبحت (بندرجي)، تاجر تبغ.

وقال مرة لو كنت أحترف (دق الدنبك)، وهي أحقر مهنة بنظر الجمهور، لكنت أعيش خيراً من عيشتي الحالية التي أنا فيها.

الدنيا:

قال الأستاذ يوماً، إن سعادة الدنيا وشقاؤها عندي سيان، ولا ينخدع بهذه الدنيا وأباطيلها إلا رجل أبله، لأن كل ما فيها يؤول إلى الزوال.

كرمه:

في يوم (عرفات) جاء شاعر (روزخون) إلى الأستاذ الرصافي، وأخذ يمدحه بقصيدة فنادى خادمه، وسأله عمّا معه، فقال (ستة روبيات)، فقال أعطه ثلاث روبيات وانصرف الروزخون، وجاء على الأثر روزخون ثانٍ ومعه قصيدة مدح فقال له الأستاذ لا تقرأ، فهمنا قصدكم، وصاح على خادمه وقال أعطه روبيتين، فدفع له الخادم هذا المبلغ وبقي لدى الأستاذ روبية واحدة، وفي هذا الأثناء جاء ساعي البريد وقد جلب معه بطاقة معايدة من السيد خيري الهنداوي، فلما فتحها واطلع على مضمونها (أيامكم سعيدة)، بصق في البطاقة وقال أي سعادة في أيام أملك فيها من حطام الدنيا روبية واحدة، ثم نادى خادمه وقال له اخرج بالروبية التي معك إلى السوق واشتري فيها مزّة.

عبد الغفور البدري:

طيلة المدة التي كان فيها الأستاذ في بغداد كان عبد الغفور البدري يأكل منه ونوري ثابت ذات مرة عندما أرسل خادمه لجلب المزة قام وقال: أريد أن يجلب لي قنينة يود وباكيتين قطن.

الحرية في داره؟!

قيل للأستاذ لو بدلت الدار فقال لو صرت جيران النقيب هل يوافق أن ندخل ونخرج لأن كل واحد كان يجلب مومسته، أو فرخه، وقال هذا بيت الحرية.

عصبيته:

يحب الصراحة: مرة قال لجلسائه ما (يطلبوه من المزة)، فقال ما تريده، فأجابهم (أريد آكل خرة)، أنتم ها تاكلون، فطلبوا ما (يريدوه).

ومرة ذهب إلى بيت عريم، وقدموه ليخدموه، فقال وقد التفت إلى جماعته، شو أقول قولوا (ووو) جريواتي.

الأستاذ والحاج شكري:

سافر الأستاذ إلى لبنان مع حاج شكري بن بطّي، وذات يوم بينما كان في وادي العرائس في زحلة، عرّف الحاج شكري صاحب المقهى بالأستاذ، وقال له هذا الأستاذ الرصافي، وصار يعرِّفه بكل من يحل فاتّسعت الدائرة، وتضايق الأستاذ، وبعد أن انفض المجلس قال إلى الحاج شكري: (منو قال لك تقول لهم أن هذا الخرة)، وزعل، وتفارقا من أجل ذلك، وتصالحا في بغداد.

طرشي شكري:

ومرة جلب الحاج شكري طرشي، فأكل منه الأستاذ قطعة، فأصيب بألم في بطنه واستفرغ، وعاتب شكري بقوله له (منين جبت هالخرة)، فقال له إنت منو قال لك تاكل منه، فأجابه الأستاذ هكذا، (إذاً قوم واطلع من بيتي). فخرج الحاج شكري، وفي اليوم الثاني ذهب عليه إلى مقهى عارف آغا، وقال له (إنت هم قوم إمشي، وصالحه وأخذه إلى بيته).

والحاج شكري هذا كاتب أديب ودارس العلوم اللغوية والفقهية، وكان في بادئ الأمر رئيس كتّاب في دائرة النفوس، ثم تقلب في وظائف مختلفة وكان مثرياً، ولكنه بخيل.

كالوس قمجيان:

ذات يوم كان يلعب الورق مع كالوس قمجيان الملاك في الفلوجة في بيته، فسبَّ كالوس وقال له، (ألعن أبوك)، فرد عليه المذكور (ألعن أبوك)، فسكت الأستاذ وقال الآن ارتحت، أنا اعتديت على المذكور ولو لم يسبني لم أكن أنام الليل.

عبد صالح:

خدم عبد عند الرصافي عام ١٩٢٩ وكان غلاماً يلبس الألبسة الأهلية وله جدائل شعر، ويرقص، ثم دخل في الخدمة وبقي عليها.

الهوامش:

١- في الديوان :

إني أرى مصر والتاريخ يشهد لي

تحيا بعرق منها من ضنعضي العرب

وليس فرعونها ممن يشط به

بعداً عن العرب العرباء بالنسب

-الصنعي- الأصل

٢- هو غير الكاتب المعروف مير بصري إنه ابن عمه .

٣- كذا في الأصل والصواب ومن أجل بغضي للمخانيث أنكرت يدي أن تحلى في الجنان أساورا .

٤- جمعت من أوراق متفرقة .

٥- يشير إلى احتلالهم سنة ١٩٤١ .

٦- كان المكان فارغاً .

٧- نقط في الأصل .

٨- القصيدة طويلة في الديوان ص ٤٤٥ .

الرصافي يسجل ذكرياته ومشاهداته عن بغداد

هذه مقالات نقلها الأستاذ عبد الحميد الرشودي عن أوراق لم أجدها بين الأوراق التي وصلتني، وقد تفضل الأستاذ بإرسالها لي مشكوراً، وقد نشرها في جريدة الاتحاد الأسبوعية في شهور أيلول وتشرين عام ١٩٨٩ في الأعداد من ١٤٤١ إلى ١٤٧، وهي تكمل المذكرات. قال:

تمهيد:

كان المرحوم الأستاذ حافظ خالد قد عين قاضياً في مدينة الفلوجة وكان يؤم مجلس الرصافي وقد استهوته أحاديث الرصافي، فكان عند عودته إلى داره يدون مسموعاته في أوراق خاصة وكان يعرضها على الرصافي لتأييدها وتوثيقها. وقد أتيح لي أن تشرفت بمعرفة المرحوم الأستاذ حافظ خالد يوم كان قاضياً في محكمة بداءة بغداد سنة ١٩٥٥، وقد قدمني إليه المرحوم عبد صالح، فحدثني عن ذكريات الرصافي وكيفية تدوينها وأنه كان في بعض الأحيان يستملي الرصافي بعض المعلومات التي عاصرها فدونها الرجل بأمانة وصدق، وقال أنه يحتفظ وهي في إضبارة كبيرة.

وبعد مضي حقبة من الزمن انتقل المرحوم حافظ خالد إلى جوار ربه فقامت أسرته الكريمة بتقديمها إلى مؤسسة علمية عراقية لتتولى حفظها أو نشرها وكان ذلك في أوائل سنة ١٩٦٦. وإلى اليوم لم يظهر لهذه المذكرات أثر ولم يسمع لها خبر.

وكان من محاسن المصادفات أني حدثت الصديق المؤرخ الأستاذ خيري العمري بشأن هذه المذكرات فأفادني بأنه قد استعارها من المرحوم حافظ خالد واستنسخ شطراً منها فقدمه لي مشكوراً، فقمت باستنساخه، وقد جلت فيه قلم الإصلاح وقومت عباراته وصححت ما وقع فيه من أخطاء نحوية وإملائية، ونظراً لما ينطوي عليه هذا الشطر من الذكريات من فوائد وطرائف رأيت أن أنشرها لتعم فائدتها إلى أن تظهر المذكرات كاملة وما لا يدرك كله لا يترك جله. وقد قمت بإضافة بعض الشروح ووضعتها بين معقوفتين كلما علقت بعض التعليقات التي وجدتها ضرورية مما يتصل بالأخبار والوقائع التي رواها الرصافي:

المذكرات:

أولاً- أجواق بغداد الموسيقية:

كان في بغداد ثلاث أجواق، الأولى جوقة القمندان وكان مكانها غرفة في القشلة (السراي)، وجوقة الطوب خانة وكان مكانها في القلعة (وزارة الدفاع)، وجوقة السوارية ومكانها غرفة في الكرنتينة (بناية موقع بغداد).

والسوارية هم غير الاسترسوار: فإن الأولى خيالة لحرب السهول والثانية بغالة لحرب الجبال.

وكانت هذه الأجواق تعزف بعد العشاء وعند الفجر وفي العصر من كل يوم في الأماكن الآنفة الذكر وكان جوق السوارية يستعملون الآلات الصوتية. أما الجوقان الآخران فيستعملان آلات مختلفة.

وشيء أدركته وكان يبعث في قلوب أهل بغداد الراحة وهو الهوايات التي كانت تعزفها الأجواق العسكرية يومياً في القشلة قبل الفجر، فكانت بغداد تستيقظ يومياً من وقت مبكر على أنغام هذه الفرق، وكانت تسمى الهوايات وتشمل جو بغداد الصغير آنذاك بالألحان والأنغام الشجية وبعد الانتهاء من العزف يصيح أفراد الفرق كلهم بلسان واحد: بين المغرب والعشاء يفعل الله ما يشاء بأيدي شاه جوق بشاه.

ومما يبعث على الراحة والاطمئنان فجراً في بغداد التمجيد الذي كان يقوم به كبار المغنيين فوق منائر جوامع بغداد الكبيرة وقت الفجر مثل أحمد زيدان المغني المشهور. فقد كان يمجد كل يوم من فوق منارة جامع الأحمدية في الميدان فيملأ الجو شجواً وصبواً.

وكان ذكر هذا المغني وولوعه بمقام الصبا أنه لمّا أدركته الوفاة أوصى تلميذه رشيد القندرجي أنه بعد أن ينزلوه في قبره ويرجع المشيعون من المقبرة أن يعود ويقرأ الصبا عند رأسه، وقال رشيد إنه فعل ذلك وبل قبر أستاذه بدموعه.

وكان القندرجي يزورني في بيتي بين الفينة والفينة وهو الذي روى لي قصة أستاذه أحمد زيدان وكان سكيراً لدرجة مفرطة، وكان يأتي إلى بيتي ليشرب ويأكل ويغني لي وإذا غنى كنت أهدده وأقول له إذا غنيت عالياً فإني سوف أضربك بهذه العصا وألوّح له بالعصا، وبأي مكان يصيبك فأنت ونصيبك، وكنت أفعل ذلك لأحمله على عدم الغناء عالياً،

لأنه إذا غنى عالياً أصبح صوته بشعاً كأنه خارج من بئر، وكان أهل الغناء يسمون غناءه (زير).

ثانياً: الجسر:

كان يوصل بين الجانبين من بغداد جسر من الخشب مقام على شريعة جامع الآصفيّة، محل جسر المأمون تقريباً، مبني على سفن خشبية مربوط بعضها ببعض بأعمدة متينة من الخشب ومقام من الأعمدة الأرضية، وقد فرشوا على الأرض البواري وفوقها طبقة من القير لأجل ألا يسيل بتأثير الحرارة ونشروا عليه وسخ الخيل (الفشقي)، والجسر مربوط من الجهتين بسلاسل حديدية وحبال لف غلاظ.

وكان له فتحة تفتح وتغلق حسب الحاجة لمرور وسائل المواصلات النهرية، والمرور على الجسر في العهد العثماني قليل للغاية بحيث أن بعض الصيادين كان ينصب شبكة لصيد العصافير يسمونها آنذاك (جزوة)، لأن العصافير كانت تتجمع بكثرة فوق أرض الجسر بسبب الفشقي وكان بيع العصافير مألوفاً فالفقراء يشترونها ويأكلونها بدلاً من اللحم.

وكانت مياه دجلة في موسم الفيضان أو عند حصول العواصف تجرف الجسر أو بعض أقسامه فينقطع الاتصال بين الجانبين، وكان القسم المنجرف ينساب مع المياه إلى مسافات بعيدة حتى يصل سلمان باك، أو الصويرة أو العزيزية، وهناك يربطون الجسر ويبلغون الحكومة ببغداد، فكانت ترسل لجلبه طابور عسكر يسحبونه بالحبال مشياً على الجرف.

ولما تأسست شركة اللنج كانت الحكومة تستعين بها لترسل بعض مراكبها وتأتي به إلى بغداد، ولأجل تسهيل مهمة إرجاع الجسر كانت

الحكومة ترسل مع المركب البخاري جوقاً موسيقياً أهلياً من حملة الطبل والنقارة والصناجة لكي يتحمس العمال على العمل عدا الطلقات النارية التي كانت تطلقها الجندرمة ويملؤون صفاء الجو أزيزاً والهوسات الشعبية التي يقيمها العملة، وكان إرجاع الجسر من المشاهد المشهودة عند أهالي بغداد.

وحيث أن الجسر مثبتاً على سفن خشبية لذلك كان الخلل يسرع عليه فكانت الولاة يجددونه ويتخذون من ذلك دعاية واسعة لعهدهم. وأتخطر، وأنا صغير، أن أحد الولاة تزوج امرأة من تبة الكاور وبنى جسراً ولما أكمله نقل فأخفى أمر نقله حتى افتتح الجسر وكانت زوجته جالسة فوق سطح جامع الآصفية تشهد حفلة الافتتاح مع جمهرة من أترابها وقد نظم أهالي بغداد غناء بحقها لا أتذكره الآن بلفظة وكل معناه أنها جاءت تشؤماً على زوجها فنقل.

ثالثاً: ناظم باشا:

ومن المشاهد والاحتفالات التي أتذكرها المهرجان الذي أقامه ناظم باشا في الساحة التي أمام الكرنتينة (الثكنة الشمالية) إذ جمع المحلات فخرجوا إلى الساحة يحملون الأعلام والسلاح مع شيوخ القبائل وقاموا باستعراض أمام الوالي ناظم باشا وكان جالساً على كرسي فوق منصة عالية. وفي هذا المهرجان تخاصم أهالي طرفين وقتل شخصان.

ولم يكن التجنيد معروفاً من قبل ولكن في أيام مدحت باشا أنشئت القرعة وكانت مدتها أربع سنين ففي كل عام يأتي المكلف إلى دائرة القرعة ويقترع. وكانت القرعة تتألف من أوراق سوداء وبيضاء موضوعة في كيس فإذا خرجت ورقة بيضاء يعفى من الجندية وإذا خرجت سوداء

أخذ لخدمة الرديف وكانت المدة أربع سنوات وإذا هرب تضاعفت الخدمة وتسمى خدمة زجرية.

وأول من ألغى الرديف ناظم باشا وأقام محله النظام العسكري الحديث وأقام معسكره في المكان الذي فيه معسكر الرشيد الآن وجمع مقاتلة وخيالة العشائر، وفي عهده عم العراق أمن لم يشهده منذ قرون. وحار الناس في أمر هذا الوالي مع أنه لم يقتل ولم يصلب أحداً ولكنه عمل صلابتين من الخشب وأبقاهما في باب القلعة وكانت الناس تخافه وتهابه. وهو الذي بنى مدخل السراي الموجود على حاله الآن وهو الذي فتح شارع الرشيد اعتباراً من عقد الخناق إلى شريعة السنك إلى الباب الشرقي وهدم القنصلية البريطانية وكان عازماً على القضاء على النفوذ الإنكليزي في العراق كافة ولاسيما في بغداد حيث كان لهم جنود من الهنود ومراكب حربية وقد تمكن الإنكليز بمكرهم ودهائهم من التأثير على الباب العالي وعزله وإقصائه عن العراق والحادث الذي استغلوه وجعلوه أساساً هو أن الوالي أحب المرأة الأرمنية الثرية سارة المعروفة بالزنكية وهام بها ولأجل أن يحظى بها رشح رجلاً أرمنياً كان يشتغل بإمرته للزواج منها فعرفت سارة المكيدة ورفضت وهربت إلى البصرة واستعانت بالقنصل البريطاني فعمل مع حكومته لأجل إبعاد ناظم باشا بما شعر منه عزيمة صادقة في إظهار هيبة الحكومة العثمانية والقضاء على النفوذ الأجنبي.

رابعاً: الملاهي والخانات:

كان العرق في زماننا يشرب صرفاً من غير أن يخلط بالماء بل كنا نضع القناني (الربعيات) داخل الشربة بعد أن نملأها بالماء ليبرد العرق

حيث لم تكن صناعة الثلج معروفة آنذاك، وكانت الخمارات غير موجودة بالشكل الذي عليه الآن، وإنما كان هناك بعض اليهود في محلة (أبو سيفين) و(الطاطران) و(سوق حنون) و(بني سعيد) و(زقاق ابن روح) في الشورجة يقبلون بعض الشاربين في بيوتهم في الوقت المحصور بين الظهيرة والمغرب، وكان الشاربون يأكلون المزّة مع العرق كما هو الحال، وكان لنا عميلة يهودية تدعى معتوقة نتردد كثيراً على بيتها لشرب العرق ودارها تقع في محلة (بني سعيد)، وهي امرأة عاقر يعاشرها رجل يقال اسمه فرمان، وكان لها أخ اسمه يوسف، وكانت خدوماً وروادها كثيرون تقسمهم على غرف البيت الذي يحتوي على ثمان غرف.

وأول خمارة فتحت في بغداد أنشأها رجل في (كُنج) عند مدخل خان التمر في المصبغة المعروف الآن بخان (الدفتردار). كان يقدم العرق والمزّة على مناضد وكراسي، ثم تعددت الخمارات وأنشأ أحدهم في بغداد أوتيلاً باسم (أوتيل عبد الأحد) مقابل (بيت لنج) على نهر دجلة، وهو لايزال موجوداً على حالته القديمة حتى الآن (أي سنة ١٩٤٠)، وكان يؤمّه الضباط والموظفون وعلية القوم، وكان يقدم مختلف المشروبات ثم أنشئ المسناة باسمه في كرادة مريم، وصار يقيم فيها الحفلات والجالغي البغدادي. كما فتحت دكاكين في شارع السراي أمام القشلة تباع فيها المشروبات.

كان العرق يقطر بقدر وهو إمبيق كبير من النحاس محفوظ في دائرة الحراقية، وهي دائرة تأخذ رسوماً عن تحميص القهوة واستخراج العرق خلف بناية البريد الحالية (تجاه الإعدادية المركزية للبنين). وكان اليهود هم الذين يتعاطون تقطير العرق، يأخذون القدر من الدائرة ويحملونها على بغل

ويذهبون بها ركضاً إلى الكرادة فيقطّرون العرق ثم يعيدون القدر إلى الدائرة ويدفعون عن كل ساعة مجيدياً واحداً ويسامحون بساعتين.

وبعد هذا العهد أسست معامل التقطير تحت إشراف الحكومة وأكبرها معمل اليهودي ساسون شمداخ، وقد اشترى معمله بعد موته أندري أبو العرق، ووسعه وأضاف إليه مكائن. ثم أسس يوسف مسيح معملاً لتقطير العرق.

وعلى ذكر ساسون شمداخ (أبو العرق) فإن المذكور كان يلبس زبوناً شعرياً وثوب ريزة كتان ودميرياً شعرياً وعباءة جيناوي بيضاء وفي رأسه فيس وعليه جيتاية ملفوفة يركب بغلاً رهواناً (أي سريع السير)، ويذهب إلى معمل العرق العائد له في الكرادة ويضع في حزامه الذي هو كناية عن لفة من قماش مزدين مسدسي، وكان رجلاً فكهاً سريع البديهة. سطا عليه جماعة من اللصوص ذات ليلة وأيقظوه من نومه وقالوا له: يا ساسون نريد قتلك أو تشتري روحك وتعطينا مبلغاً، فأجابهم: أنتم بها أو بدونها سأعطيكم مطلوبكم طالما طلبتموه مني، وقام من فراشه وأعطاهم عشرين ليرة ذهب، فأخذوها وانصرفوا، ولم يخبر عنهم.

كان في عهدنا ملهيان أحدهما في الميدان في مقهى سبع يقع في جوار المدرسة المأمونية المطلة على ساحة الميدان، وكان المقهى في الطابق الثاني. أما الملهى الثاني فهو في مقهى أحمد الصفو في شريعة المصبغة، وكان في الطابق الثاني أيضاً، وكان يعرف بقهرة الشط، وهي وقف للطائفة اليهودية.

وكان الذين يرقصون في الملاهي بادئ الأمر غلمان يأتون مع أجواقهم من حلب، ومن مشاهيرهم المدعو (نعيم)، كان على جانب عظيم

من جمال الصورة ممشوق القوام وقد أعجب به أحد وجوه بغداد وأخيراً قتله بطلقة في وسط الملهى عندما كان يرقص، فحكمته المحكمة بالسجن. وكان في بغداد سجنان. ونظم أهل بغداد على قتل نعيم أغانٍ كثيرة ونظمت فيه شعراً منه:

أسبغ الله نعيم الحسن في وجه نعيم
قمراً أغنى عن الإشراق في الليل البهيم
علم الناس صحيح السحر بالطرف السقيم
يرجع السحر بعينيه إلى عهد الكليم

خامساً: عندما أعدم مصطاف أفندي أمام طوب أبو خزامة:

كان الإعدام قديماً يتم بالسيف والنطع أي بضرب الرقاب. وقد حضرت حادثاً من هذا القبيل وأنا صغير فقد كان يوجد في بغداد نائب قاضي من الاختيار يدعى نجم الدين، فضمر له العداء أحد أهالي بغداد وهو المدعو مصطاف أفندي أخو محمد آغا من أعيان بغداد المعروفين وهو والد السيدين سالم وعبد الوهاب آغا. وكان مصطاف أفندي أحد المرتزقة في وقف خان جرقبة أي سي. فراجع النائب نجم الدين أفندي بخصوص ارتزاقه فلم يجر النائب وفق طلبه، فأضمر له الشر وأخذ يترصده وبينما كان النائب نجم الدين ذاهباً إلى بيته عن طريق زقاق العاقولية قتله مصطاف أفندي تحت الطاق العائد إلى بيت الآلوسي بخنجر كان يحمله، فقبض عليه وثار الرأي العام ضده وحكم بالقص وحبس بسجن القلعة. وفي اليوم الذي حدد لإعدامه أخرج من سجن القلعة إلى الساحة الواقعة أمام باب القلعة حيث كان يجثم طوب (أبو

خزامة)، وأجلسوه على كرسي وعصبوا عينيه، وقد أحاطت به دائرة من الحرس شاكّي السلاح. ثم حضر الجلاد وهو من أصل الجاجان وبيده قامة طويلة فأخذ يروح ويجيء ويضرب مصطاف بالقامة عدة ضربات خفيفة إلى أن حصلت الوضعية المؤاتية للقطع فضربه على عنقه ضربة فصلت رأسه عن جسده. وكانت أخت نجم الدين حاضرة وتوسلوا بها أن تعفو عنه باعتبارها ولية حسب أحكام الشريعة فلم توافق على الإعفاء. وعندما أعدم مصطاف أفندي تجمع الأهلون فوق سقف الميدان للفرجة فتهدمت بهم العقادة وسقطوا على الأرض وأصيب جملة أشخاص بجراح وشاع عند البغداديين بستة على مصطاف أفندي تقول:

يللي قتلت مصطاف جفنه بعباتك

كصن كصايب سود حزنن خواتك

وقبل الاحتلال البريطاني بقليل أدخل الأتراك الشنق والرمي بالنار كأسلوبين جديدين للإعدام. وأول من أعدم شنقاً شخص يدعى (ملكي) من أهالي الأعظمية، قتل ابن أخته زعماً أنه يتعاطى اللواطة فقتله غسلاً للعار فلم يثبت زعمه وحكم عليه بالشنق وشنق في ساحة الكرنتينة أمام الثكنة الشمالية الحالية ومقبرة باب المعظم في مكان بناية وزارة الخارجية سابقاً.

سادساً: الرقص والغناء:

وبعد عهد الغلمان بالملاهي استقدم أصحابها قبيل الاحتلال راقصات من حلب وكان الغلمان عندما يخرجون إلى المسرح يلبسون لباس النساء ويتجملون بمواد التجميل الخاصة بهم ويلبسون العبي

ويتحجبون كما تفعل النساء تماماً ويضعون أثداءً من المطاط في صدورهم.

وكان الرعيل الأول من الراقصات اللاتي وفدن إلى بغداد من حلب هن طيرة ورحلو وفنر وغيرهن. وطيرة هذه ذهبت إلى الشيخ خزعل في المحمرة وبقيت عنده مدة كما هام القائد خليل باشا بالراقصة فنر (المشهور فلم) أثناء الحرب، وفي المدة الأخيرة فتح ملهى ثالث في سوق الشورجة قرب (البقال خانة) وأصبح في بغداد ثلاثة ملاهي، ولما احتل الإنكليز بغداد كثرت الملاهي وتنوعت.

ومن المغنين المجيدين في بغداد في العهد العثماني أحمد زيدان ورحمين أبو حلك الذهب، وكان جميل الصورة وصوته رفيع للغاية ويقال أن المقام البغدادي قد تنوع وتشعب في عهد شلتاغ أستاذ أحمد زيدان حيث كان المذكور متمكناً من الصنعة وكان له صديق من المغنين في مثل حذاقته، وطلب منه يوماً أن يغني له مقام الإبراهيمي فغنى له شلتاغ المقام الإبراهيمي مع تحريف فشعر ذلك الصديق في الحال فسموا المقام الجديد (المخالف)، وهكذا كان الرجل يستنبط المقامات الجديدة من المقامات القديمة.

وكان هؤلاء المغنون يغنون في المقاهي في ليالي رمضان مع أجواق الجالغي وكذلك يغنون في الأعراس والأفراح وكان بعض أصحاب المقاهي يجلب أهل الربابة والعتابة مثل عكار وهو أحذق ضارب رباب في زمانه فكان يضرب على ربابته ويغني عتابة لأجل أن يستهوي المارة إلى الجلوس في المقهى.

وكان بعض أصحاب المقاهي يحضرون رواة القصص مثل ألف ليلة وليلة وأبي زيد الهلالي وعنتر بن شداد فيقصون أخبارها على رواد مقاهيهم للدعاية، وبعضهم يقيمون حلبة الساس والطابق في ساحة المقهى لجمع الناس وتشويقهم. وكان هناك صنف من التمثيل الشعبي يدعى (الإخباري) أي التمثيل المضحك، وكان يقام في المقاهي والحفلات وأحسن من برع فيه محمد بن الحجامة ومنصور.

وكان المهرجون في زماننا يطلون وجوههم باللبن والصباغ ويحملون الجريان يتضاربون بها ومنهم من يربط خف يمني في شاربه إلى غير ذلك من التقاليد المضحكة. وكان بعضهم يلبس قش شجرة على شكل وجه إنسان بعد أن تطلى بالصباغ لتبدو بشكل مضحك.

وكان هؤلاء يحفظون قصائد زجل مضحكة للغاية فيقرؤونها للناس وهؤلاء يستمعون إليهم ويضحكون لرقصاتهم وألغازهم.

سابعاً: الجاندرمة:

وهم صنف من قوى الأمن أوجدته الحكومة العثمانية بعد الينجري والسباهي، وهؤلاء الأخيرون شاهدهم جدي (يعني جده لأمه جاسم القراغولي) أوائل حياته وكانوا يرتدون زخمة وفوقها دميري ذو أكمام مفتوحة ومزركشة بالقصب وأنا لم أشاهدهم، وكانوا أهل شغب وفتنة ينشرون الاضطراب والفوضى في بغداد من حين لآخر وكانوا إذا خرجوا للتظاهر حملوا طبولهم وصاروا يضربونها بأحذيتهم استخفافاً وغالباً ما ينضم الرعاع والأشقياء إليهم. وكان هؤلاء في ذلك العهد يطلقون شواربهم ولحاهم ويفتحون صدورهم التي تكشف عن شعر كثيف كالفروة

حيث يعتبرون خشونة الملبس وشراسة المنظر من عناصر الرجولة. وروى لي جدي جاسم الشيخ علي عن شرور هؤلاء من أنه خرج ذات يوم إلى الجوبة -وهي محل بيع أغنام- حسب عادته وعند عودته جلس في مقهى قنبر علي في بغداد بعد العصر فمرت امرأة لابسة الأزار والبيجية والجدك والمدارس فشاهدها أحد الجالسين في المقهى من أهل الشقاوي (الجاسملر) وأن لباس المرأة مفتوح وكانوا يعملونه طويلاً للغاية ويشدونه عند رسغ الرجل وكان من القماش الذي يتخذه الرجال زبوناً فهاج وقام إليها وطعنها وقتلها في الحال ولم يبد أحد حراكاً لأن المذكورة تحدت قواعد الأدب بعمل لباس لها يتخذه الرجال لباساً لهم.

وقد قضى السلطان محمود على شرورهم فخمل ذكرهم، هؤلاء (الليني جري والسباهي) هما عساكر الدولة النظامية في ذلك العهد أما الأمن الداخلي فقد كان ينهض به -هايته باشي، وهم يشبهون الحراس الأهليين في الوقت الحاضر مع كل واحد منهم بندقية من النوع الذي يحشى بالبارود بعصا طويلة من السبطانة ويلبسون الألبسة العادية وكان في كل منطقة في بغداد عشرة أو عشرون شخصاً منهم وعليهم رئيس يسمى -تفكة باشي- وبعد إنشاء نظام الضبطية والجاندرمة ألغي ذلك النظام.

وروى لي جدي أن أبنية بغداد كانت عالية الأبواب واسعة ولكن لما خربت البلاد وقل الأمن صار من جملة ما يعمله الناس لحماية أنفسهم هو تصغير باب الدار وجعل أرضها أوطأ من الطريق حتى إذا هاجمهم (الليني جيرية) وهم على خيولهم يصعب عليهم ولوج الدار. وكانت أغلب محلات بغداد لها أبواب تغلق ليلاً ويتناوب على حراستها رجال وأنا

بنفسي شاهدت أبواباً في الرواق ومحلة الدشتي وسراج الدين والصفارين ومحلات اليهود، وكان أهل المحلات يسط بعضهم على بعض والمحلة التي ليس فيها لصوص تكون طعاماً لغيرها.

واللصوص في تلك الأيام من علامات الرجولة وبهم تحتمي المحلة حيث كان أهل المحلات الأخرى يخشون الاعتداء على المحلات التي فيها لصوص خوفاً من أن يقابلوا بالمثل.

عندما كبرت وصرت أجلس في مقهى الطرف ويتقدم بنا الليل كان رجال المحلة يبدلون ملابسهم في المقهى ويطلبون منا الانصراف إلى البيوت لأنهم كانوا يتهيأون للسطو ولا يرغبون أن نطلع على أسرارهم.

وقد كان جل عساكر (اليني جيري) من الجان وكلما تبدل الوالي وجاء مكانه وال جديد ثاروا ونشروا الفوضى ويستمر ذلك بضعة أيام حتى تهدأ الحال.

وكان أهالي بغداد عندما يتبدل الوالي يبنون الحيطان على أموالهم ونسائهم وأطفالهم ويهربون منها ثم يعودون إليها بعد هدوء الحال. ربما ترك بعضهم داره وما فيها من مال ومتاع ويستجير بذوي النفوذ والجاه أو ذوي المنعة لكثرة المقاتلين عنهم وكانوا يسمون المقاتلين سكمانية.

وحدث مرة أن مرت يهودية في قنبر علي ورفعت البيجة قليلاً فلمحها أحد الجالسين فبعث صبي المقهى يتعرف على دارها ثم أرسل إلى زوجها وأخذ ينهال عليه سباً وشتماً لما فعلته زوجته وهذا ما كان يعمله أولئك الشقاة مع الذميين ناهيك بما كانوا يعملونه مع المسلمين إذ يعدون ذلك غيرة وحمية.

وكان اليهود يبنون الأبواب في الطرقات داخل محلاتهم ويقيمون عليها الحراس ويخرجون مصاريفهم من أهل البيوت وكانت تلك الأبواب تغلق عند المغرب وتفتح عند الصباح وكانت تحمي الدور التي تحتها من غائلة السرقة والنهب في الملمات وكان أولئك الحراس هم الضحية لأهل الدور إذا وقع اعتداء عليها وكانوا مسلحين بالمكاور، والخناجر والبنادق ومعهم تخوتهم وفرشهم وأسبابهم يقيمون فيها بصورة دائمية بجوار الباب.

وغالباً ما كان الوالي يمتنع عن تسليم العصاة إلى الوالي الجديد بتأثير العائلات المتنفذة في بغداد والتي كانت تؤيدة وتثير العوام معها فكانوا يحاربون الوالي الجديد وبعد أن يستولي هذا على المدينة يستبيحهم فيحصل السلب والنهب ثم تهدأ الحالة بعد مرور أيام.

ثامناً: المقاهي والتنوير وأثرها على حياة البغداديين

المقاهي:

كانت تقدم للزبائن القهوة (والناركيلة) وشربت الورد والحامض وفي الصباح الباكر كان الناس يخرجون لصلاة الفجر أو للحمامات وكانوا يعرجون على المقاهي فيقدم لهم الثعلب مخلوطاً بالحليب بكاسات من الفخار.

لم يكن الشاي معروفاً وقت ذاك ولعل أول من صنعه وباعه صاحب مقهى كائب في باب وزارة الدفاع القديم يدعى (كلوزير) أي الوزير الأقرع لأنه كان أقرع بالفعل يبيع الشاي (باستكانات) زجاجية كما هو الآن. والشاي نوعان إما خالدار أو أخضر وكان طويل الورقة حيث تبقى

بعض وريقات منه في قرارة (الاستكان)، وكان طعمه زكياً للغاية والإنسان يشتهي شربه ثم شاع استعماله وتوسع إلى أن وصل إلى الحالة التي نحن عليها.

التنوير:

لم يكن في طرقات بغداد نور ليلاً بل كانت المدينة في ظلام دامس ولذا كان أهالي بغداد يقبعون في بيوتهم وقلما يخرجون ليلاً وإذا خرجوا كانوا يحملون «فنراً» وهو كناية عن اسطوانية من ورق المشمع المزخرف قاعدتاه العليا والسفلى من النحاس وتوضع في قاعدته السفلى شمعة معمولة من شمع العسل وكان ضوء الفنر ضئيلاً للغاية بحيث لا يرى حامله طريقه إلا بصعوبة وفي زمن المشروطية أنيرت الطرق بفوانيس معمولة من التنك والزجاج بداخلها مصباح زجاجي يضاء بالنفط الأبيض مثبتة على جدران البيوت.

ولما دخل الإنكليز بغداد وأسسوا مشروع الكهرباء أناروا الطرق الرئيسية وأبقوا الطرق الفرعية تضاء بالفوانيس.

وفي عهد الحكم الوطني أنيرت جميع شوارع بغداد وأزقتها بالكهرباء، وكان الذي يقوم بالعناية بالفوانيس عدد من المستخدمين يدعون (المبجية) يحملون معهم سلالم خشبية ويمرون على الفوانيس ينظفونها يومياً ويملؤونها بالنفط ويوقدونها في الليل وإذا هبت عاصفة انطفأت وأظلمت الأزقة فينتهز ذوو الشقاوة الفرصة لسرقة (اللمبات) وبيعها.

أما الإنارة في الدور فكانت قديماً تستعمل السرج وهي أوانٍ معمولة من الفخار على شكل صحن مستطيل مقعر في نهايته فتحة مستديرة وكان يوضع فيه الشيرج ويوقد من الفتحة المستديرة بوساطة فتيل من القطن يتصل بالشيرج.

وكان بعضهم يستضيء بالقنديل وهو كناية عن كأس في وسطه فتيل ملفوف على عمود عود من الخشب ويملأ الكأس إلى نصفه ماء ويملأ النصف الباقي منه بالشيرج ويولع الفتيل للإضاءة.

وسبب وضع الماء في القنديل هو الاقتصاد بكمية الشيرج وكانوا يعلقون السراج في السقوف والعقود في البيوت بسلك وكانت الجوامع تضاء بالقناديل حسب أهمية الجامع تعلق على إطارات من الحديد مختلفة الأشكال منها المستديرة أو المضلعة تثبت في سقوف الجامع فتعطي للحرم بهجة ورونقاً.

وفي رمضان كانوا يعملون بيوتاً من الخشب فيها مستودعات لوضع القناديل ويعلقونها على جوانب حوض المنارة فتتلألأ القناديل فيها ليلاً فتعكس منظراً خلاباً يسر الناظرين وقد استعيض عنه مؤخراً بالمصابيح الكهربائية.

تاسعاً: شلال بني سعيد يسرق البيوت ويحمي النساء

في عهد صالح أفندي اشتهر كثير من الشقاة في بغداد مثل أولاد العبوسي وولد الشكرة وشلال وغيرهم. وكان شلال يسكن في محلة بني سعيد هو من أمهر سراق ذلك العهد يسرق بيوت اليهود ليلاً بحيث عجزت الحكومة عنه فأحضره صالح أفندي وأبقاه في المخفر ليلاً، وذات ليلة أخذت صالح أفندي سنة من النوم وقت الفجر فانتهز شلال الفرصة وخرج من مخفر قاضي الحاجات الذي كان فيه محجوزاً وسرق داراً وعاد دون أن يشعر به أحد، وفي هذه الأثناء سمع صالح أفندي صياح أهل البيت المسروق فذهب إليهم وكشف المكان فحار في أمر السرقة، ولكن

الأوصاف تنطبق على سرقات شلال، ثم اختلى به جانباً وأمّنه فطلب إليه أن يكشف له النقاب فاعترف له بالسرقة.

وحبس مرة في السجن المدني في مكان وزارة الداخلية أمام جامع السراي فجاءه رجل يهودي صائغ من معارفه وأفهمه أنه كان في الكاظمية يشتري مصاغاً من صائغ إيراني فوجد المذكور صندلية خشبية ملأى بالحلي والمجوهرات وأن المذكور وضعها في غرفة على الرف ووصف له الدار والغرفة التي فيها السفط، فما كان من شلال إلا أن رشا السجان بثلاث ليرات ذهبية على أن يطلق سراحه لمدة ساعتين فقط وأمّنه بأن يعود إلى السجن وبالفعل ذهب إلى الكاظمية وسرق السفط ودفنه في الأرض ثم عاد إلى السجن. وقد ذهبت الجهود المبذولة لمعرفة السارق سدى. وبعد أن خرج من السجن صادف صالح أفندي يوماً وأباح له بالسر وتقاسم وإياه السرقة.

وفي أحد الأيام بينما كان شلال ساطياً على بيت اليهودي الثري (أبو الزوالي) في محلة قاضي الحاجات تقابل مع أفراد الدورية فقتل.

ويروون عن هذا السارق قصة طريفة فقد قيل أنه خرج من بيته عند الفجر وفي الطريق شاهد رجلاً كهلاً من اليهود ذاهباً إلى الكنيس للصلاة فأوقفه وقال له انزع هدومك أو قتلتك، فنزع اليهودي كل ملابسه وأعطاها إلى شلال، فشاهد شلال في إصبع اليهودي محبساً من الذهب وفيه فص شذر فأمره أن يخلعه ولكن المحبس كان ضيقاً إلى درجة يصعب خلعه فما كان من شلال إلا أن قال لولا خوف الله لقطعت إصبعك، فأجابه اليهودي: هذا وأنت تخاف من الله وجردتني من ملابسي وتركتني بالثوب واللباس إذاً كيف يكون حالي لو ما كنت

تخاف الله، فضحك شلال ودفع إليه ملابسه وقال له: عفوت عنك لخاطر الله وتركه.

وذات مرة أتى أحد السراق إلى شلال وقال له لدى فلان مقدار من الليرات الذهبية أخفاها تحت وسادته لأجل دفنه فتعال نسرقها. فظل شلال يماطل ويسوف ولما ألحّ عليه المذكور نهره وقال له: نحن لا نسرق فلوس دفنة ميت.

وفي ذات ليلة سطا على دار مع رفاق له فقامت صاحبة الدار ولم تتعرض بهم وطفلها في حضنها فلما أرادوا الخروج وابنها يبكي صاحت به: اسكت، أريد أحمل خوالك، فتأثر شلال وصاح برفاقه أن ارموا ما معكم فقد تنخت بنا وقالت لطفلها احمل خوالك، والأخ لا يسرق أخته.

واتفق أنه سطا على دار فشاهد مادة بيضاء في البستوكة فحسبها سكر فلما ذاقها وجدها ملحاً فترك السرقة لأنه ذاق الملح.

عاشراً: كيف كان البغداديون يخفون أموالهم:

كان البغداديون يخفون أموالهم وحليهم داخل السقوف والجدران أو يدفنونها في الأرض، وكان لوالدي عبد الغني سيف ثمين قبضته مطعمة بالذهب والفضة وله قراب جميل وقد أخفته أمي في سقف بيت جدي، ولما رجعت من الأستانة لم أجدها ولم أجد بيتها لأنها باعته فلم تطلعني نفسي أن أذهب إلى بيت جدي وأستخرج السيف ولا أدري أين هو الآن.

الحاج أحمد آغا ونوادره:

كان يترأس سلطة الأمن في ذلك العهد رجل من الجندرمة يدعى

أحمد آغا، وكان حازماً شديداً يتجول مع رجاله في بغداد طوال الليل والويل لمن يقع في يده، ومن النوادر التي يحفظها أهل بغداد عن شدته أن امرأة كان لها ولد عاق يؤذيها فحلفت أن تشكوه إلى أحمد آغا، وعندما حضرت إلى مقر الآغا شاهدت مذنباً يتولى أحمد آغا تعذيبه فخافت على ولدها ولما أرسل الآغا معها أحد رجاله لتدله على ولدها ليجلبه فأشارت إلى شاب عابر سبيل فأحضر أمام الآغا فأمر بضربه والشاب يستغيث ويطلب إفهامه ما جريمته، والآغا يقول له: تعتدي على أمك التي أرضعتك صغيراً وربتك كبيراً وتجحد حقوقها والشاب يقسم بالله أنها ليست أمها، والمرأة تستنجد بالآغا وتقول: شوف شلون يا آغا، الملعون ينكرني، والآغا يأمر بزيادة الضرب، وأخيراً أمره بحملها على ظهره والعودة بها إلى داره. فلم يكن للمسكين أن يعصي أمر الآغا، فحملها وانصرف. وفي الطريق صادف أخوه فسأله عن المرأة التي يحملها، فقال له: إنها أمي وأريد أن أوصلها إلى الدار، فأجابه أخوه: ويلك أمنا ماتت منذ عشر سنوات هل بعثت من مرقدها ثانية، فأجابه: روح فهم الآغا، هذه أمي وأريد أن أوصلها إلى الدار.

وبعد موت أحمد آغا اشتهر من رجال الأمن بعده صالح أفندي وكان مثله حزماً وشدةً وكانت كل محلة في ذلك العهد تؤلف وحدة محلية تدافع عن مصالحها وأمنها، وفي مدخل المحلة توجد بوابة تغلق ليلاً وتفتح نهاراً، ويقوم على حراسة الباب شباب المحلة حاملين الأسلحة المتداولة إما قاطعة كالسيف والخنجر أو الفرد (المسدس) أو التفكة وكانت البندقية في ذلك الوقت تحشى بالبارود.

كان صبيان المحلات يتحاربون ويتكاسرون بالحجارة التي يتقاذفونها بالمعجال (المقلاع)، وكانوا يحوكونه بخيوط القطن، أو بالعصي. وكانت هذه الحروب مألوفة بين المحلات وكانت المحلات الضعيفة تنضم إلى القوية لحماية نفسها، وإذا حصلت حفلة زفاف لعريس من محلة أو محلة أخرى واقتضى الأمر أن تمر الزفة من محلات أخرى وجب على أهل العريس أن يستأذنوا وجوه تلك المحلات وإلا تعذر مرور الزفة لأن ذلك يكون عيباً على أهل تلك المحلات وتحدياً لهم باعتبار أنهم غير رجال تداس تربتهم بلا إذن.

وكان في المحلات وقتذاك طوق وهي غرف غير مشيدة على الطريق فإذا مرت الزفة من المحلات بلا إذن اعترضها أهل المحلة عند الطوق وقطعوا عليها الطريق وتقابلوا مع أهل الزفة.

أما إذا أخذوا إذناً فالمعتاد أن الوجيه الذي منح الرخصة يحضر دلة القهوة وجماعة من أهل المحلة يقفون عند مدخل الطوق يستقبلون الزفة ويوقفون العريس ويسقونه القهرة مع جميع من معه ويرشون عليه ماء الورد من قماقم الفضة.

أما زفة النساء فلا يعترض طريقها أحد، وكانت زفة العروس تجري في وضح النهار ويركبونها حمارة بيضاء أم بغلة عليها بردعة ومفرش ومزينة برشمة ولجام مزخرف بالفضة، ويركب معها أهلها وأهل العريس على حمير في الغالب، ويحيط بهذا الموكب جمهرة من الرجال المسلحين يكونون من أهل العريس، وقد جاؤوا مع النساء لتسلم العروس، وأحياناً كان العريس يزف إلى عروسه بزفة أم سلاح، وهذه الزفة تختلف عن الزفة

العادية حيث يكون العريس ورفقاؤه راكبين غير راجلين، ويلبسون ألبسة الحرب وعدتها وهي الزري والخوذ والدروع والحراب والسيوف، ويسير معهم ضاربوا الدمامات والصنج وحملة الأعلام، وقد انقطعت هذه الزفة قبل الحرب العالمية الأولى.

وبعضهم يعمل زفة أم سلاح عند ختان أولاده ويزيدون في هذه الزفة حمل لعبات كبيرة وهي دميات تمثل نساء بكامل ألبستهن وحليهن يحملها بعض الحاملين مع الزفة.

وكان كل شخص له قرابة أو صحابة (صداقة) مع العريس يوقد له شمعة للإضاءة والتنوير أثناء سير الزفة ولذا كان عدد الشموع في الزفة يزيد ويقل تبعاً لكثرة الأقارب والأصدقاء وقلتهم.

وكان يحيط بالعريس من كل جانب صديق له يدعى (سردوج)، ويسير عادة خلف العريس والسراديج حملة السيوف حيث يرفعون فوق رأس كل منهم سيفاً.

وكان السراديج يختارون من الشبان المتزوجي الكيسيين لأجل أن يفهموا العريس بما يفعله تلك الليلة، لأن جل الشباب كان في جهل مطبق بهذه النواحي، وكان العريس عندما يدخل على زوجته يجدها واقفة في استقباله ومعها بعض النساء من القرابة، فيرفع البرقع عن وجهها ويقبلها من جبينها وتتولى إحدى النساء وضع اليد باليد وتقول للعريس: منك المال، وتخاطب العروس: ومنك البنون، وتدعو لهما بالخير فيخرج العريس إلى رفاقه ويتقبل تهانيهم، وبعد أن يكونوا قد شربوا (الشربت) يعود إلى عروسه فيصلي ركعتين، وعلى الأثر تكون النساء قد تركن الغرفة وأخلوها للزوجين.

ومن عـادات الزواج عند أهل بغـداد أن العـروس تنتـهـز غـفلة العـريس وتدوس قدميه ويعتبرون ذلك تفاؤلاً بأن يصبح العريس مذعناً لإرادة العروس.

ومن العادات أن العروس عندما تصل إلى بيت العريس يستحب أن الذي يتـولى إنزالهـا من ظهـر الدابة رجـلاً أو امـرأة من ذوي الحظوة والسعادة الزوجية تفاؤلاً بهما.

وقد حضـرت مزة حفلة عـرس رفـضت بها العـروس أن تنزلها امرأة حبشية، والفقراء يزفون بناتهم مشياً على الأقدام، والعـروس عندما تزف من بيت أبيـها يحزمـها ولد بقطعـة من قـماش تفـاؤلاً بأن يكون أولادها ذكوراً، وأحيـاناً يرمـون صبيـاً على فـراش العريس قبل الدخلة تفـاؤلاً بأن يكون المولود ذكراً.

تلقيبه بالرصافي:

أول من سماني بالرصـافي أستـاذي السيد محـمود شكري الآلوسي، وسبب التسـمية أنه ألّف كتـاب (بلوغ الأرب في معـرفة العـرب)، وطبعه في مطبـعة أهليـة تقع فـي سوق الجبقجـية (في سوق السـراي)، تسـمي مطبعة دار السلام لصاحبها علي أفندي، وعـهد إليّ تصحيح الكتـاب فكنت أذهب كل يوم إلى المطبـعة لأصحح المسودات وبعد أن تم الصـبع قرضتـه بعدة أبيـات كانت مصدرة في مقدمة الطبعـة الأولى للكتـاب، وكـتبت أسفلهـا اسـمي (مـعروف). فلمـا اطلع الآلوسي على قـصيـدة التقـريض أعـجب بها وقـال: اكتب بعد اسمك الرصـافي، لأنك مـعروف الرصافـة كما كان الكرخي معروف الكرخ. فلم أقبل فكتب الآلوسي ذلك بخط يده وبالرغم من أنني حـذفت ذلك أثناء الطبع فـإنه صـار يناديـني بالرصافي ويذيعه وينشره حتى غلب عليّ.

التعليقات:

١- كانت وفاة أحمد زيدان سنة ١٩١٢ على ما حققه المرحوم أدهم مشتاق، فقد عثر في المحكمة الشرعية على القسام الشرعي الخاص بأحمد زيدان والصادر عنها بعدد ٣١٥ وتاريخ ٢٨ شوال ١٣٣٠ باللغة التركية، وقد قام بترجمته إلى العربية، وهذا مستهل ديباجته: وبالنظر للبيان الوارد من هيئة محلة خان لاوند أن وراثة المتوفي أحمد بن حمّادي قد انحصر في أولاده الكبار داوود أفندي وعبد الوهاب ونوري وابنته زكية.. إلى آخره. ويبدو أن القسام صدر بعد وفاة أحمد زيدان بأشهر ولذا نرجع التاريخ الذي ذكره الشيخ جلال الحنفي في كتابه (المغنون البغداديون) وهو ١٢ مايس ١٩١٢ وقد دفن في مقبرة الشيخ عمر.

٢- توفي رشيد القندرجي يوم الثلاثاء ٨ صفر ١٣٦٤ هجرية الموافق ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٥ الميلادية. كما وجدته مدوناً في أوراق قديمة تعود لي، وقد كانت ميتة محزنة للغاية فقد كان وحيداً في داره ولم يشعر أحد بوفاته إلا بعد أيام حين نتنت جثته وأخذت رائحته تنبعث من الدار إلى الدور المجاورة تغمده الله برحمته الواسعة.

٣- أن الأوصاف التي أطلقها الرصافي على الوالي صاحب الجسر تنطبق على الوالي نامق باشا فقد كان قد تزوج عاتكة خاتون بنت السيد نعمان خير الدين الآلوسي، وقد تم عزله يوم نصب الجسر وقد قال أحد الشعراء معرضاً بعزله في ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م.

قـــومـــوا بنا يا بني الزوراء نبـتـــهـل

فـــعن قـــريب جـــمـــيع الخـــزي يرتحل

الـلـه أكـــــبـــــــر زال الـشـك وارتحلت

عنا الـهـــمـــــوم وزال الخـــوف والوجل

قـــد جـــاءكم خـيـــر فـــقـــال من مـــؤرخـــه

بـشـــرى فنامق بعـــد الجـســـر ينعـــزل

٤- المشهور المتواتر أن الذي فتح شارع الرشيد هو القائد خليل باشا سنة ١٩١٦، أما ناظم فقد فتح شارع النهر الذي أتى على القنصلية البريطانية فشطرها شطرين.

٥- إنني أشك أن هذه الأبيات قد قالها الرصافي في نعيم الحلبي، ذلك اليتيم المخدوع لسببين:

١- كان المرحوم مصطفى علي قد حدثني أنه سأل الرصافي عما إذا كان من المعجبين بجمال نعيم فأجابه بأنه لم يتفق له أن رآه لأنه كان يرتدي شعار رجال الدين الذي لا يسمح له بغشيان الملاهي، وإنما نظم فيه مرثاة (اليتيم المخدوع) استجابة لمشاعر إنسانية حركت وجدانه.

٢- لو كانت هذه الأبيات مما نظمه في نعيم الحلبي لظهرت في ديوانه الأول المطبوع في بيروت ١٩١٠ فإننا لم نقرأها إلا في ديوانه الذي طبع في سنة ١٩٣١ مما يقوي شكنا أنها نظمت في نعيم آخر غير ذلك اليتيم الصريع.

٦- الكنج جاء في كتاب الدكتور داوود الجلبي الخاص بالمفردات الأعجمية الدخيلة أنها بالكسر (فاء) وبالضم، بيت تحت الأرض، وعند تجّارنا هو المخزون وإن كان فوق الأرض.

٧- الفيس: هو لباس الرأس المعروف بالطربوش، وأصل فاس سمّي بذلك لأن أول لبسه كان في فاس بلاد المغرب.
٨- جيناوي- منسوب إلى الصين.
٩- خان الدفتردار: أنشأت على أنقاضه عمارة الدفتردار الكائنة في مدخل شارع النهر من جهة يمين السالك إليه من جهة شارع البنوك القديم.
١٠- ذكر عباس العزاوي في تاريخ العراق بين احتلالين ٨/٧٩ نقلاً عن مجموعة محمد درويش أن النائب نجم قتل في ضحوة نهار الثلاثاء الحادي عشر ربيع الأول سنة ١٣٠٤هـ ١٨٨٦م، وأن قاتله مصطفى الكاتب في المحكمة المذكورة وكان قد قطع رأسه الجلاد (طه بن ناعور) من محلة العوينة في بغداد يوم السبت ١٩ جمادى الآخر سنة ١٣٠٥هـ.
١١- ذكر عبد الكريم العلاف أن جماعة من هواة المقام العراقي في قرية بهرز اجتمعوا في بيت رجل يدعى (صالح القدري) وكانوا يتجاذبون أطراف الحديث عن المقام العراقي حتى انتهى بهم الحديث إلى المقام الإبراهيمي فاختلفوا في سبب تسميته فشرع أحدهم يغني الإبراهيمي وهم يصغون، فلما توغل في الغناء انحرف عن الإبراهيمي وخرج بنغمة جديدة لم يألفوها من قبل، فلما سألوه عنها قال: لا أعلم (هكذا طلع مني)، واتفقوا على أن يكون ما غناه المغني مقاماً جديداً، وطالما هو من نغم الإبراهيمي (البيات) فيجب أن يطلق عليه اسم (البهرزاوي) نسبة إلى واضعه الذي هو من قرية بهرز.
١٢- لم تكن مقهى (كلوزير) في الموضع الذي حدده الرصافي عند باب

وزارة الدفاع القديمة، وإنما كانت في الجهة المقابلة للتكية الطالبانية. وقد ذكر إبراهيم الدروبي، صفحة ٣٩٢ أن موقعها هو مخزن تيسير قبل أن تهدم المخازن والمقاهي التي كانت في جهة وزارة الدفاع على حين ذكر العلاف أن موقعها كان معمل أحذية الكاهجي الذي كان موضعه على يسار الداخل إلى وزارة الدفاع من الشارع العام. وقد ظلت إلى عام ١٩١٥ ثم هدمت بعد فتح الشارع العام من قبل القائد التركي خليل باشا.

١٣- نظم الرصافي في تقريظ شيخه السيد محمود شكري الآلوسي الذي تم طبعه في سنة ١٣١٤هجرية إلى قصيدتين الأولى ميمية وتقع في ٥١ بيتاً وقد نشرت في نهاية الجزء الثاني من تقاريظ أخرى، والثانية بائية عدتها ٤٨ بيتاً، وقد نشرت في نهاية الجزء الثالث مع غيرها من التقاريض، ومما يجدر ذكره أن هاتين القصيدتين لم تنشرا في ديوان الرصافي.

ملحق رقم (١)

انتحار السعدون[١]:

وفي أحد الأيام التقيت بالسيد عبد العزيز القصاب، وذلك في غرفة رئيس محكمة استئناف بغداد السيد محمد محمود القشطيني، وكان الحاكم إسماعيل إبراهيم حاضراً أيضاً، وسألت عن صحة الرواية التي رواها الأستاذ الرصافي عن مقتل المرحوم عبد المحسن السعدون، فأجاب أن الرواية غير صحيحة، وروى لي قصة مقتل المرحوم عبد المحسن السعدون فقال: أنا الرجل الوحيد الذي له وقوف تام على مقتل المرحوم عبد المحسن السعدون. وكنت مطّلعاً على أسبابها وعللها، وحاضراً على أثر حدوثها، وتفصيل ذلك أني كنت وزيراً للداخلية لوزارة المرحوم عبد المحسن السعدون السابقة وكان الوضع متأزماً بين الإنكليز والجهات الوطنية بسبب تدخل الإنكليز في الشؤون الداخلية، وكان السيد عبد المحسن متبرّماً من وضعه ومتعباً، وكان يحاول بشتى السبل أن يستقيل من الوزارة لأجل أن يرتاح من الإنهاك الذي كان فيه، وصادف مجيء (يانك) إلى العراق، والمذكور كان يشتغل في المملكة العربية السعودية، وكان ذا صداقة مع السيد توفيق السويدي عندما كان في الخارج، فلما جاء يانك إلى العراق حبَّ أن يرشح توفيق السويدي إلى الوزارة وحصل

على موافقة حكومة لندن بذلك، ولما سمع عبد المحسن السعدون بذلك شجع الفكرة وساعدها ولكن حصل لها أن أصدمت بمعارضتي لأني في تلك الحقبة كنت متعباً مثل عبد المحسن السعدون بسبب شؤون عائلية وكنت جد محتاج إلى الراحة، وقد رشحت في وزارة توفيق السويدي لوزارة الداخلية فرفضتها، فلما زرت عبد المحسن السعدون في مكتبه أخذ يعاتبني في تأخير استقالته بسبب امتناعي عن قبول وزارة الداخلية، وقال لي: ما تفك إساري وتقبل وزارة الداخلية وبعدئذ تستقيل وتساعدني بذلك، وبناء على إلحاحه قبلت، فأخذ التلفون واتصل بالداخلية، وأخبر الموظفين المعنيين بأني قبلت بالوزارة، وهكذا استقالت وزارة عبد المحسن السعدون وتألفت وزارة السيد توفيق السويدي، وبعد الاستقالة سافر السيد عبد المحسن السعدون إلى «رمّانة» في لبنان لأجل الاستجمام والراحة، ولم يمض زمن طويل على وزارة توفيق السويدي وهو في سدة الحكم حتى نشأ الخلاف في ما بينه وبين الملك فيصل الأول، وصار الشغل شاقاً في جو قائم على الخلاف، وطلبت من توفيق السويدي وجماعته أن يقبلوا التماسي بإعفائي من الوزارة كما وعدوني مقدماً، ولكنهم طلبوا مني البقاء ريثما يصادق المجلس على الميزانية، وفعلاً لبيت الطلب وبقيت في الوزارة حتى صدقت الميزانية.

وفي هذه الأثناء كانت شقة الخلاف تزداد اتساعاً بين الوزارة والبلاط، فلم تكن الظروف مواتية للاستقالة ولا سيما أن الملك فيصل الأول طلب مني الاستمرار في وزارتي والكتابة إلى المرحوم عبد المحسن السعدون لأجل الحضور إلى بغداد لإنقاذ الموقف، فكتبت له كتاباً فصلت فيه له الحالة وطلبت حضوره، وكذلك كتبت إلى السيد تحسين قدري بناء

على طلب الملك فيصل الأول، وفعلاً وبعد مرور مدة، حضر المرحوم عبد المحسن السعدون إلى بغداد، وكلفه الملك بتشكيل الوزارة، وفي عهد وزارة السيد توفيق السويدي، كان (يانك) قد كتب إلى لندن تقريراً مسهباً عن الحالة في العراق وتأزمها بسبب تدخل دار الاعتماد في شؤون البلاد الداخلية، واقترح إدخال بعض الإصلاحات في أسلوب الحكم الراهن وإعطاء صلاحيات للوزارة العراقية لكي تمارس الحكم بحرية أوسع من ذي قبل، وحصل المذكور من حكومة لندن على برقية تؤيد هذه الاقتراحات، وتعطي للحكومة المحلية صلاحيات واسعة. فلما كلف السيد عبد المحسن السعدون بتشكيل الوزارة حضر بعض الساسة من بيته للمذاكرة حول تشكيل الوزارة، وكان من جملتهم ياسين الهاشمي ونوري السعيد وخلافهم وضعوا منهجاً واسعاً جداً مثل استقلال الوزارة بشؤون البلاد دون الاستشارة، وشراء المنتوجات من الخارج بحرية، وكان سابقاً يجب شراؤها بواسطة وكلاء التاج، وكذلك عدم إعطاء صور من قرارات مجلس الوزراء إلى دار المعتمد السامي، إلى ذلك من القرارات، وبعد أن اتفقوا على المنهج المذكور الذي بموجبه ستشكل الوزارة، وضعوا الأسماء، وكنت مرشحاً لوزارة الزراعة والري، فلما حضرت المجلس اطلعت على المنهج وعلى الأسماء، فطلبت من المرحوم عبد المحسن السعدون أن يعفيني من الاشتراك في الوزارة، ولكنه جاء إلي ووضع كفيه على وجهي، وأخذ يقول لي أنت الذي جلبتني وأنت بعد ذلك تتنصل من المسؤولية، وأنا متعب فعلى من أعتمد في المهمات إلا على أصدقائي، ولقاء إلحاحه قبلت، وتشكلت الوزارة، وبعدها حضر (كورنوالس) المندوب السامي الأصلي، وكان في إجازة وزارني في مقري

بالوزارة، وأخذ يسألني عن سبب خروج الوزارة الجديدة عن الأصول المألوفة بحيث لا تستشير ولا تعطي صورة من قراراتها إلى دار المندوب السامي والبلاط، واستقلالها في جميع الأعمال، فأجبته أن الأعمال الجديدة اقتضتها ظروف البلاد الراهنة ولا سيما أن حكومة لندن قد وافقت على إجرائها بالنظر لما تقتضيه مصلحة الطرفين، ولفت نظره إلى البرقية التي استحصل عليها (يانك) من لندن والتي تتضمن قبول إجراء ما يقتضي من إصلاحات يتطلبها الوضع تهدئة للحالة، فأجابني بأن هذه البرقية لا صحة لها، وأن حكومة لندن لم ترسل برقية، ولم يؤخذ موافقتها على أي إصلاح، وبعد تلك المقابلة مرضت وأصبت بزكام جديد فلازمت البيت، وكان بيتي وقتذاك بجوار بيت المرحوم عبد المحسن السعدون في العلوة، فزارني المذكور في بيتي بسبب المرض فرويت له زيارة (كورنوالس) لي وما دار بيننا من حديث حول خروج الوزارة عن الأصول المألوف، وحديث البرقية، فتعجب المذكور من الخبر، وامتعض كثيراً، وخرجت الجرائد المحلية بمقال مطول إلى مزاحم الباجه جي يحمل فيه حملة شعواء على المرحوم عبد المحسن السعدون بسبب سياسته الجديدة المستقلة، وفهمت أن المذكور كتب المقال في دار المندوب السامي البريطاني، وفي اجتماع المجلس دافع المرحوم عبد المحسن عن سياسة حكومته وبيّن في ما قاله أن الشعب إذا يرغب أن يتحرر فما عليه إلا أن يؤيد الحكومة، ويقرن هذا التأييد بالعمل الجدي، فتصدى له السيد معروف جياوك، وقال بأن رئيس الوزراء بقوله هذا يحرض الشعب على الثورة، وكان معروف جياوك من منسوبي الإنكليز، فتأثر المرحوم عبد المحسن من ذلك كثيراً. كل هذا وأنا كنت ملازماً للبيت بسبب مرضي.

وصادف أن عمل الملك فيصل وليمة عشاء على شرف المندوب السامي (كورنوالس) بسبب عودته، وكان المرحوم عبد المحسن السعدون مدعواً فيها، وبعد أن انفض المجلس وأخلت الغرفة إلا من الملك فيصل ونوري السعيد وتحسين قدري وكورنوالس وعبد المحسن السعدون، انزوى كرانوالس وعبد المحسن السعدون في جهة من الغرفة، وروى عبد المحسن السعدون لكورنوالس ما نقلتُه له حول سياسة الحكومة عن لسان كورنوالس، فأيد ذلك كورنوالس ولم ينكره، وكرر الاحتجاج على هذه السياسة، فامتعض عبد المحسن من ذلك، وبعد انفضاض المجلس جاء إلى بيتي، وروى لي أخبار الدعوة وما دار بينه وبين كورنوالس، وتأيّد لديه بأن الحملة الظالمة التي شنت عليه من قبل أذناب الاستعمار كانت بناء على تحريض من المندوب السامي. وأنا أخذت أهون عليه الأمر وأهدئه وأمرت أن يعمل له فنجان قهوة، ولكنه قبل أن تحضر القهوة له قام من محله ووجهه إلى الأرض مكفهراً ومتجهاً نحو الباب دون أن يسلم، فوجست خيفة من ذلك، فركضت عليه قائلاً: يا أبا علي القهوة حضرت، فلم يجبني وخرج، حتى أن الأمر لفت نظر أحد حريم داري لأنها لاحظت خروجه وهو حانق، وعينيه في الأرض خلافاً للمألوف، فسألتني عن أمره، وبعد خروجه بقي فكري مشغولاً نحوه وحوالي الساعة ونصف الساعة. جاءت ابنته رقية وهي مرتبكة، وفي هلع شديد وأخبرتني أن أباها قُتل، وطلبت معونتي فركضت في لباس النوم إلى بيته المجاور إلى بيتي، فوجدته مطروحاً على الأرض وكان في ثوبه الأبيض مقابل قلبه فتحة طلق ناري صغير محاط بالدم، وكان قد فارق الحياة، وكان العبد قد أخذ المسدس ووضعه على الطاولة، وأنا كنت أظن أنه قُتل عندما كان

متوجهاً من الحديقة إلى بيته، ولكني عندما دخلت البيت وسألت العبد من قتله، أجابني: هو قتل نفسه. فعرفت بأنه انتحر. وأخذت التلفون واتصلت بالسيد ياسين الهاشمي وبقية الزعماء والوزراء وبعد الفراغ من ذلك جلست على المقعد الذي يجلس عليه خلف المكتب مطرقاً من هول الحادث، فلفت نظري أوراق كثيرة فوق المكتب، ولاحظت ورقة مكتوبة ومفتوحة، فلما تناولتها وقرأتها ظهرت وصيته، فطويتها ووضعتها في جيبي، ثم دققت الأوراق الأخرى فوجدتها مخابرات رسمية، كذلك وجدت عند أرجل الكرسي حقيبة فيها أوراق فلاحظتها فتبين أنها أوراق رسمية، فوضعت أوراق المكتب معها وغلقتها، وبقيت حتى حضر الوزراء ورجال الحكومة والصحف، والمذكورون أخذوا يتكهنون بأسباب القتل، فمن قائل أنها أسباب عائلية، ومن قائل غير ذلك، وأنا ساكت لا أحير جواباً، ولما ازدحم الناس وتأكدت بأنه لا يمكن ضياع الوصية قلت للحاضرين إن سبب الانتحار عندي وأخرجت الوصية وعرضتها عليهم فقرؤوها وأخيراً وقعها عدد من الحاضرين للتأكيد على صحتها، وأعطيت إلى صاحب جريدة «الاستقلال» فطبعها بالزنكغراف، وباع آلاف النسخ منها، كما نشرتها بقية الصحف. هذه قصة مقتل المرحوم عبد المحسن السعدون، وأنا كنت واقفاً عليها من أولها إلى آخرها، وبالمناسبة إن علي الشرقي في حينه كتب مفصّل الحادثة، وذكر فيها بأني حضرت على عبد المحسن السعدون وهو لم يفارق الحياة بعد، وقلت له (وين رايح تخلينا، وبكيت)، وهو أمر عار عن الحقيقة. قرأت الخبر ولم أرد عليه.

أما عن طه الراوي فإني عندما كنت في الداخلية أردت أن أضع موظفاً قديراً بدلاً من عبد العزيز مظفر، ووقع اختياري على طه الراوي،

ومنير القاضي، لأنهما من الأدباء وفضلت طه الراوي أخيراً، واشتغل بهذه الوظيفة مدة، وكان على اتصال دائم معي، وكنت رئيسه وعلى علم بأحواله، فلم يظهر لي صحة اتصاله بالإنكليز والاشتغال لحسابهم، والأستاذ الرصافي متوهم في ذلك، وكانت مناسباتي مع الرصافي جيدة وكنت أزوره عندما أكون في الفلوجة، ولكن أخيراً قطعت علاقتي معه بسبب إني سافرت إلى سورية في شركة «نيرن» وفي الفلوجة وقفت السيارة خلافاً للمعتاد، وظهر أن مقعداً محفوظاً للرصافي حيث صعد وركب في المقعد خلفي فحييته وسألته عن شأنه ولكن عند إحضار الطعام أتى الخادم وقال له وقد شاهده وهو يلبس العقال إن في الأكل سندويش لحم خنزير، فهاج في وجهه، وقال له فليكن، لماذا تقول لي ذلك. فامتعضت من تصرفه هذا وقطعت علاقتي به، ولما جاء الخادم إليّ كلفته أن يخرج سندويش لحم الخنزير من العلبة وأكلت الباقي وقطعت علاقتي بالرصافي.

الهوامش:

(١) وجدت هذا التعليق منفرداً وهو تحقيق كتبه الكاتب خالد محمد حافظ يرد فيه على الرصافي .

الرصافي- ملحق رقم (٢)

نشرت جريدة دجلة لصاحبها المحامي داود السعدي في العدد ١٤ الصادر في ١٠ تموز ٩٨٩٢١ الوصف التالي للحفل الذي أقيم في دار عبد الرحمن النقيب احتفاء بقدوم الأمير فيصل والحفل الذي أقامته المدرسة الجعفرية منه:

في دار سماحة النقيب:

أدب ليلة الجمعة الماضية سماحة نقيب أشراف بغداد ورئيس الحكومة المؤقتة في العراق مأدبة طعام فاخرة في داره العامرة احتفاء بسمو الأمير فيصل وتذكاراً لما بين الأسرتين الكريمتين أسرة سمو الأمير وأسرة سماحة النقيب من اتحاد النسب ورمزاً إلى التعاون والتعاضد في سبيل تقدم البلاد والأخذ بحاضرها وقد ألقى فيها حضرة شاعرنا الكبير معروف أفندي الرصافي خطبة بالغة ننشرها بحروفها.

يد الله مع الجماعة:

أيها السادة!

كنت البارحة أحادث رجلاً من ذي النفوس الكبيرة فقال لي في

عرض كلامه ما معناه «كلما كان المرء منفرداً في منازعه كان أحط أخلاقاً، وكلما كان مجتمعاً في مقاصده كان أرقى أخلاقاً».

ولعمري لقد وقع هذا الكلام مني موقعاً أحسست منه برداً على كبدي واطمئناناً في نفسي. ولقد هاج فيَّ من الشعور ما تقصر عنه العبارة:

ما كل مشعور به في نفوسنا
قدير على إيضاحه المنطق الحر
ففي النفس ما أعيا العبارة كشفه
وقصر عن تبيانه النظم والنثر

علمت من هذا الكلام أن للأخلاق في الأمم مقياساً صحيحاً يسبر غورها ولا يخطئ قدرها ألا وهي الفكرة الاجتماعية التي تقابلها النزعة الانفرادية. فأحط الناس أخلاقاً أشدهم انفراداً في منازعه التي يرمي إليها وأرقاهم سجية أشدهم اجتماعاً في مقاصده التي يسعى لها.

وليس المقصود بالانفراد أن ينتحي المرء ناحية يعتزل فيها الناس، بل أن يعمل لمصلحته غير ناظر إلى مصلحة سواه من أبناء جنسه. كما أنه ليس المقصود بالاجتماع أن يكون المرء في بحبوحة الجماعات بل أن يعلم أنه في كل نفس من أنفاسه مرتبط المصلحة بغيره فيؤثر النفع العام على النفع الخاص. وهذا لعمري هو ما جاء في الذكر الحكيم: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا).

أيها السادة!

نحن اليوم في حالة أشبه بحالة النشور، فمن أوتي منا كتاب الأخلاق بيمين الوفاق فقد نجا ومن أوتي الزيغ بشمال الشقاق فقد هوى

ولو كانت عاقبة خطئنا اليوم مقصورة علينا لهانت الرؤية وخفت البلية ولكنها والله تعم من يجيء بعدنا من الأنسال الآتية إلى يوم الدين واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة.

قد والله طال تفكيري في حالتنا الحاضرة وفيما لها من هول المطلع فكم أخذتني رعدة وأعوزتني من الحر نجدة.

فكنت من حيرتي بأمري
معانق اليأس والرجاء

ولكني في هذه الليلة أقول:

أما وقد طلع الرجاء
يشع أنوار السرور
فاذهب لشأنك أيها اليأس
المخيم في الصدور
ماذا يريد المرجفون
بكل بهتان وزور
من بعد ما بدت المنى
للقوم باسمة الثغور
في دار مولانا النقيب
بوجه مولانا الأمير
ماذا يخاف المرء من
ميل الزعانف للنفور
بعد اقتران النيرين
الساطعين بكل نور

من وجـــه مـــولانا النقـــيب

ووجـــه مـــولانا الأمـــيـــر

مـــدَّ النقـــيب إلى الأمـــيـــر

يد المعـــاضـــد والنصـــيـــر

فليـــخـــز كل مـــشـــاغب

في القـــوم يلهج بالشـــرور

وليـــحـــيى مـــولانا النقـــيب

حـــيـــاة مـــولانا الأمـــيـــر

أجل أيها السادة

ماذا يريد القوم بعد اقتران هذين النيرين الكبيرين حيث طلعا بالوفاق متعانقين في سماء العراقيين متصافحين على ضفاف الرافدين.

أنا أيها السادة لا أعلم رجلاً أجدر من مولانا النقيب بأن يمثل في أفعاله أهل العراق كافة، كيف لا وهو من قتل الدهر خبراً بتجاربه وارتدى العز ضافياً بعلمه وأدبه وارتقى سماء السؤدد والمجد بنسبه ونشبه.

وهل في العراقيين رجل أحرص على مصلحة البلاد من مولانا النقيب الذي هو في العراق أكثر عقاراً من نقيب الدولة العباسية الملقب بذي الثمانين، فيا أيها الأمير يا صاحب السمو الملكي إنما تصافحك من مولانا النقيب يد العراقيين كلهم وإنما تضمك في هذه الليلة من هذه الدار العامرة بلاد العراق كلها.

والنـاس ألف منهم كـــواحـــد

وواحـــد كـــالألف إن أمـــر عنا

أيها الأمير المعظم! ما عندنا حزمة نور من أنوار الوحي نشق بها جلباب الغيوب فيتجلى لنا المستقبل بما فيه ولكننا إنما نرجو من الله سبحانه أن يكتب لنا بأيدي أمثالكم من عظماء الرجال مستقبلاً تحمده عليه أخلاقنا وتغبطنا به أحلافنا.

وإنما المرء حديث بعده
فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وأنت أيها النقيب المفخم سوف ترتل لك الأيام شكراً جزيلاً على ما بذلت في سبيل مصلحتنا من المساعي الغر لجمع كلمة القوم ولم شعث الأمة.

فليحيى صاحب السمو الملكي الأمير المعظم وليحيى مولانا النقيب المفخم وليحيى العراقيون وليحيى العرب.

في المدرسة الجعفرية:

دعت المدرسة الجعفرية الأهلية في بغداد سمو الأمير فيصل ووجوه العاصمة من أشراف ووزراء وسادات وبعض أعضاء الوفود التي قدمت بغداد، فلم تزف الساعة الواحدة صباحاً حتى أخذ المدعوون يتقاطرون إلى بناء المدرسة المذكورة في الطريق.

كانت الطرق غاصة بالمتفرجين وكان البوليس يحفظ النظام ويمنع الازدحام وكان الطريق من قرب باب المدرسة مفروشاً بالسجاد الإيراني النفيس وبعض التلاميذ وقوف يحيون القادمين وفي صدورهم الأعلام العربية وعلى الباب كان ثلة من كشافة وقوف يحيون القادمين بالطبول والموسيقا الخاص بالكشافة.

في فضاء المدرسة:

حين دخلنا المدرسة وجدناها مزدانة بالأعلام العربية وأرضها مفروشة

بالسجاد الإيراني وترتيبها على أحسن نظام وهنا وهناك رأينا بعض القطع من الخام الأبيض معلقة ومكتوب عليها فليحيى الاستقلال فليحيى الملك حسين الأول فليحيى سمو الأمير فيصل.

سمو الأمير:

كان المدعوون جلوساً فعزفت موسيقا الكشافة وسمعنا الهتاف والضجيج قد علا خارج المدرسة فنهض القوم وهتفوا لسمو الأمير فسار بين الهتاف والعجاج والتصفيق العالي إلى أن صعد إلى محله وقبل أن يستقر في محله سلم على القوم فجلس وجلس الوقوف.

الأناشيد والخطب:

افتتحت الحفلة بنشيد الأمير من قبل تلاميذ المدرسة ثم نهض حضرة السيد جعفر أفندي، أحد أعضاء الهيئة المؤسسة للمدرسة فألقى خطبة في العلم وأثنى على المدرسة الجعفرية وتكلم عن الخدمات التي قامت بها من تخريج التلاميذ البارعين في العلوم والفنون ثم قال إن بغداد كانت في عهد الرشيد تحتوي على عشرين ألف مدرسة واليوم ليس فيها من المدارس الأهلية سوى ثلاث مدارس وتوصل في خطابه إلى مدح سمو الأمير وقال إن الشعب قد علق آماله بسموه، فهتف له الحضور وعند فراغه من الخطبة ترنم التلاميذ بنشيد إطراء على سمو الأمير.

وبعد ذلك ارتجل السيد حسام الدين أفندي، أحد تلاميذ المدرسة خطبة حماسية ذكر فيها ما للعرب الكرام من الصحائف البيض في التاريخ وأعرب عن آماله الكبيرة وثقته الأكيدة بالشعب العراقي.

وفي ختامها صرخ فليحيى الأمير وليحيى العرب فهتف له الحاضرون هتافاً شديداً، ولطفه سمو الأمير ببعض كلمات أزادت في

نشاطه، ثم تكلم حضرة جعفر جلبي الشبيبي واعتذر من عدم إدخال اسم الشيخ كاظم الدجيلي في منهاج الحفلة وقال إن ذلك نشأ عن ذهول فنهض إذ ذاك الشاعر المجيد أستاذنا جناب الشيخ كاظم أفندي الدجيلي، فتلا قصيدة بليغة نكتفي بنشرها عن وصفها...)(١)

شؤون وشجون

ومن القصيدة: ما مدح في فيصل الأول قوله:

شمخنا بكم أنفاً وطلنا بكم يدا
وأفعالكم أبقت لنا الحمد سرمدا

نهضتم بنا للمجد نهضة باسل
يخوض غمار الحرب لا يرهب الردى

يرى نفسه أن لا تعيش ذليلة
وأن سامها ذل رأى الموت منجدا

وبالموت للنفس الأبية منية
إذا من حياض العز لم تلف موردا

وما العيش في هذا الوجود سوى المنى
إذا نلت مقصوداً ترى العيش رغدا

سعى الناس للذكرى بطرق عديدة
وكل يرجى ذكره أن يخلدا

بقدر مساعي المرء يبلغ قدره
إذا هي كانت سيئات وسؤددا

ومن يخدم الأوطان خدمة صادق
يخلد له التاريخ ذكرا ممجدا

ومن يدفع الأعـــداء أو يحم قـــومـــه
يعش ويمت جم الفـــضـــائل أحـــمـــدا
وخـيــر جـــمــيع الناس طالب مكتب[٢]
إذا راح في شـــوق إلى الدرس واغــتــدى
علينا بـكـسب العلم فـــالعلم نافع
به يجـــد الراقي إلى المجـــد مـــصـــعـــدا
ومـــا العلم إلا النور يجلى به العـــمـى
ومـــا العلم إلا الســيف نفــتي به العـــدى

* * *

بني الـوطـن المظلوم مـــا الأمـــر هين
وفي الظـن لا يـزداد إلا تـعــــقـــــدا
إذا لم نـقـم بـالأمـــر قـــومـــة باسل
يعــيــد الطريق الصـعـب ســهــلاً ممهـدا
فليس لـنـا حـق نطالـب باســـمـــه
ويلزم أن نـبــقى مـــدى الدهر أعـــبـــدا
أرى هـذه الأيـام أيـام فـــــرصـــــة
إذا هي فـــاتتنا خـــســـرنا بـهـــا غـــدا
أرانا كـــســـالى خـــاملين كـــأننا
من القـــوم لم يعطوا عن الوطن الفـــدى

* * *

أرى النصـر مـــعـــقـــوداً بغـرة (فـــيـــصل)
مليك بصــوت الشـــعـب أضـــحى مـــقلدا

أغـــر من البـــيض البـــهـــاليل مـــاجـــد
نمتـــــه إلى العليـــــا أنمـــــة للهـــــدى
إذا خطب النادي ترى البـــدر ناطقـــاً
أو الســـيل منصـــباً أو البـــحـــر مـــزبدا
أخي ورع لا يعـــــرف الطيش حلمـــــه
تشـــاهده للشـــعب عـــبـــداً وســـيـــدا
وتلقـــاه مـــتـــبـــوعـــاً ونلقـــاه تابعـــاً
وتلقـــاه مـــهـــدياً وتلقـــاه مـــرشـــدا
يســـالم من للشـــعب جـــاء مســـالماً
ويعـدو على من حارب الشعب واعتـدى
فطوراً تراه ســـاكناً مـــتـــهـــيـــبـــاً
وطـوراً تـراه ثـائـراً مـــــتـــــهـــــددا
«تحـــــدثني عنه الأمـــــاني حكاية»
بأنه قـــد جـــاء العـــراق مـــجـــددا

* * *

إذا نال أبناء العـــراق حـــقـــوقـــهم
ونال أحق القـــوم بالأمـــر مـــسندا
فلست ترى إلا العـــراق مـــســـالماً
ومـسـتـرشـداً بالراشـدين ومـسـعـدا

* * *

أرى النجح باسم الاتفـــاق مـــحـــقـــقـــاً
كـــمـــا لا ينال النجح جـــمع تبـــددا

ودعـــوتنا لا يـكثـــر اليـــوم أهلهـــا
إذا لم تكن باسم العـــراق مـــجـــردا
لكل حـــقـــوق في العـــراق صـــريحـــة
ولست أرى فـــيـــمـــا أقـــول مـــفندا
فـــواجب هذا القطر أصـــبح شـــامـــلاً
لاتبـــاع مـــوسى والمســـيح وأحـــمـــدا

كاظم الدجيلي

وعند انتهاء الشيخ من قصيدته أنشد التلاميذ نشيداً كان مطلعه:

هيـــــــا بنـــا هيـــــــا بنـــا
نحـــــمـي البـــــلاد بروحـنا

وبعد ذلك ألقى شاب متحمس قصيدة بليغة لحضرة الشاعر المجيد الحاج عبد المحسن جلبي الأزري، كان مطلعها:

صـــدقت بســـعي حـــمـــاتك إلا وعـــاد
فـــاســـتـبـشـــري بالعـــود يا بغـــداد

أطرى بها العلم وتوصل في آخرها إلى مدح سمو الأمير وكانت طريقة الإنشاد تنم عن روح الشاب الحماسية ولم تنته القصيدة إلا وسمعنا التلاميذ يرتلون نشيداً كان مطلعه:

هيـــــا بنـــا إلى الأمـــــام
أولاد قـــــــحـطـان الـكـرام

وبعد ذلك قام فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة حضرة جميل

صدقي أفندي الزهاوي فألقى قصيدة بين الهتاف والاستعادة كان مطلعها:

العلم ثروة أمـــة ويســـار
والجـــهل حـــرمـــان وبوار

والحق يقال فإنه أبدع فيها كل الإبداع ويعجبني منها قوله:

الحــرب بعــد اليــوم حــرب سيــاســة
والقـــانمـــون بـهــا هم الأحـــرار

وبعد ذلك نهض حضرة الشاعر المعروف والكاتب البليغ الشيخ محمد باقر الشبيبي فألقى خطبة خاطب بها سمو الأمير ومدحه فيها وبعد ذلك نهض حضرة صديقنا المحامي إبراهيم ناجي فألقى خطبة حبذ بها التصويت العام، قال فيها:

«إن جميع الاحتفالات والمأدبات التي أقيمت وتقام تكريماً لسمو الأمير المعظم لدليل ساطع وبرهان ناصع على اتفاق كلمة الأمة على تقديم عرش العراق لسموه بما أن الطبقات والأخص الراقية منها هي التي تمثل الشعب كما هي الحالة في البلاد المدنية، فإني أتشرف بدعوة سمو الأمير إلى مأدبة، عزم المحامون على إقامتها في اليوم الذي سنفصل بيعته، كما أن الطبقات السائرة من زعماء العشائر الكرام وتجار وصناع وزراع ستقوم بمثل هذه المآدب وذلك هو المظهر الراقي للتصويت العام والسلام».

ثم أنشد التلاميذ نشيد الأمة العربية وأديرت المرطبات.

التصوير:

قام المصور فأخذ تصوير سمو الأمير ثم تصوير الحضار وقد أعجبني

المصور، حيث وضع على رأسه العلم العربي المحبوب فأديرت المرطبات وأنشد التلاميذ نشيداً بليغاً.

الهوامش:

١- القصيدة طويلة أخذت منها جزءاً .

٢- المكتب - المدرسة .

ملحق رقم (٣)
من صفحات الماضي
المرحوم معروف الرصافي

الرصافي شاعر والشاعر قد ينفث ناراً تتأجج بين جوانحه فتملأ الجو لهيباً أحمر وهذا اللهيب لا يتلف ما يلمسه كالنار الحقيقية بل كثيراً ما يجلوه ويمحصه مخلصاً إياه من الشوائب.

وقد تندلع ألسنته فيخال الناظر أنها تصل حتى الذين هم في المقام الأسمى من نصرة الأدب ولكنها في الحقيقة برد وسلام فلا تمسهم بسوء وما هي إلا زفرات مكلوم ولواعج شاعر متألم لا تلبث حتى تتحول إلى روح وريحان وإن الذين اعتقد فيهم ذلك العلو الصادق لا يحملون موجدة على الشاعر الذي قد تدفعه ثورته الشعرية إلى ما يخالف إخلاصه الذي يتكفل بإبدائه المستقبل.

أنا أعرف الناس بالأستاذ الرصافي، فهو ذلك المنصف الذي إذا رأى محمدة لم يتوقف عن تبجيل صاحبها والوطني الذي لا يتأخر عن احترام من يراه آنذاك يناصر الأوطان ساعياً وراء استقلالها وبلوغها الدرجة المطلوبة من الرقي الذي لا تعيش الأمم إلا به في معترك الحياة الاجتماعية.

الرصافي يمثل العبقرية والعبقرية تمثل الرصافي كأنهما شيء واحد، فمن سمع بالعبقرية فلينظر إلى الرصافي يجدها في صورته وسيرته وأقواله وشعره الخالد، ذلك الشعر الذي يصور الحقيقة في وصفه ويهز الأرواح بإحساسه ويرفع العقول بحكمته.

ليس الرصافي هو هذا المؤلف من لحم ودم اللذين يشاركه فيهما كل إنسان بل هناك موسيقا تلعب بالألباب وتسحر النهى وتمتزج بالأرواح وتهز أوتارها فتتذكر الإنسان بشجونه فيبكي لها. هو الرصافي ونحن باحتفائنا به إنما نحتفي بتلك الروح الحساسة التي تصدح بتلك الموسيقا الشعرية.

ترنم أيها البلبل الغريد في روض الأدب فإن الزهر فيه قد طله الندى، فتفتحت أكمامه وابتسمت ثغوره في وجوه الأماني وكن آمناً في ظل الشعب وملكه الرؤوف المعظم فليحيى فيصل الأول وليحيى الشعب وشاعر الشعب الكبير الأستاذ الرصافي.

بقلم جميل صدقي الزهاوي[1]

الهوامش:

١- وجدت هذا المقال مع كلمة الأستاذ عبد المسيح ضمن الأوراق فآثرت نشرها .

ملحق رقم (٤)

المرحوم معروف الرصافي

إنه جميل بين الرجال جميل في صراحته، في شممه وإبائه في عطفه وحدبه في صموده أمام الكوارث والأهوال في زهده بكل متع الحياة.

بقلم المرحوم عبد المسيح وزير

ملحق رقم (٥)
المال والأسرة المالكة

لا بد من نظرة مركزة على الحالة المالية التي مرت بالحكومة الملكية في العراق، فقد كانت النزاهة والترفع عن مد اليد إلى الخزانة سمة العصر ولم تكن الرشوة شائعة بين الموظفين وكانت في أقل اتساعها مع ضنك الحياة وقلة الموارد قبل ظهور النفط وتطور الأحوال ولم تكن الذمم قد فسدت بعد.

فقد حدثني الزميل محمد شفيق العاني وكان عضواً في المجمع العلمي العراقي ورئيس محكمة التميز (رحمه الله)، لما كان مسؤولاً عن الأوقاف فترة وزارة نوري السعيد، فقد طلب منه نوري تدبير مئة دينار لأن الملك غازي سيسافر إلى الموصل لتوزع على الفقراء عند وصوله إليها، فاعتذر له عن عدم قدرته على إجابة طلبه.

ومن دراسة التاريخ منذ ١٩٢٢ نجد وجود مؤسسة خاصة بالبلاط اسمها (نظارة الخزينة الخاصة)، مسؤولة عن إدارة قضايا الملك المالية ومصاريف أسرته المتعددة التي تتكون من المخصصات الملكية وبدلات إيجار أملاكه وواراداتها في الحجاز وواردات المزارع الملكية.

المال والأسرة المالكة:

ولما تأسست (نظارة الخزينة) لم تكن عند تأسيسها تملك غير (٥ , ٨٥) روبية مع ما عرف عن الملك فيصل من كرم أصيل، فقد كان شديد الحرص على المال، فقد كان هناك أشخاص تدفع لهم الرواتب من النظارة وإعانات للمحتاجين وقد كان يدفع إيجار سكنة (٦٠٠٠) روبية قبل بناء البلاط، وكان يدفع لبعض شيوخ العشائر البدو رواتب شهرية ما بين ١٥٠ روبية - ٣٥٠ روبية، وكان يساعد جمعيات متعددة والفقراء الذين يأتون إلى البلاط ويسند الجرائد العراقية وبعض رجال الدين فيه.[١]

أما رواتب الأسرة المالكة، فكانت على النحو التالي:

الملكة ٤٧٦ روبية

أبناء الملك ١٨٠ روبية

الطباخ ٢٥٠ روبية

رئيس الاسطبل ٢٠٠ روبية

وقد خصص في سنة ١٩٣٠ مبلغ ٥٠٠٠ روبية لجميع الأمراء ورجال الدين والأميرات، فكانت:

٤٠٠ للأميرات

٢٠٠ للشريف ناصر بن علي

١٢٥ لمفتي المدينة المنورة

١٢٥ لقاضي مكة المكرمة

ولما ظهرت النقود الحديثة وأصبحت بالدينار، أصبحت المصاريف:

٢٨ ديناراً راتب الملكة

٩ دنانير راتب الأمير غازي

١٠,٩٥٠ راتب شهري لكل من الأميرتين

والطريف أن وزارة المالية رفضت الصرف على ولي العهد عندما كان يدرس في لندن وقالت بأنها مسؤولة عن مصاريف تدريسه فقط وطلبت من نظارة الخزينة الخاصة أن تكون هي المسؤولة عن تسوية ومتابعة حسابات الأمير غازي، ولما رجع ودخل المدرسة العسكرية ١٩٢٨ في بغداد في تشرين الثاني، خفضت وزارة المالية المخصصات الخاصة به وطلبت من الخزينة الخاصة صرف مصروفات الأمير غازي.

فخصص الملك فيصل له (١٥٠ روبية لمصاريفه الخاصة)، وقد رفض ياسين الهاشمي شراء سيارة له من المبالغ المتوفرة من مخصصات غازي. والغريب جداً أن وزارة ناجي السويدي رفضت تخصيص مبلغ من المال لسد نفقات الملك خارج العراق للعلاج سنة ١٩٢٩ وقالت بأن مخصصات الملك كافية لمعالجته من جيبه الخاص. ومن يقف قليلاً أمام هذه الحوادث يزداد احتراماً للملك فيصل كما يقدر الوزراء الذين كانوا يعارضون صرف المبالغ اللازمة بكل صراحة، وبكل جراءة وكانوا يفضلون مصلحة الخزانة العامة على كل المصالح.

فلم تكن تصرف الأموال حتى لرمز البلاد وملكها، فقد رفضت شراء ملابس لموظفي البلاط مع أنها كانت تصرف للفراشين والخدم في الدوائر الرسمية ومن قراءة الرسائل المتبادلة بين رئيس الديوان الملكي ووزارة المالية يجد الكثير من أمثال هذا الرفض لطلبات الديوان.

وقد كان الملك فيصل يستلف المصاريف عند سفره ويسدد ذلك بأقساط شهرية وعندما رسمت صورته من فنانين، لم يكن قادراً على

شرائها ، فقد عاش هو وأسرته في حدود دخله ومثله عبد الكريم قاسم الذي كان يسجل حتى المخصصات السرية، وما عرف غير النزاهة ولم تجد اللجنة التي فتشت في أمواله رصيداً له في المصارف وخشي خصومه من نشر مثل هذه الأخبار.

(ملخص من مجلة دار السلام رئيس التحرير إياد السامرائي التي تصدر في لندن العدد ١٥٤ في آب ٢٠٠٢).

الهوامش:

١- وقد كانت الروبية تعادل ٧٥ فلساً .

معروف الرصافي

حديث يوم ٢٨ تموز ١٩٤٤[١]

- لا أظنكم تذكرون يا أستاذ أن عهدي بمعرفتكم يرجع إلى حوالي الـ ٣٥ سنة حينما كنتم تدرسون قواعد اللغة العربية في مدرسة «الإعدادي الملكي»[٢] فأنا أذكر أنكم كنتم أكثر المدرسين هيبة بالنسبة إلينا نحن التلاميذ، فكنتم تتخطون في صالة الدرس وكأنكم غارقون في بحر من التفكير. وكان يبدو لي على ما أذكر أنكم كنتم في غير وادينا. وإذا كنت لا أتذكر شيئاً عن الدروس التي تلقيناها منكم فإنني لا أنسى أبداً اهتمامكم وعنايتكم الخاصة بصدق التلاميذ والحقيقة مقتكم للكذب. فلا أنسى ثورتكم في يوم من الأيام على أحدنا لكذبة بسيطة لا تخرج عن المألوف في عرف التلاميذ. فخرجتم عن طوركم فصفعتموه صفعة قوية كأن صداها لا يزال يرن في تلك القاعة. وقد مرت السنوات الطوال وأنا أتعقبكم، فتغير كل شيء فيكم، تغيرت بنيتكم المشيقة إلى ضخمة، وتغير زيكم «العلمي» الملائي -العمامة والجلباب- إلى زي «أفندي» على آخر طراز ثم إلى زي عربي كما هو الآن. تغيرت كل مظاهركم، إلا شيئاً واحداً هو تعصبكم الشديد ضد الكذب. فإذا سمحتم لي وأخبرتموني من الذي غرس في نفسيتكم هذه الفضيلة وإن

شئت فقل هذه العادة أو هذا الطبع، لأنني أعتقد يا أستاذ أن هذا النوع من الطباع ليس له علاقة بغرائز الإنسان وإنما تلقن بشتى الطرق المباشرة منها وغير المباشرة، إذ لم تكن المدارس في ذلك الحين عامة، فالتربية فيها كانت غير موحدة كما تعلمون. أمن المدرسة أم من بيئتكم الخاصة استلمتم(٣) هذا المشعل، مشعل الصدق ومن الذي سلمه لكم؟.

قال الأستاذ:

- أنا لا أتذكر في أيام صباي لا في البيت الذي نشأت فيه ولا في المدرسة أن شخصاً ذم الكذب أمامي أو نهاني عنه سوى ما كنت أسمعه من الناس إذا تشاتموا يقول أحدهم للآخر إنك «كذاب» فكنت أشعر بذلك أن الكذب قبيح وممقوت. هذا في أيام صباي وأنا دون البلوغ، ثم لما قرأنا في القرآن في الكتاتيب وأخذنا نؤدي أحياناً الفروض الدينية كالصيام والصلاة ونتردد إلى المساجد لاستماع الواعظين أو الخطباء فكان ذلك له تأثير في نفوسنا وما عدا ذلك لم أتذكر شيئاً خاصاً أو مؤثراً خاصاً كرهني الكذب سوى أني كنت أشعر عندما أقرأ ما في القرآن أو أسمع واعظاً كنت أشعر أن الكذب قبيح ولا أتذكر لماذا كنت أعتقد بذلك. ولهذا أعتقد أن المسائل الأخلاقية لها ارتباط ظاهر بالجبلة الإنسانية والجبلة لا بد أن تكون موروثة عن الأجيال القديمة قد يمت فيها الشخص إلى جد أعلى وقد يجوز أن يكون الشخص كذاباً وأبوه صادق(٤) والعكس بالعكس.

قلت:

- الإنسان يا أستاذ يرث من أبويه بعض الصفات البنيوية وهي دون شك لها علاقة بقوة أعصابه وقابليته للتحمل، وهي لها علاقة

وثيقة بتكوين الغدد. فقد يرث الإنسان الخوف وبالمعنى العلمي قد يرث الضعف في الأعصاب ونقصاً بيناً في تكوين بعض الغدد التي لها علاقة بالخوف والجرأة. وهذه الصفات بنظري لا تشبه قضية الكذب، لأن الكذب لم يكن منشؤه سبب بنيوي(*) أو ما ماثل ذلك من الأمور الموروثة، وإنما هنالك أمور التربية أكثر من أي شيء آخر، وبهذا الاعتبار يجب أن نتحرى ذلك في المحيط أو البيئة أو المدرسة التي نشأتم فيها.

فهل تسمحون لي أن تبينوا شيئاً عن نشأتكم؟

نشأة الأستاذ:

قال الأستاذ:

- نشأت في بغداد في بيت يقع في محلة القره غولي يدعى بيت جاسم القره غولي الذي هو والد والدتي. أما أبي فكان، حسب ما أذكر، عريفاً في الدرك الذي كان يسمى الجندرمة ولما كان أبي دائماً في الوظيفة كان اتصالي به قليلاً جداً فوالدتي هي التي تعهدت نشأتي.

في أية سنة ولدتم؟

- حسب تذكرة النفوس التي كانت تدعى بـ «العثمانية» إني ولدت في سنة ١٢٩١ هجري(٥) وذلك ما كان يدعى بالتاريخ الرومي. ولكن أعتقد أن هذا التاريخ مغلوط لأني سمعت من والدتي تقول أن عمري تسعة أشهر لما أعلن الجهاد، وتقصد بالجهاد حرب الدولة العثمانية مع روسيا. وهذه الحرب التي ذكرتها والدتي وقعت في سنة ١٢٩٣ كما تعلمون فيكون تولدي الصحيح إما في هذه السنة أو سنة ١٢٩٢. وأعتقد أن الرقم الأخير هو الأصح.

كانت والدتي دائماً تحب أن تراني أذهب إلى المدرسة ولا أعلم

السبب لهذا الدافع مع أن البيئة التي كنا نعيش فيها لم تكن توحي ذلك لأنها كانت بيئة فقراء وأصحاب صنائع فأولاد خالي الذين كانوا يعيشون معنا في البيت كانوا صناعاً في سوق الأحذية «اليمنيات» فأرسلتني والدتي إلى أول مدرسة قريبة من دارنا، وكانت القائمة بالتدريس في هذه المدرسة امرأة لا أتذكر اسمها حتى ولا صورتها لأني أرسلت مبكراً جداً إلى هذا المكتب، والظن الغالب أني كنت في الثالثة من عمري ولا أتذكر أني تعلمت شيئاً في هذا «الكتاب». وبعد ذلك انتقلت إلى مدرسة في الحيدر خانة كانت تدعى مدرسة «الملابايز» وهي بالحقيقة عبارة عن ساحة مسقوفة في جانب منها يجلس الملا بايز وهو شيخ كبير في رأسه عمامة ونحن التلاميذ مبثوثين[٦] في تلك الساحة ونجلس على الحصير وفي يد[٧] كل واحد منا كتاب في حجره. وبما أن الملا المذكور كان عاجزاً عن القيام فقد وضع بجنبه قصبة طويلة مثل الرمح وكلما كان يريد تأديب أحدنا مد إليه القصبة. وقد تعلمت الحروف الهجائية في تلك المدرسة بكتاب يدعى «جزء يا فتاح» فأكملت هذا الجزء الذي لم يكن يحتوى على غير الحروف الهجائية ثم انتقلت إلى مدرسة في محلة الميدان تدعى مدرسة «منيف أفندي» ومنيف أفندي هذا كان موظفاً لدى الحكومة بوظيفة كتابية وكان يأتي كل يوم إلى المدرسة فيكتب إلى التلاميذ الذين يكتبون سطراً نموذجياً يدعى بالمشق، وهذا السطر ينقسم إلى قسمين قسم بالقلم الثلثي وهو يشتمل على كتابة الحروف الهجائية والقلم النسخي يشتمل على سطر نموذجي باللغة التركية يمشق عليه التلميذ حتى يملأ تلك الصحيفة. هذه هي وظيفة منيف أفندي في المدرسة. وهناك شخص آخر في المدرسة يدعى السيد

أحمد وكان أعرجاً[٨]، وهو المدرس الدائم في المدرسة، فكان هذا يدرسنا القرآن، وقد أتممت القرآن أي «ختمته» في هذه المدرسة، ولما أنهيتها كان عمري حوالي التسعة[٩] أو العشرة سنين أو أقل من ذلك، فعلى كل حال كان عمري حينما انتهيت من هذه المدرسة دون العاشرة.

- فهل كان لهذين المدرسين تأثير على شخصيتكم أي هل تأثرتم شخصياً بهذين المدرسين؟

- لم يكن لي اتصال بهذين المدرسين اتصالاً مباشراً، لأن الذي كان يدرسني هو أحد التلاميذ وهو متقدم عليَّ في الدروس، ولا أذكر أني قرأت شيئاً على يد السيد أحمد مباشرة إلا يوم واحد[١٠] وهو يوم ختمي للقرآن فجلست أمامه والقرآن على الرحلة أمامي وقرأت آية من سورة البقرة وهي الآية التي فيها «وختم الله على قلوبهم...» فلما وصلت إلى تعبير «ختم إليه على قلوبهم» انهالت أيادي[١١] التلاميذ على رأسي وأخذوا منه الطاقية وذهبوا بها ركضاً إلى والدتي إشارة إلى أنني ختمت القرآن.

ثم ذهبت إلى مدرسة الحاج حسن الأفغاني الكائنة في مسجد نجم الدين[١٢] الواقع اليوم تجاه النادي العسكري الحاضر، فهذه المدرسة كان فيها شيء من الانتظام، وهي تحتوي على ساحة كبيرة مظللة بالحصران كالسقيفة، وفي هذه المدرسة إن التلاميذ[١٣] لم يكونوا يجلسون على الأرض كالمدارس الأخرى، بل كانوا يجلسون على تخوت شبيهة «بالرحلات» التي تستعمل في المدارس الآن. فكنا جميعاً نجلس على هذه التخوت وكل واحد منا قد وضع القرآن أمامه مفتوحاً والحاج حسن يقف أمام الصفوف وبيده القرآن أيضاً ويقرأ بصوت عالٍ ونحن نتبعه

بأصوات عالية أيضاً فالمار بالطريق كان يسمع ضجيج التلاميذ في القراءة إلا أن التلاميذ كانوا كلهم يقرؤون على لهجة واحدة وبصوت واحد. أما الدرس الثاني في هذه المدرسة فكان الكتابة، إذ كان مع الحاج حسن رجل آخر يدعى «الخلفة» وهذا يقوم بتعليمنا الكتابة، يكتب لنا سطوراً فيعطي لكل تلميذ سطراً للمشق للكتابة عليه وكان أحياناً يملي علينا بعض الحكميات والأمثال ونحن نكتبها، وبعد الكتابة كان يصحح فرداً فرداً ما كتبناه.

وهذه المدرسة كانت مخرجاً للمدرسة الرشدية العسكرية. وعلى هذا الأساس تخرجت من هذه المدرسة مع ٢٠ تلميذاً تقريباً وذهبنا إلى المدرسة الرشدية العسكرية فامتحنونا بالقراءة والكتابة فقط وأكثرنا نجح وكنت أنا من الناجحين فدخلت المدرسة الرشدية وكان عمري حوالي إحدى عشرة سنة[١٤] تقريباً.

ودخولنا في هذه المدرسة كان بالنسبة إلينا حياة جديدة فالملبس كان يختلف فيها عن المدارس الأهلية كمدرسة الحاج حسن حيث هناك الأزياء كانت مختلفة وأهلية أما في هذه المدرسة فكانت الأزياء موحدة وهي عبارة عن البدلة الإفرنجية مع الطربوش.

أما الإحساس الذي غمرنا نحن ووالدتي فكان عظيماً إذ إن والدتي فرحت فرحاً عظيماً لدخولي مدرسة حكومية ولأن زيي أصبح زي «الأفندية» وأنا أيضاً شعرت بسرور عظيم لهذا التغيير في مجرى حياتي، وهذه المدرسة كانت تحتوي على أربعة صفوف فنحن دخلنا في الصف الأول بطبيعة الحال. وكان التدريس فيه بسيط[١٥] فهو عبارة عن قراءة وإملاء وكتاب ديني يدعى «علم الحال» وشيء بسيط من الحساب

لا يتجاوز الأعمال الأربعة كالجمع والطرح والضرب والتقسيم وكتاب آخر يقوم مقام القراءة يدعى «أسماء تركية». وفي هذه المدرسة كان التدريس في اللغة التركية وأغرب شيء مر عليَّ في هذه المدرسة هو ما شعرت به بعد خروجي من المدرسة من التعجب لنجاحي في صفوف المدرسة الأربعة واجتيازي الامتحانات سنة بعد سنة مع أني كنت أجهل اللغة التركية إلا شيئاً قليلاً منها فكنت أتعجب من نجاحي ولكنني كنت أزيل هذا التعجب لأني كنت أحفظ الدروس وأجتاز بها الامتحان حفظاً فكان النجاح يستند إلى الحفظ لا إلى الفهم.

وكنت أمقت هذه المدرسة مقتاً شديداً لأنها كانت تابعة إلى نظام شديد كل الشدة فالتلميذ لم يتمكن من أن يشغل نفسه بشيء خارج عن الدرس مطلقاً، وهذا النظام لم نألفه في المدارس الأهلية السابقة. والحقيقة كان أحد المعلمين وهو يدعى سعيد العزاوي شديداً جداً فكان يضربني ضرباً مبرحاً فلهذه الأسباب كنا نحن التلاميذ نفرح فرحاً لا مثيل له عند خروجنا يوم الخميس من المدرسة لأننا لا نعود إليها في الغد كما أننا كنا نشعر بغم وحزن مساء الجمعة لأننا كنا مقبلين على السبت الذي فيه نذهب إلى المدرسة.

حديث يوم ٥ آب (أغسطس) ١٩٤٤

الدراسة في المسجد:

– وقد سقطت في الصف الثالث من هذه المدرسة وقد رسبت في درس الحساب ذلك العلم الذي لم أتعلمه حتى الآن ولهذا السبب خرجت من المدرسة المذكورة فالتحقت بإحدى المدارس العلمية وكانت وقتئذ في

الجوامع وهي مدرسة الحيدرخانة التي كان يقوم بتدريسها شكري أفندي الآلوسي أما كيف التحقت بهذه المدرسة ومن الذي أرشدني إليها فلا أتذكر ذلك مطلقاً. وعندما دخلت في هذه المدرسة كان عمري حوالي الـ١٢ سنة ولم أكن أعرف من اللغة العربية شيئاً عدا قراءة القرآن الذي تعلمته في الكتاتيب وقد تركت الزي القديم أي زي «الأفندية» ولبست العمامة والعباءة حسب ما كان يتطلب الوضع آنذاك[١٦] وأول كتاب درسته في هذه المدرسة هو كتاب «الأجرومية» وقد أحالني الأستاذ شكري إلى تلميذ متقدم لتدريسي هذا الكتاب وبعد إتمام هذا الكتاب صرت أشعر أن شكري أفندي أخذ يعتني بي اعتناءً خاصاً لما صرت أقرأ عليه كتاب «قطر الندى» لابن هشام وهذا الكتاب فيه متن وشرح، وكان التلميذ الذي يدرسه يجب عليه أن يحفظ متنه وكنت أحفظ متن هذا الكتاب. ولم أتعلم مبادئ العربية إلا عن طريق هذا الكتاب وإني أرى الآن أن هذا الكتاب هو أحسن كتاب يبدأ به لتعليم النحو وترك الأجرومية. فصار شكري أفندي الآلوسي يستبقيني فيؤخرني عن بقية التلاميذ وذلك لغاية التطويل معي في الدرس والاعتناء بي اعتناءً خاصاً وكان قبل البدء في الدرس يأمرني بقراءة الدرس السابق على الحفظ وكان يعتني بتفهيمي رغم كونه عصبي المزاج. وقد كان يكرر عليَّ الدرس عندما يستعصي عليَّ فهمه ولما انتهيت من هذا الكتاب كانت العادة الجارية في المدارس هي أن يقرؤوا «شرح الفاكهي» لمتن قطر الندى وبعد الفاكهي يدرسون ألفية ابن مالك، أما أنا فلم أتقيد بذلك بل بدأت رأساً بألفية ابن مالك وكان ذلك بموافقة شكري أفندي وكان يتشدد عليَّ في حفظ الألفية أكثر من قطر الندى وكنت إذا لم أحفظ الدرس

جـيـداً يمتنع عن تدريسي في ذلك اليـوم. وكـان شكري أفندي يعطيني بعض كتب الشواهد في أثناء درس الألفية للمطالعة ولفهم الشواهد التي ترد في السيوطي وبهذا السبب صرت أحفظ أنا من الشعر العربي شيئاً كثيراً بهذه الواسطة. حتى أن شكري أفندي قال مرة وهو كان يدرس أحد التلاميذ وصادف أن تكلم عن بيت من الشعر من أبيات الشواهد فاتفق أن سماني شخصياً «الشواهد» وكان يقصد بذلك إتقاني لهذه الأشعار إذ كان قد سألني عن بيت من الشعر جاء في الشواهد وعما قبله من أبيات وعما بعده وعن قائله فأجبت جواباً صحيحاً، وكان هذا الجد مني في الدرس يشجع الأستاذ الآلوسي في مثابرته على الاعتناء بي وقد أصبح معجباً بي وهذا ما كان يشجعني على مثابرة الدرس والتذوق به وما كدت أصل إلى حفظ نصف الألفية حتى صرت أقلد أبيات الألفية فأنظم أبياتاً من الرجز مثلها.

ملاحظة:

- بعد انتهاء الأستاذ الرصافي من هذا الحديث رأيت أن أوجه إليه بعض الأسئلة استيضاحاً لما كان قد جاء في الحديث السابق الذي جرى في يوم ٢٨ تموز ١٩٤٤.

أسرة الشاعر:

لقد سألته عن اسم أبيه وأمه فقال: إن اسم أبي عبد الغني محمود واسم أمه فاطمة بنت جاسم القره غولي وهي عربية الأصل. أما والده فكردي الأصل من عشيرة الجبارية التي تسكن ما بين كركوك والسليمانية. والأستاذ معروف الرصافي لا يعرف اللغة الكردية مطلقاً وهو كما يقول كثير الشبه بوالدته لا بأبيه. وقد توفيت في أثناء الحرب

الأولى ١٩١٤- ١٩١٨ وكانت امرأة فاضلة اهتمت بتربيته بقدر ما سمحت لها الظروف شفيقة عليه كثيراً وكان فراقه يشق عليها وكانت هادئة الطبع فلا تعد ثرثارة.

وعلى ما يذكر الأستاذ أن أهل المحلة كانوا يتخذونها كحكم(١٧) في أمورهم فيدعونها يا أم معروف. ولا يذكر أنها كانت متذمرة في حياتها مع أنها كانت فقيرة وكانت محترمة حتى أن أختها الكبيرة تحترمها جداً.

أما رابطة الأستاذ الرصافي بوالده فكانت ضئيلة جداً ولذلك لم يكن يحب والده الذي كانت فيه حدة في الطبع وكان متديناً جداً. ولما كان الأستاذ معروف صغيراً كان يغضب عندما كان يقال له إنك كردي وكان على ذلك يبكي أحياناً.

وقد توفي والده قبيل الحرب العامة الماضية ومن المحقق أنه توفي قبل والدته (أي والدة الأستاذ الرصافي) بمدة قليلة وقد عاش حوالي السبعين سنة أما والدته (أي والدة الأستاذ الرصافي) فلم تعمر كثيراً بل كانت تناهز الستين عندما توفيت.

وقال الأستاذ إنه لما كان فقيراً فقد كان يشعر بضنك العيش فيصادف أحياناً أن طعامهم لم يكن غير الخبز والخيار.

ك.ج

حديث يوم ١١ آب (أغسطس) ١٩٤٤:

سكن المسجد:

إني وإن كنت في أول الأمر أدرس في الحيدرخانة على الآلوسي،

غير أني كنت أسكن في غرفة من غرف جامع الخاتون، في غرفة فوقانية، المسمى جامع نازنده خاتون، وقد وقع في هذه الغرفة حريق[١٨] وهذا ما سبب انتقالي إلى جامع الحيدرخانة. وكنت قد قمت في يوم من الأيام للذهاب إلى الدرس في جامع الحيدرخانة وبينما أنا في الدرس أخبرت بأن الغرفة التي كنت أسكنها في جامع الخاتون قد احترقت فذهبت حالاً ووجدتها محترقة وكان لي فيها بعض الكتب وكان يوجد فيها كتباً[١٩] تعود إلى السيد شكري الآلوسي أما وقوع الحريق في هذه الغرفة فقد أوقعه المدرس في ذلك الجامع المدعو جعفر أفندي (....)[٢٠]، وهذا المدرس كان يتضايق من وجودي لأنه كان يتصل ببعض الغلمان الذين يترددون عليه. وفي جملة الأشياء التي احترقت دفتر يحتوي على أوائل شعري التي لا أذكر منها شيئاً مطلقاً. وكان من جملة الأشياء التي احترقت كتاباً[٢١] يعود إلى شكري أفندي وهو كتاب الشواهد وبعد هذه الحادثة انتقلت إلى جامع الحيدرخانة وأخذت هناك غرفة للسكنى فصرت أدرس في جامع الحيدرخانة وأسكن فيه في الوقت نفسه. أما في هذا الجامع فلم أقض أكثر من الليالي فيه بل أذهب إلى دارنا وهناك أبات في دار والدتي لأن غرف جامع الحيدرخانة لم تكن صحية كما كانت غرفتي في جامع الخاتون.

وقبل أن أنتهي من دراسة الألفية باشرت بدراسة كتاب (مغني اللبيب) على الشيخ عباس القصاب في جامع الشيخ صندل في جانب الكرخ بينما كنت أواصل الدرس في الوقت عينه لدى الأستاذ شكري أفندي الآلوسي وهو كتاب السيوطي. وفي الوقت عينه أيضاً كنت أدرس بعض كتب الفقه على عبد الوهاب أفندي النائب في جامع الخاتون

الكبير الواقع في محلة عباس أفندي أو قنبر علي وكنت متصلاً بشكري أفندي أكثر من جميع هؤلاء المدرسين وكنت ملازماً له في أكثر أوقاته فلم أكتف باتصالي به في الجامع بل كنت أذهب إلى داره وأجلس مع الجالسين في مجلسه أما اتصالي ببقية المدرسين فكان في وقت الدرس فقط.

مدرسته الأولى:

- من أي مدرس استفدتم أكثر من غيره؟

- من شكري أفندي الآلوسي طبعاً لأنه كان يعطيني كل فرصة لأجل الاستفادة منه فلم يكن يضجر من سؤالاتي واستفهاماتي المتكررة والحق كان شكري أفندي من المتضلعين في العلوم العربية من صرف ونحو وبلاغة وبيان وعروض وغير ذلك من علوم العربية.

الآلوسي والشعر:

- فهل استفدتم منه في نظم الشعر؟

- لم أستفد منه في النظم لأنه لم يكن يفرق الموزون من غير الموزون(٢٢)، غير أنه كان يشجعني على الشعر حتى أذكر يوماً كنت قد نظمت مقطوعة صغيرة في مدحه ولكن لم أذكر فيها اسمه ولما أنشدته إياها سرَّ بها وصار يبين لي طريقة الشعراء في ذكر اسم الممدوح وأورد لي أمثلة من الشعر فيما يسمى بحسن التخلص.

شعره الأول:

- من الذي حبب إليكم الشعر؟

- لا أذكر أن شخصاً في بداية الأمر حبب لي الشعر، وقد سبق أن قلت لكم بأني بدأت بالنظم بتقليد الألفية في نظم بعض الأبيات من

الرجز وكان عمري حينئذ لا يتجاوز الـ١٥ سنة وقد بقيت مدة من الزمن أنظم الشعر لا أتقصد في إظهاره على الناس ولكن بعد سنتين أو ثلاث أو أكثر قليلاً عندما بلغ عمري حوالي ١٨ عاماً صرت أنظم بعض القصائد وكنت أعجب بها فصرت أطلع الناس عليها من أصدقائي، ولم يكن بينهم من هو أكثر مني فهماً للشعر وكانت هذه القصائد فيها الشيء من المديح للأصدقاء وفيها غزل وفيها مقطوعات أخرى، ويوجد في ديواني الأخير بعض هذه المقطوعات وأكثرها من الغزل، كالمقطوعة التي تبدأ في:

اسـمـعي لي قـبل الرحـيل كـلامـا
ودعـيني أمـوت فـيك غـرامـا

ثقافته الأدبية:

- أي شعر كنتم تفضلون مطالعته أو دراسته في تلك الأيام؟

- كنت ألازم ديوانين اثنين للمتنبي والمعري وأقصد اللزوميات من المعري وأذكر لكم شيئاً غريباً في هذا الصدد. إذ مع أن ديوان المتنبي المطبوع كان لدي أخذت أستنسخه بخطي، ولا أتذكر أني أكملته.

أما لماذا قمت بهذا العمل فلا أعلم ذلك بالضبط. والراجح أنه كان لشدة إعجابي به. وكنت آخذ من شكري أفندي بعض الكتب فأخذت منه خزانة الأدب الكبرى والعقد الفريد وغيره من الكتب فأقرؤها وأعيدها إليه بعد قراءتها وكنت أنتفع من مكتبة شكري إذ إني لا أملك كتباً.

- ومن الذي كنتم تعرضون شعركم عليه للنقد؟

- كنت أقرأ للسيد شكري أفندي بعض شعري، وكان يرشدني من حيث اللغة والإعراب وغير ذلك.

أما الآخرون الذين كنت أقرأ شعري عليهم فكانوا أقل مني من حيث اللغة، لذلك لم أكن أستفيد منهم. وهنا أود أن أذكر لكم حادثة طريفة وقعت لي مع مسعود أفندي أخ شكري الآلوسي. فكنت أتصل به دائماً لأنه كان يسكن الجامع مثلي. وفي يوم من الأيام قرأت عليه بيتاً من الشعر فأعجب به وكتبه وبعد كتابته سألني عن قائله فلما قلت له أنا الذي نظمته ازدراه ومزق الورقة ورماها في الأرض فتأثرت كثيراً من هذا الحادث ولكن لم أظهر له تأثري. وبعد أيام نظمت بعض الأبيات فقرأتها عليه وقلت له: هذا من شعر المتنبي فأعجب بها وكتبها وبعد ذلك أخبرته أنها لي فلم يقل شيئاً. فقلت له هذه الجملة التي لا أنساها مطلقاً: (أنت ممن يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق). وكنت في هذا الدور في سن تجاوزت فيه العشرين عاماً.

دروسه وعمله:

وهكذا استمررت على الدراسة حتى سن الخامسة والعشرين أدرس العلوم العربية التي تقرأ في المدارس الدينية وبذلك أكون قد درست العلوم الآتية: الصرف والنحو والبلاغة والبيان والعروض وكتب العقائد والكلام وأصول الفقه والحساب أيضاً في المدارس الدينية، وبعد أن أكملت دروسي في المدارس الدينية وتجاوز عمري حسب ما أذكر الـ ٢٥ عاماً عينت معلماً لأول مرة في مدرسة الراشدية وهي قرية تقع شمالي بغداد على بعد عشرة كيلومترات من بغداد فبقيت هناك سنة واحدة تقريباً ثم عينت معلماً ثانياً في مدرسة ابتدائية تدعى مدرسة جامع علي أفندي، وبعد أن بقيت في هذه المدرسة أقل من سنة شغرت معلمية في مندلي فقدمت امتحاناً فنجحت ولكن كان من جملة المطالبين بها رجل

من سكان مندلي فعين نتيجة التوسط، ولكن الوالي لم يشأ أن يحرمني من وظيفة مماثلة لها فأمر مدير المعارف أن يجد لي محلاً فاقترح تعييني معلماً للغة العربية في مدرسة الإعدادي المُلْكي فعينت بتلك الوظيفة وكان ذلك حوالي ثلاث سنوات قبل الانقلاب العثماني. وتعييني في هذه المدرسة يعتبر حياة جديدة بالنسبة لي لأني صرت أختلط مع الناس بينما كنت منعزلاً في الجامع.

شربه الخمر:

وفي تلك الأثناء كنت أحلق لدى حلاق يدعى حسون كان حانوته بالقرب من جامع الحيدرخانة، وكنت أجلس عنده أحياناً وهناك تصادقت مع شخص يدعى محمد البهلوان وهو خياط عسكري فكان يسكر في بعض الأحيان. وقد كلفني في يوم من الأيام أن أشرب معه فقبلت التكليف ولكن قال: تعال معي إلى داري فذهبت معه وانتظرته في الطريق فأخرج لي قدحاً بحجة أنه قدح ماء وناولني إياه فشربته مرة واحدة في قارعة[٢٢] الطريق وكنت أتردد في تلك الأيام على دار مراد بك بن سليمان فذهبت في ذلك اليوم وأنا سكران وهذه لأول مرة شربت الخمر ولكن بأية حالة؟ على قارعة الطريق!

وبعد أن صرت أعمل في مدرسة الإعدادي المُلْكي تصادقت مع معلم التاريخ المدعو نعمان أفندي، وفي دار هذا الشخص شربت الخمر لأول مرة بصورة منظمة.

أول شعره المنشور:

وفي هذه الفترة من تاريخ حياتي التي قضيتها في التدريس في الإعدادي المُلْكي وهي لا تتجاوز ثلاث السنوات صرت أبعث قطعاً من

شعري إلى مجلة «المقتبس» التي كانت تصدر في مصر لصاحبها محمد كرد علي وكان يحرر في جريدة المؤيد اليومية أيضاً فصرت أنا والأستاذ جميل صدقي الزهاوي نرسل قطعاً من شعرنا فينشره في المجلة وفي بعض الأحيان في جريدة المؤيد للشيخ علي يوسف أيضاً.

غضب الزهاوي:

ويظهر أن الأستاذ كرد علي كان معجباً بشعري فنشر قصيدتي بمحل بارز من مجلته بعنوان «أكبر الشعر» وكانت المقطوعة «اليتيم في العيد» ويظهر أن الزهاوي اغتاظ من ذلك فبعد اطلاعه على هذا النشر انقطع عني وصار لا يكلمني ولا يواجهني مدة من الزمن.

- هل تأثرتم بشعر الزهاوي بوقته؟

- لم أتأثر بشعر الزهاوي مطلقاً لأني لم أكن أرتضيه وكنت أجد في شعره بعض الأغلاط النحوية واللغوية، وكنت أنبهه إلى ذلك. وكانت هذه القصائد تصل إلى أمريكا في ذلك الوقت. وكان في أمريكا جريدة لصاحبها نعوم البعلبكي اللبناني وكان يقتبس هذه القصائد وينشرها في (المناظر) جريدته. فكتب يوماً مقالاً قال فيه إن معروف الرصافي اسم مستعار لا اسماً حقيقياً[٢٤] وأورد أدلة على ذلك منها أنه لا يمكن في البلاد العثمانية أن يقوم رجل وينشر هذه القصائد وتتركه الحكومة وشأنه ولا تعمل له شيئاً فكتب محمد كرد علي كتاباً خاصاً إلى صاحب المناظر يقول فيه إنك مخطئ لأن معروف الرصافي رجل حقيقي ولنا معه مكاتبات وهو في بغداد فنشر البعلبكي هذا الكتاب في جريدته وعلق عليه بأنا لا نسلم لمحمد كرد علي على هذا القول ما لم ينقض الدليل الذي أقمناه على ادعائنا. فكرد علي أرسل إليّ هذه القطعة فكتب إليّ

أن يا فلان اترك هذا الرجل وما يقول لأن الرجل يخدمنا من هذه الناحية، لماذا ننبه الحكومة على أن هذا الاسم حقيقي فهذا قد يسبب اضطهادنا. ثم كتب كرد علي مقالاً افتتاحياً في جريدة المؤيد تكلم فيه أولاً عني ثم عن الزهاوي فاغتاظ الزهاوي من ذلك أيضاً وأخذ يجادلني ثم انقطع عن الكلام معي مدة تقارب الستة أشهر.

وبمناسبة ذكر الزهاوي وحالته معي أذكر لكم واقعة وإن كانت متأخرة أي أنها لم تحدث في ذلك الوقت وكانت الوقعة حوالي سنة ١٩٢٥ أخذ يتكلم عني الزهاوي في كثير من المجالس بأني أجهل العلوم العصرية وهذا الكلام كان ينقل إليّ فكنت أقول لهؤلاء الناس: أنا والزهاوي قد تخرجنا من مدرسة واحدة وهي المدارس العلمية الدينية التي كانت موجودة في بغداد ولم يكن غيرها وقتئذٍ فإذا كان هو قد تعلم العلوم العصرية من المجلات كالمقتطف وغيرها فأنا أيضاً أطالع هذه المجلات. فما الفرق بيني وبينه؟ ثم لمّا تمادى على هذا الكلام في مجالسه أجبته بهذه الأبيات:

قل للزهاوي أنى[٢٥] كنت لاقيه
مقالة كان منها بادي الحذر
لقد بلعت علوم العصر قاطبة
بلعاً تضيق به بالوعة القذر
وكان بلعكها في مدة قصرت
عما يسارق لحظ العين من نظر
كتبت أسماء هاتيك العلوم على
ما قدّ من قنب نزا من الحمر[٢٦]

ثم اغـــتـــديت ببـــول العـــيـــر تمقله
ثم احــتـــقنت بذاك البـــول من دبر
فــصــرت عــلامــة الدنيــا وواحــدها
وصـــرت في كل علم جــد مــقــتــدر
وتلك مــعـــجــزة في طي مـــخـــزية
لم يـعطهــــا قط إلا أنت من بـشــــر
فـــإن أتيت بدعـــوى العلم فـــارغـــة
فـــمـــا أتيت بشيء غـــيـــر منتظر

في جامع الخاتون:

حديث يوم ٢٥ آب (أغسطس) ١٩٤٤:

قال الأستاذ إنه فاتني أن أذكر لكم نبذة عن تاريخ حياتي في جامع الخاتون. كنت متديناً جداً وكثيراً ما كنت أترك غرفتي وأنزل إلى المصلى ليلاً وأبقى أصلي في بعض الأحيان طوال الليل. وكانت تعتريني حالات غريبة فأبكي بكاءً متواصلاً بعد الصلاة. وهنا أود أن أشير إلى طرف من حياتي ومناسباتي مع الأشخاص حينذاك كان يوجد شخص يدعى مخلص بك وظيفته طابور أغاسي وهو ضابط جندرمة (درك) وكان له ولد يسمى رؤوف وكان موظفاً مع والده وكان هذا الشاب متديناً للغاية فكان يتردد كثيراً إلى الجامع وبهذه المناسبة حصلت بيننا صداقة قوية، صرت أتردد كثيراً إلى دارهم التي هي بالقرب من الجامع وهذه الصداقة جعلت أن مخلص بك يعطف على والدي فرقاه من رتبة (أونباشي) نائب عريف إلى عريف. وقد زرت سجن بغداد يومئذ بواسطة رؤوف، وهذه

الزيارة أثرت عليَّ تأثيراً كبيراً، وهذه الزيارة هي التي ألهمتني قصيدة (السجن في بغداد) التي هي تصوير حقيقة ما شاهدته في السجن. وأذكر لكم نبذة عن حياتي في جامع الخاتون. كانت توجد دار مقابل جامع الخاتون تدعى دار حنّوف، وحنّوف هذه كانت امرأة مشتبه بها، وكان يوجد ضابط في هذه العائلة فكان متديناً وكان يتردد إلى الجامع فحصلت بيننا صداقة قوية، وكان هذا الشاب جميلاً جداً فصرت أحبه حباً جماً وصرت أحبه بدرجة العبادة، وكان هذا الشاب بعمري وكنت أحبه بدرجة لما ذهب إلى البصرة بوظيفة لحقت به في البصرة في أواسط الصيف ولما ذهبت إلى البصرة لم أجده فقيل إنه في قرية (أم الرصاص) التي مقابل المحمرة، فذهبت هناك ووجدته مريضاً وقد أوصاه الطبيب ألا يشرب من ماء البلد بل يشرب من ماء نهر كارون فذهبت بمشحوف إلى نهر كارون ولما أردنا أخذ الماء من النهر لإيصاله إلى (حامد) انقلب بنا المشحوف وكدنا نغرق هناك. ثم رجع حامد إلى أبي الخصيب وذهبت معه. وبقينا عدة أيام ولمّا أبل من مرضه ذهبت إلى البصرة وبعد أن مكثت مدة قصيرة في البصرة عدت إلى بغداد وانقطعت الصلة بيني وبين حامد فأخذ ذلك الحب المتقد أخذ يزول شيئاً فشيئاً.

في الأستانة:

حديث يوم ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤:

وقد بقيت في التدريس في مدرسة إعدادي مُلْكي في إعلان المشروطية[٢٧] وبعد أن أعلنت المشروطية في سنة ١٩٠٨ ذهبت إلى الأستانة بدعوة من صاحب جريدة (إقدام) أحمد جودة بك لغاية إصدار

جريدته باللغة العربية وقد ذهبت مع النواب الذين سافروا إلى الأستانة فذهبت معه وبما أنه لم يحصل الاتفاق بيني وبين أحمد جودة على إصدار الجريدة بقيت في الأستانة بدون عمل. وقد اتصلت هناك بالأستاذ جميل صدقي الزهاوي الذي كان يسكن الأستانة وقتئذ. وقد سكنت معه في دار واحدة حتى ظهور الحركة الرجعية في ٣١ مارت وأكثر من ذلك. وقد نفدت دراهمي في تلك المدة فاتصلت ببيت المطران وهما ندرة مطران ونخلة مطران من أهل بعلبك وقد قاموا بمساعدتي لتسديد مصاريفي الشهرية. ولهؤلاء اشتغال في القضية العربية. وعندما كنت في الأستانة حصلت لي فكرة الاتصال بحكمة سليمان بك وخالد بك سليمان اللذين[٢٨] كانا في سلانيك مع أخيهم محمود شوكة[٢٩] باشا قائد الجيش في سلانيك والذي شجعني على ذلك ذهاب أحد الاتحاديين عمر فخر الدين بك فذهبنا سوية إلى سلانيك وفي أثناء الطريق صادف أن حصلت الحركة الارتجاعية في استانبول فتحرك الجيش من سلانيك بقيادة محمود شوكة باشا ولهذا السبب صادفت بعض الصعوبات عند وصولنا إلى سلانيك فأوقفت ليلة واحدة ظناً منهم بأني أحد المشتركين بحركة العصيان لأن الحركة المذكورة قام بها المتدينون[٣٠] في الأستانة فاشتبهوا بي للعمامة التي كنت أرتديها[٣١]. فبقيت لمدة بضعة أيام في سلانيك ثم عدت إلى الأستانة فوجدت الحالة هناك مضطربة حيث أن جيش الإنقاذ استولى على الأستانة وخلع عبد الحميد ونادى بالسلطان محمد رشاد خليفة. وفي تلك الآونة أبدلت الطربوش بالعمامة حيث كما قلت إن الذين قاموا بالعصيان هم أصحاب الدين وكان كل شخص صاحب عمامة يشتبه به ففي تلك الأثناء نزعت العمامة وأبدلت الملابس الدينية بالملابس الإفرنجية.

فأردت أن أعود إلى بغداد ولكن المطران ندرة الذي اتصلت به بوساطة زكي مغامس الحلبي (مترجم كتاب تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان من اللغة العربية إلى التركية) فأبقاني هناك وتعهد أن يدفع نفقاتي في الأستانة فبقي ستة أشهر يدفع لي مقدار عشرة(*) ليرات شهرياً فبقيت حتى أتى مراد بك بن سليمان بك إلى الأستانة فعدت إلى بغداد بمساعدة المطران ندرة.

وهنا فاتني أن أذكر أنني لما توجهت مع نواب العراق إلى الأستانة لما وصلنا إلى بيروت استبقاني أدباء[٣٢] بيروت الذين احتفوا بي احتفاء كبيراً ولكني تضايقت، من جهة قلة الدراهم التي كانت معي فاقترح عليّ محي الدين الخياط أن أطبع ديواني في بيروت فتعهد بأن يقوم بتصحيحه وأن يكتب له مقدمة فأعطتني إحدى المطابع ٣٠ ليرة فرنسية ذهباً وبعد قضاء ١٥ يوماً[٣٣] سافرت إلى الأستانة بحراً. وقد عدت إلى بغداد في تلك السنة أو السنة الثانية للانقلاب، ولكن لم يمض على بقائي في بغداد أكثر من شهر واحد حتى عدت إلى الأستانة بناء على طلب عبيد الله أفندي من أهلي آيدين وكان نائباً عن أزمير حينئذ. وهذا الشخص كان قد اعتزم على إصدار مجلة شهرية عربية باسم «سبيل الرشاد» فاتفقت معه على إصدار المجلة المذكورة فأصدرناها ولكن باسم آخر وهو «العرب» وبهذه المناسبة توسط لتعييني مدرساً في الملكية الشاهانية فبقيت أصدر المجلة المذكورة وبنفس الوقت[٣٤] أدرس اللغة العربية في مدرسة الملكية إلى أن ألغيت هذه المدرسة ثم توقفت المجلة عن الصدور. ثم عينت إلى مدرسة تعود إلى وزارة الأوقاف في الأستانة يقال لها مدرسة الواعظين مدرساً لدرس الخطابة العربية وقد بقيت بهذه

المهمة إلى المدة التي أكمل فيها مجلس النواب دورته وهي أربعة[٢٥] سنوات حتى انتخبت نائباً.

- كيف تم انتخابكم ومن الذي توسط لكم في النيابة، مع أن الاتحاديين لم يرشحوا إلا الأشخاص الذين يعتمدون عليهم؟

- كنت أسكن في دار واحدة مع عبيد الله أفندي الذي كنت أصدر معه مجلة «العرب» وكان طلعة بك وزير الداخلية جارنا ففاتحني ذات يوم عبيد الله أفندي قال إن طلعة بك يود أن يدرس اللغة العربية فهل تتمكنون من تدريسه؟

فقبلت ذلك بكل ترحاب وبدأت أذهب إلى داره ولكن لم نبدأ بالدرس غير أنه كان يتحدث معي في شؤون شتى وبصفة خاصة عن شؤون البلاد العربية، فكنت أبين له رأيي بصراحة. وقد دامت هذه المقابلات حوالي الأسبوعين ثم انقطعت عنه غير أنه بقيت صلة بيني وبينه. ولما انتهت دورة المجلس يظهر طلعة بك رشحني شخصياً إلى النيابة فاتصل بي أحد الاتحاديين وهو جمال الغزي فقال إن مركز جمعية الاتحاد العام رشحك إلى النيابة وسألني عن المحل الذي أريد أن أكون عنه نائباً فرجحت المنتفك فانتخبت عن المنتفك وأنا في الأستانة.

- هل دخلتم جمعية الاتحاد والترقي بعد أن صرتم نائباً؟

- لم أدخل قط، كما أنه لم يطلب إليَّ ذلك أحد، وقد كنت حراً وفي كثير من المسائل كنت ضدهم كما أني كنت أوافقهم في بعض القضايا.

- هل كان لكم صلة بالجماعة الذين كانوا يشتغلون بالقضية العربية؟

- كنت أجتمع بهم دائماً ولكن لم أدخل معهم بصورة رسمية في حزب أو جمعية؛ غير أني كنت أعطف على كل جماعة تطالب بحقوق

العرب على شرط ألا تستمد قوتها من الأجانب وكان في تلك الآونة قد تألفت جمعية في بيروت أكثرها من المسيحيين (وهي الجمعية التي طاردها جمال باشا في أثناء الحرب) وقد حبذت أعمالهم في بداية الأمر فنظمت القصيدة التي عنوانها في (معرض السيف) دعوت فيها إلى النهضة العربية ولكن بعد ذلك اطلعت على منهاج تلك الجمعية ولما علمت بأن لهم اتصالاً[٣٦] بالأجانب نظمت قصيدتي التي عنوانها (ما هكذا..) أرد بها عليهم وأفند آراءهم إذ قد شممت منها رائحة التفرقة بين المسلمين والنصارى والذي يقرأ القصيدة يفهم ما كان قصدي من ذلك.

بعد الدستور:

حديث يوم ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤:

- متى انتخبتم نائباً؟

- لا أذكر التاريخ، ولكن انتخبت نائباً في المجلس الثاني بعد إعلان الدستور، ويجب أن يكون في سنة ١٩١٢، وقد قضى هذا المجلس سنتين اثنتين[٣٧] من الحرب غير أنه بسبب ظروف الحرب لم ينتخب مجلس آخر ولما انتهت مدة المجلس في سنة ١٩١٦ على ما أذكر لم يجر انتخاب مجدد وإنما مددت مدته. فبقيت في الأستانة إلى سنة ١٩١٩ فأردت أن أتوجه إلى بغداد فاضطررت إلى البقاء في الشام مقدار سبعة أشهر تقريباً بسبب عدم أمنية[٣٨] الطريق. وبعد أن بقيت مدة بضعة أشهر في الشام ثم طلبت إلى التدريس في دار المعلمين في مدينة القدس وذلك بوساطة محمد كرد علي فذهبت إلى القدس ووافقت على شروطهم وهي أن أدرس آداب اللغة العربية في تلك المدرسة براتب شهري قدره ٢٥ جنيهاً مصرياً مع الأكل والمبيت.

فسافرت إلى القدس في سنة ١٩١٩ أو أوائل سنة ١٩٢٠ على ما أذكر. أمّا حياتي في القدس فكان التدريس يشغلها وكنت أجتمع مع بعض الأصدقاء كإسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وغيرهم من الأدباء.

في القدس:

فبقيت في القدس مقدار سنة ونصف السنة، وكيفية انفصالي من القدس كانت عجيبة غريبة. إذ كانت قد تألفت حكومة وطنية برئاسة النقيب، وكان طالب باشا النقيب أحد أعضائها وكان كل واحد من هذين يطمع أن يكون ملكاً للعراق ثم اتفقا على أن يكون النقيب الملك على أن لا ينتقل الملك منه إلى أولاده وقرروا إصدار جريدة للدعاية في سبيل «إن العراق للعراقيين» فاتفقوا على أني أنا الذي سأتولى إصدار هذه الجريدة وإدارتها -جرى كل ذلك وأنا لا أعلم عنه شيئاً- وبما أني من المخالفين لطالب النقيب ومن الذين يبغضونه لم يصدر دعوة إليّ بهذا الشأن بنفسه بل بواسطة[٣٩] حكمة بك سليمان فجاءني تلغراف[٤٠] باسم حكمة بك يدعوني إلى العراق مستعجلاً لمسائل وطنية مهمة، فكتبت إليه برقية أسأله بأي صفة تدعوني أنت ثم على حساب من آتي إلى العراق؟ فلم يجبني حكمة بك ولكن كتبت الحكومة العراقية -والظاهر أن طالب باشا هو الذي تولى هذا الأمر إلى المندوب السامي في فلسطين أن يسفرني إلى العراق على حساب الحكومة العراقية وكان أوانذاك[٤١] السير هربرت صموئيل -فاستدعاني الموما إليه بواسطة أحد موظفي المندوبية وفاتحني بالأمر فوافقت على السفر إلى العراق. فأعطوني كتاباً بأن أذهب إلى السويس وأنتظر باخرة تأتي وأركب تلك الباخرة وأسافر

إلى العراق عن طريق الهند. وقد سافرت من السويس إلى القاهرة لقضاء بضعة أيام ثم العودة إلى السويس لأخذ الباخرة إلى الهند. فصادفت في القاهرة الأستاذ فهمي المدرس وجعفر العسكري وكانا قد أتيا إلى القاهرة لمواجهة بعض الشخصيات وكان السير برسي كوكس حاضراً. كما أن ساسون أفندي أيضاً كان موجوداً في القاهرة وهؤلاء جميعاً حضروا مع المس بيل لمواجهة المستر شرشل لتقرير الملوكية في العراق. فلما علم السر برسي كوكس أني ذاهب إلى العراق عن طريق الهند اقترح عليّ أن أسافر معهم إلى العراق رأساً دون الذهاب إلى الهند فقبلت الفكرة وسافرت معهم وكان في الباخرة فهمي المدرس وجعفر العسكري ومس بيل وساسون أفندي والسر برسي كوكس.

في بغداد:

ولما وصلت إلى بغداد وواجهت النقيب عبد الرحمن أفندي علمت من ذلك أنهم يريدون معارضة فيصل باعتبار «العراق للعراقيين» ثم اجتمعنا عند النقيب مع السيد طالب وأنا كنت من جملة المؤيدين لهذه الفكرة وقد اقترحت عليهم -بعد أن تداولنا في الموضوع ملياً- أن هذا العمل وأقصد عمل الدعاية لا يمكن أن يقوم إلا على المال فقلت لهم إن ذلك لا يمكن أن يكون بأقل من مئة ألف ليرة عثمانية فاستعظم النقيب هذا المبلغ ثم قال طالب باشا إنه مستعد لوضع ضعف المبلغ الذي يضعه النقيب. ولم يسفر الاجتماع عن اتفاق في الرأي وانقضى على أن نجتمع مرة أخرى فاتصلت بتوفيق الخالدي -الذي كان حاضراً في الاجتماع- وقال لي إنه سوف نذهب سوية بباخرة صغيرة أنا وأنت وطالب باشا وهناك نتذاكر في الموضوع. ولكن قبل أن يحصل هذا الاجتماع نفى

الإنكليز السيد طالب باشا. ولما نفي طالب باشا النقيب علمت أنه لم يبق لي شأن[٤٢] في هذا الموضوع. كل ذلك يجري قبل مجيء فيصل إلى العراق. وقبل مجيء فيصل كنت قد اتصلت بالمس فشرحت لها وضعي وقلت إن الحكومة العراقية هي التي استدعتني إلى العراق بينما كنت موظفاً في القدس، وأنا لا يمكنني أن أبقى عاطلاً، فكتبت لي كتاباً إلى ناظر المعارف يومئذ فواجهته ففاتحني بوظيفة وهي «نائب رئيس لجنة التأليف والترجمة» براتب قدره ٦٠٠ روبية شهرياً. ولما لم تكن اللجنة موجودة ولا رئيسها استثقلت هذا الوضع بعد بضعة أشهر فاتصلت بالمستر سميث الذي كان مستشاراً للمعارف وشرحت له الحال فاقترح عليّ أن ألقي بعض المحاضرات على المعلمين ففعلت ذلك. ولما تألفت الحكومة الوطنية بعد مجيء فيصل عينت مفتشاً للغة العربية ولكن بعد أن أخذ الأستاذ ساطع الحصري الشغل في المعارف علمت أنه لم يبق لي شأن[٤٣] في المعارف.

هجرة العراق:

فقررت أن أهجر العراق وأذهب إلى تركيا فذهبت فعلاً إلى استانبول كي أتجنس بالجنسية التركية وأذهب إلى أنقرة ولكن لم أجد هناك من معارفي غير سليمان نظيف ولكن سليمان نظيف لم يتمكن من التوسط إلى ذهابي إلى أنقرة فبقيت هناك في استنبول حوالي الثلاثة أشهر[*] -في بدء تأليف الحكومة الكمالية في أنقرة- ثم عدت إلى بيروت وهناك سعى بعض الأصدقاء هناك لأن أتجنس بالجنسية اللبنانية. وقد ألقيت هناك قصيدتي البائية المشهورة «هي النفس» بمناسبة مجيء أمين الريحاني إلى بيروت. وفي تلك الأثناء أبرق لي عبد المحسن بك

السعدون بلزوم العودة إلى العراق فسافرت على حساب الحكومة العراقية إلى بغداد وأراد عبد المحسن بك أن أتصل بالملك فيصل لأجل أن يزول بيننا البرود المتكون فواجهته غير أن المقابلة لم تكن ودية من جانبه فخرجت ولم أواجهه بعد ذلك.

حديث يوم ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤:

فبقيت بعد هذه الحوادث لم أتصل بالملك فبقي عبد المحسن بك السعدون يرعاني ويعينني في المعيشة. ولما ساءت حالتي المعاشية نظمت قصيدتي المشهورة مخاطباً عبد المحسن السعدون التي مطلعها إلى غرة آل سعدون، وهي همزية وبعض أبياتها:

فإن لم تدرك الأيام عريي
بثوب منك يا غمر الرداء
لبست قرار بيتي في نهاري
ولم أخلعه إلا في المساء
فإن جاء المساء لبست منه
ظلاماً ما تمزق بالضياء[٤٤]

فأحدثت هذه القصيدة ضجة في بعض الأوساط فتأثر بذلك الملك فيصل فأوعز إلى ساطع الحصري بإعادتي إلى المعارف فعدت براتب ( )[٤٥] فبقيت في المعارف من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٢٨ فلم ترق لي تلك الحالة فنويت الاستقالة والذهاب إلى الهند فتوجهت إلى البصرة وهناك تعهد عبداللطيف المنديل بإرسالي إلى الهند ولكن تلقى كتاباً من عبد المحسن السعدون يطلب إليه ألا يسهل مهمتي. فعدت إلى بغداد

ولم أتوظف حتى سنة ١٩٣٠. فانتخبت نائباً في المجلس الذي صدق معاهدة سنة ١٩٣٠ فعارضت المعاهدة فبقيت نائباً في ذلك المجلس ثم انتخبت مرة ثانية. ولما لم أرشح مرة أخرى للنيابة بقيت مدة من الزمن محتاراً في أمر معيشتي حيث أن راتبي كان لا يزيد على الـ١٢ ديناراً فقررت أن أهجر بغداد لسببين الأول أن راتبي لا يكفيني في بغداد والثاني: أردت أن أشتغل اشتغالات فكرية بعيداً عن صخب العاصمة فقررت الذهاب إلى الفلوجة فذهبت إلى هناك سنة ١٩٣٣ أو سنة ١٩٣٢ وبقيت هناك أشتغل بكتابي: «الشخصية المحمدية» حتى سنة ١٩٤١ ولما وقعت الحرب بين العراق والإنكليز اضطررت إلى العودة إلى بغداد.

- هل أكملتم كتابكم المذكور؟

- لم نكمل هذا الكتاب لأن الكتاب كما تعلمون هو عبارة عن ملاحظات كنت أدونها كلما خطر لي خاطر حول الموضوع.

- هل في النية طبع كتابكم المذكور؟

- لو أتمكن أطبعه، ولكن كما تعلمون أن الوضع لا يساعد على طبعه في العراق حيث الناس لا يحتملون الآراء التي فيه. ولو كانت الظروف تساعدني لكنت أذهب إلى أوروبا أو إلى تركيا فأطبعه هناك.

تعليق:

ليست التصويبات التي قمت بها هي كل ما في المحادثة فقد تركت العبارات الركيكة والجملة غير الفصيحة والمختلة كما وردت وتركت زيادة حرف الفاء وتركت فعل (أبات) ص٦٥ واستعمال حرف الجر المغلوط ليعطي فكرة عن اللغة الدارجة في بغداد.

الهوامش:

١- هذه أحاديث تحدث بها الشاعر للمرحوم السياسي المعروف السيد كامل الجادرجي المتوفى في ١٩٦٨/٢/١ فسجلها الجادرجي في عدة جلسات فأسدى للأدب يداً كريمة مشكورة ونفع بها الباحثين وقد نشرت في مجلة الثقافة الجديدة في بغداد في عددها الأول الصادر في سنة ١٩٥٤ بعنوان الرصافي يتحدث عن نفسه والملاحظ عليها الأسلوب السهل الخطابي الذي يتحدث به المثقفون يومياً وفيها عدة هفوات لغوية لأن المرحوم الجادرجي لم يكن متمكناً من العربية ليصلح أغلاطها وقد كان يريد أن يعرضها على الشاعر ليقوّمها إلا أن مرضه حال دون ذلك وقد حذفت المجلة بعض العبارات أثبتناها كما وردت في الأصل ولم نحذف من المحادثة غير كلمات معدودة تمس الأحياء .

٢- الإعدادي الملكي هي الثانوية فقد كانت هناك مدرسة ثانوية عسكرية باسم الإعدادي العسكري .

٣- الصواب تسلمتم .

٤- صادقاً .

* الصواب سبباً بنيوياً .

٥- الصواب للهجرة أو الهجرية .

٦- الصواب مبثوثون .

٧- في الأصل وفي كل واحد ولعلها وفي يد كل واحد أو لدى كل واحد .

٨- الصواب أعرج .

٩- الصواب التسع أو العشر سنين .

١٠- الصواب إلا يوماً واحداً .

١١- الصواب أيدي .

١٢- الصواب نجيب الدين السهروردي (تعليق الأستاذ الأثري) .

١٣- الجملة غير مستقيمة .

١٤- الصواب الإحدى عشرة .

١٥- الصواب بسيطاً .

١٦- الصواب أوانذاك .

١٧- الصواب حكماً وهذا من أثر الترجمة إلى اللغة العربية .

١٨- الصواب حريق .

١٩- الصواب كتب .

٢٠- حذفت اللقب .

٢١- الصواب كتاب .

٢٢- أستغرب هذا القول من الرصافي عن الأستاذ الألوسي مؤلف كتاب الضرائر فيما يسوغ للشاعر دون الناثر الذي حققه الأستاذ محمد بهجة الأثري والذي كان استغرابه أشد هنا . كما أن هذا الكلام يناقض قوله قبل سطر واحد من أن الألوسي متضلع بالعروض لأن المتضلع بالعروض يعرف الوزن بالتقطيع .

٢٣- الصواب على قارعة الطريق .

٢٤- الصواب لا اسم حقيقي .

في الأصل

٢٦- في الأصل أثبت همزة نزاء .

٢٧- المشروطية الدستور العثماني .

٢٨- في الأصل اللذان .

٢٩- الصواب أخيهما وآثرنا كتابة (شوكت) المربوطة لأصلها العربي .

٣٠- في الأصل -كانوا قد قام بها المتدينين .

٣١- الصواب يقول الأستاذ الأثري لا يقال ارتدى العمامة أو السدارة إنما يستعمل لفظ الاعتمار .

* الصواب عشر ليرات .

٣٢- في الأصل : استبقوني .

٣٣- أضيفت يوماً لمقتضى السياق .

٣٤- الصواب الوقت نفسه .

٣٥- الصواب أربع سنوات .

٣٦- في الأصل : اتصال .

٣٧- في الأصل : اثنين .

٣٨- كذا في الأصل ويريد بها (من الطريق) .

٣٩- الصواب بوساطة .

٤٠- في الأصل : تلغرافاً .

٤١- في الأصل آنذاك .

٤٢- في الأصل شأناً .

٤٣- في الأصل شأناً .

* الصواب ثلاثة أشهر .

٤٤- القصيدة كاملة في الديوان .

٤٥- فراغ في الأصل .

الأعلام الواردة في الكتاب

- عبد الرحمن بن الحاج سليمان الخضير[1]:



قانوني كبير من أسرة عربية نزحت إلى العراق في القرن التاسع عشر واستقرت في الكرخ. ولد سنة ١٩١٢ وبعد إنهاء الدراسة الابتدائية أكمل دراسته في الكلية العلمية ثم معهد الحقوق العربي ١٩٣٣ التابع للجامعة السورية.

كان من مؤسسي نادي المثنى وقد أصدر مجلة النادي ١٩٣٩ حتى ١٩٣٦ وكان عضواً في جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين وأحد أعضاء هيئة تحرير مجلتها (الكتاب) الذي كان رئيس تحريرها د. يوسف عز الدين عمل في الوظائف القضائية حاكم بداية حتى وصل إلى رئاسة محكمة استئناف البصرة ١٩٦١ وأحيل على التقاعد ١٩٦٢ وكان من أعضاء حزب الاستقلال البارزين وإليه الفضل الأول في

تقديم المذكرات وكان صديقاً حميماً للكاتب. توفي إلى رحمة الله في١٧/٩/٢٠٠١ ودفن في مقبرة الكرخ.

وخلف ثلاثة أبناء عوف وتوفي في حياة والده وحيدر وبشير وثلاث بنات.

- خالد محمد حافظ[1]:



من مواليد بغداد ١٩١٠ حصل على شهادة الحقوق ١٩٣٤ وعين في وظائف قضائية متعددة في مدن عراقية وعمل فترة في التجارة ثم عاد إلى الوظيفة ١٩٥٦ حتى وصل إلى نائب رئيس المحكمة الكبرى وعضوية محكمة تمييز العراق حتى وفاته ١٩٦٨ دفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي وله ولدان هما وائل والمهندس رياض وأربع بنات هن خولة وبسوس وأسيل ولمياء.

وقد تعرف على الرصافي في ديوان عبد العزيز كريم في الفلوجة.

الهوامش:

١- تحقيق الأستاذ عبد الحميد الرشودي .

كوك نزر (نظر)

اختلف الناس في هذا الاسم فرجوت الأستاذ عبد الحميد الرشودي التحقيق من الاسم فكتب إلى ما موجزه:

جاء في كتاب تاريخ الكنائس في بغداد للدكتور الأب بطرس حداد ص١٤٧ مطبعة الديوان ١٩٩٤.

وكان في تلك الفترة (ديريد ولاية سليمان باشا ابو ليلة ١٧٤٨هـ) رجل أرمني من ديار بكر اسمه نزار وهو اسم مقطوع من نزاريت إلى الناصرة لأن الأرمن كانوا يتخذون أحياناً اسماء الأراضي المقدسة تبركاً غير ان اسمه الكامل ليورك نزاريت وربما نزاريان أو نزران وتطور هذا الاسم فأصبح مصحفا (كوك نزر) وكان له مقام عند الحكام لأن (سلاحدار) الوزير أحمد باشا. وكان صديقاً لسليمان باشا فشاع اسمه واطلق على المكان الذي يسكنه في الميدان وقد توسط بشراء كنيسة النساطرة التي كانت شبه خالية ودفع للنساطرة مالاً واشتراها للأرمن.

صورة البيت

وكتب لي بانه ذهب والأستاذ فاضل مهدي ومعهم المصور الأهلي قدري عبد الرحمن وصور الصورة في أواسط الثمانيات (١٩٨٤ -

١٩٨٥) وقد أخبره سامي خونده بأن بيت الرصافي كان مقابل مسجد (الاله ابراهيم) وقد كانت الشموع توضع في شباك المسجد عند النذور. وما زال البيت كما هو وحوله النفايات والأوساخ تحوط من كل جانب ترمى من أصحاب الدور وأصحاب المطابع.



الأعلام الواردة في الكتابة(١)

هذا الجزء كتبه الأستاذ المحقق عبد المجيد حسيب القيسي

- القره غول: لفظة معناها «الحرس الأسود»، وهو اسم منطقة مشهورة في بغداد كان السلطان مراد الرابع حين فتح بغداد قد أسكن فيها حرسه الأسود، وكان مقدمة جيشه، فاكتسبت اسمهم. ولوقوعها في وسط عربي صرف فسرعان ما تسلل البغداديون إليها وسكنوها وصارت حياً عربياً خالصاً.
- وفي جنوب العراق، على نهر الغراف، الذي يتفرع من نهر دجلة قرب مدينة الكوت وينتهي بنهر الفرات، تسكن قبيلة عربية تدعى القراغول. ويقول الرصافي إنها بطن من شمر. وقد تكون كذلك، إلا أن سكناها قرب الناصرية وليس قرب الكوت كما يقول الأستاذ.
- مدرسة الرشدي عسكري: مدرسة حكومية نظامية تدرس اللغة التركية. وفي هذه المدرسة ترك الرصافي زيه الشعبي وارتدى الملابس الإفرنجية، أي السترة والبنطلون مع الطربوش الأحمر. وكان زيه الجديد هذا مثار افتخاره وأمه بين أبناء حيه. وهذا أول تغيير لملابسه.
- السيد محمود شكري الآلوسي: من كبار علماء العراق في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وأوسعهم أفقاً وأغزرهم

علماً وأكثرهم شهرة وذيوع صيت، له العديد من المؤلفات، تتلمذ عليه جمهور كبير من أهل العلم والفقه والأدب ومنهم الرصافي الذي حظي منه برعاية. توفي عام ١٩٥٤.

- عبد الوهاب النائب: عميد أسرة النائب التي ضمت عدداً من الفقهاء والعلماء والقضاة ورئيساً للطريقة النقشبندية في بغداد، وكان عالماً فقيهاً تخرج عليه عدد جم من علماء العراق ومنهم الرصافي الذي مدحه ورثاه.
- المشروطية - الدستور العثماني: بعد إعلان الدستور أصدر السيد مراد سليمان جريدة تصدر باللغة العربية اسمها «بغداد» تؤيد الحركة الدستورية الجديدة وحزب الاتحاد والترقي، وعهد إلى الرصافي برئاسة تحريرها.
- دامت إقامة الرصافي في الأستانة قرابة عشر سنوات متعاقبات كانت من أحلى أيام عمره وأفعلها بالأحداث الجسام، وبالتالي أكثرها أثراً في تكوينه الفكري والسياسي والاجتماعي فقد عرف فيها نزق الشباب ومجونه، ثم عرف فيها الحياة العائلية الوادعة واستقرار العواطف المتأججة، كما تمتع أثناءها بالشهرة والاحترام وبمركز اجتماعي مرموق.

رحل الرصافي إلى الأستانة في العهد العثماني مرتين: كانت الأولى عام ١٩٠٩ بعد إعلان المشروطية -أي الدستور العثماني- أشرف -وهو في بغداد- على تحرير جريدة «بغداد» الناطقة باسم حزب الاتحاد والترقي الحاكم في تركيا، وإنه حقق في عمله هذا نجاحات جذب إليه الأنظار إضافة إلى شهرته في العالم العربي شاعراً

مجيداً. وقد وصلت هذه الأنباء إلى السيد أحمد جودت، وهو صحفي تركي صاحب جريدة تصدر في الأستانة باللغة التركية اسمها «اقدام» ففكر في إصدار جريدة تنطق باللغة العربية يستميل بها العرب إلى جانب حزب الاتحاد والترقي واختار الرصافي، فلبى الرصافي الدعوة في الحال، واستقبله الشاعر الزهاوي في الأستانة وأنزله ضيفاً في داره.

لكن نكول السيد أحمد جودت عن تنفيذ مشروعه ترك الرصافي دون عمل ودون مال، فاضطر إلى ترك الأستانة إلى بغداد مروراً ببيروت، وفي بيروت احتفى به أدباؤها أجمل احتفاء، وأنزله الأديب والمؤرخ اللبناني المهجري السيد أمين الريحاني في داره مدة إقامته في بيروت، كما قام أدباء آخرون عام ١٩١٠ بطبع ديوانه (الطبعة الأولى)، ليستعين بأثمان بيعه على إتمام سفره إلى بغداد.

لكن ما إن وصل بغداد حتى تلقى دعوة جديدة للعودة إلى استنبول، وكانت الدعوة هذه المرة من السيد عبيد الله وهو نائب عن سورية في مجلس المبعوثان وصاحب جريدة «سبيل الإرشاد» التي تصدر باللغة العربية، والتي أراد تطويرها وإصدارها باسم «العرب» وعين الرصافي لهذا العمل فرحب الرصافي بالدعوة ولباها وبدأ عمله في الجريدة مع قيامه بتدريس الخطابة في معهد ديني يتبع وزارة الأوقاف لكن العمر لم يطل بالجريدة الجديدة فتوقفت عن الصدور، واقتصر الرصافي على التدريس فقط لكن أواصر الصداقة الحميمة ظلت تربط بين الرجلين.

وقد كان للسيد عبيد الله فضل كبير على الرصافي فقد أنزله ضيفاً عليه في داره وأخذ بيديه ليقود خطاه في دروب المجتمع العثماني.

فعرّف الرصافي على جماعة أقنعوه بالانتماء إلى المحفل الماسوني.
والماسونية حركة عولمة تجمع على مبادئها معتنقيها. وكانت وقت ذاك عملة شائقة رائجة يتهافت عليها الناس ويتهالكون على الانتماء إليها لا عن اعتقاد بها وإنما للتقرب بواسطتها إلى أولي الحكم في البلاد، فقد كانوا وقت ذاك من حزب الاتحاد والترقي.
وانساق الرصافي مع التيار وانتمى إلى الماسونية مماشاة لأصدقائه وعلى رأسهم عبيد الله الذي لا نستبعد أن يكون هو نفسه ماسونياً.
وعن طريق عبيد الله أو ربما الماسونية تعرّف الرصافي بطلعت باشا، وزير الداخلية، أنفذ الوزراء كلمة وأشدهم سطوة. وكان ماسونياً، وانتخب الرصافي، وهو قابع في دار عبيد الله في الأستانة نائباً في البرلمان عن منطقة المنتفك في العراق ولم يكن قد رآها في حياته.
وكان معه النائب عن الحجاز فيصل بن الحسين أمير مكة المكرمة، وثاني الثلاثة هو النائب على البصرة السيد طالب النقيب الذي حاول توريط الرصافي في العمل معه ضد تتويج الشريف فيصل لعرش العراق. والرجل الثالث هو عبد المحسن السعدون الذي كان نائباً في البرلمان وعن منطقة المنتفك أيضاً. ويتولى رئاسة الوزارة أربع مرات قبل أن ينهي حياته بالانتحار. وقد صار السعدون صديقاً للرصافي، وكان من أبرز من أعانوه على العيش الهانئ.
- بعد إعلان المشروطية في عام ١٩٠٨ قامت جماعات دينية بتأييد من السلطان عبد الحميد بانقلاب مضاد وحاولت فيه الاستيلاء على الحكم وإلغاء المشروطية إلا أن الجيش سارع بقمع هذه الحركة وقضى عليها. وعلى أثرها صار الجيش يعتبر كل من يرتدي اللباس الديني

متآمراً رجعياً ويتعرض للمضايقة كما حصل مع الرصافي في هذه القصة. ويستدل من تاريخ الحادثة عام ١٩٠٩، أن هذه القصة وقعت أثناء رحلته الأولى.

- الأوجاغ: هو موقد النار أو التنور.
- محمود شوكت باشا: هو ابن سليمان فائق وأخ غير شقيق للسادة حكمت وخالد ومراد أولاد سليمان وجميعهم من أصدقاء الرصافي، وقد قاد محمود شوكت باشا الانقلاب العسكري ضد السلطان عبد الحميد وخلعه وصار محمود شوكت باشا الصدر الأعظم، أي رئيس الوزراء، ثم اغتاله رفاقه العسكر.
- الزهاوي: هو الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي، وكان شاعراً صنو الرصافي كما كان مثله نائباً في البرلمان وقد اشتهر في سماء الأدب العراقي، وكانت العلاقة بينهما تتراوح بين الجفاء القاسي والود الظاهر.
- صالح الملي: أحد أفراد عائلة الملي المعروفة في بغداد، وهي عائلة كردية الأصل جاء عميدها إلى بغداد عاملاً في الشرطة واستقر بها وكوّن عائلة كبيرة تولى كثير من أفرادها مناصب إدارية شتى.
- بيك أوغلي أو بيرو: هي من أحياء الأستانة في الجانب الأوروبي منها طغت فيه الحياة الأوروبية، وكثرت فيه أماكن اللهو والطرب، زاره الرصافي وهو في زيه الديني بالعمامة والجبة، ووصفه وصفاً في مقطوعة مطلعها:

ذهبت لحي في فـــــروق تزاحــــــمت

به الخلق حتى قلت ما أكـثـر الخلقـا

يضيء به ثغر الحضارة باسماً
يلامع نور علَم السحب البرقا

ويمضي الشاعر في وصف النساء ودور اللهو وحانات الخمر والغانيات فيقول:

أوانس قد نادمن كل غرانق
فمنهن من تسقي ومنهن من تسقى

- ندرة مطران وزكي مغامس: من أهل لبنان، ويبدو أنهما كانا من المتقدمين في سلك الماسونية.
- طلعت باشا: من أكبر زعماء حزب الاتحاد والترقي في تركيا، وتولى وزارة الداخلية وكان أكثر زملائه سطوة ونفوذاً. ولكنه ترك البلاد بعد اندحار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وهاجر إلى أوروبا حيث اغتاله أحد الأرمن انتقاماً لبني قومه مما أوقعه بهم طلعت باشا من اضطهاد وتصفيات جسدية.
- عبيد الله: نائب عربي في البرلمان التركي وصاحب جريدة «سبيل الإرشاد» الذي تعاون مع الرصافي إلى تحويلها إلى جريدة «العرب» وقد ربطته بالرصافي صداقة متينة كان لها الأثر البارز في بروز الرصافي في المجتمع التركي.
- جمال الغزي: من أهل الشام كان ذا نفوذ في الأوساط السياسية التركية.
- لا ندري ما المقصود بالمختارية ولعله يريد الحكم اللامركزي الذي كان يدعو إليه بعض العرب أول الأمر.
- حكمت سليمان: من الساسة العراقيين المشهورين تولى الوزارة عدة مرات ورئاسة الوزارة مرة واحدة عام ١٩٣٦ ثم هجر السياسة إلى

إدارة أعماله الزراعية. وهو ابن سليمان بك فائق الذي يعتبر عميد المماليك في العراق في القرن الماضي. وقد ألف السيد سليمان فائق كتباً عن تاريخ المماليك وتاريخ بغداد وللسيد سليمان عدا السيد حكمت أولاد آخرون هم السيد محمود شوكت باشا وخالد ومراد. والأخير صاحب جريدة «بغداد» التي كان الرصافي يحررها. ولجميع أولاد سليمان فائق صلات وثقى بالرصافي، وعطف خاص، وله منهم معاش دائم.

- أخبار زواج الرصافي كأكثر أخبار حياته يعتورها الاضطراب والارتباك وينتابها التباين والاختلاف في التفاصيل. فالرصافي يقول في أحاديثه في هذه الورقة أنه تزوج فتاة من الأستانة اسمها «فاطمة» واستقر معها طيلة بقائه في الأستانة وسعد بحياته معها ولكنه اضطر بعد الهدنة إلى مغادرة تركيا والعودة إلى العراق مروراً ببيروت والقدس حيث ظل يرسل لها ما يتيسر له من النقود. وظل يفعل ذلك وهو في بغداد، كما يظهر من رسالة له إلى مستشار المعارف الذي طلب فيها إجازة للذهاب إلى استنبول والعودة بزوجته منها إلى بغداد. ليعود ويسكن معها في بيروت إن صحت أخبار عزمه على الهجرة إلى تركيا.

ولكنه بعد فترة وجيزة عاد إلى بغداد وانقطع الاتصال بينه وبينها، ثم علم أنها لجأت إلى القضاء لتطليقها منه لغيابه عنها غيبة طويلة.

ولكن بعض مؤرخي حياة الرصافي يروون القصة بشكل آخر وتفاصيل

مختلفة. فالأستاذ قاسم الخطاط في كتابه -مع رفيقيه مصطفى السحرتي ومحمد عبد المنعم خفاجي- والموسوم «معروف الرصافي شاعر العربية الكبير- القاهرة ١٩٧١ ينقل عن مصادر وثيقة الصلة بالأستاذ الشاعر (ص٥٩): إنه تزوج ثيباً من أزمير اسمها «بلقيس» وهي شقيقة طبيب تركي شهير اسمه «اكرك أمين بك».

ولا شك أن اسم «بلقيس» اسم شائع في تركيا عكس اسم فاطمة النادر استعماله في تلك البلاد، لكن هل تبيح لنا هذه الحقيقة أن نفترض أن الرصافي نسي اسم زوجه فاختلط عليه اسمها مع اسم أمه «فاطمة»؟

وينقل الأستاذ الخطاط عن الأستاذ «رفائيل بطي» أنه قال: إن الرصافي لم يطلق زوجته إلا عام ١٩٢٥، وهو في بغداد وأنه لم يقدم على هذا الطلاق كرهاً بامرأته بل لعجزه عن القيام بنفقات دار عائلية عليه أن يهيئها فيما لو جاء بامرأته من استنبول إلى بغداد ولعل هذا هو الأقرب للصحة.

ويقول الأستاذ قاسم الخطاط: إن الرصافي وصف وداعه لامرأته عندما غادر تركيا قائلاً:

تقول ابنة الأقوام وهي تلومني
وأدمعها رقراقة في المحاجر
إلى كم تجد البين عني مسافراً
أما تستلذ العيش غير مسافر
فقلت لها إني امرؤ لي لبانة
منوط مداها بالنجوم الزواهر

تعـــــودت ألا أســـــتنيم إلـى المنـى
وألا أرى إلا بـهـــــيـــــنـــــة ثـائـر
وإن أمــــضـى الـهـم الـذي هـو مـــقلقي
بطي الفـــيــافي أو بخــوض الدياجــر

ولكن ديوان الرصافي يقول إنه قال هذه القصيدة في «زحلة» في حفلة تكريم أقيمت له ولأمين الريحاني هناك عام ١٩٢٢.

ومما تجدر ملاحظته أن هذه القصيدة تنظر من قريب إلى قصيدة أبي نواس:

أجـــارة بيـــتنا أبـوك غـــيـــور
ومـيــســور مــا يرجى لديك عــســيــر

ومما يذكر في هذا الصدد أيضاً أنه طاف على أصدقائه يطلب منهم العون المادي للسفر إلى الأستانة ولقاء زوجه ومما قاله لأحدهم:

قــد عــاقني الإمــلاق عن ســفـرين إلى
من طال مــــعــــتلجــاً إليـــه حنيني
وأنـا المشـــوق ولست ممن شـــاقـــهم
بقـــر العـــذيب ولا مـــهـــا يبـــرين
لـكـن قـلـبـي لا يـزال يشـــوقـــه
ظـبـي أقـــام بـدار قـــســطـنـطـين

ودار قسطنطين: هي القسطنطينية وهو الاسم البيزنطي للأستانة.

- محمد كرد علي: من أدباء بلاد الشام البارزين ورئيس المجمع العلمي العربي في دمشق. وقد عرف بأبحاثه الواسعة في الأدب والتاريخ وبرفده المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات القيمة وأبرزها كتابه عن

خطط بلاد الشام.

السير هربرت صموئيل: كان الحاكم العسكري ثم المندوب السامي في فلسطين. وهو من عتاة الاستعماريين البريطانيين، وكان مع السير ونستن تشرشل واللورد بلفور صاحب الوعد المشؤوم والدكتور وايزمان رئيس الرابطة الصهيونية من أكبر واضعي الأسس الثابتة لقيام الوضع الصهيوني في فلسطين.

- فهمي المدرس: أديب ومثقف عراقي واسع الثقافة. عمل في التعليم الجامعي في الأستانة ثم جاء العراق وعمل كبيراً للأمناء في بلاط الملك فيصل الأول أول تأسيس المملكة العراقية. وكان من معارضي الوجود البريطاني في العراق فخاصم دار الاعتماد وخاصمته، كما خاصمه زملاؤه في البلاط، فاستغلت كل هذه الجهات هفوة ارتكبها السيد المدرس وتسببت في إخراجه من البلاط. (انظر عنه للدكتور يوسف عز الدين كتاب بعنوان فهمي المدرس طبع في القاهرة وبغداد فيه تفصيل وافٍ عنه).
- رؤوف الجادرجي: عميد عائلة مملوكية استقرت بالعراق منذ ثلاثمئة عام وتولى عدد من أفرادها وظائف مهمة في البلاد. كان أبوه رفعت الجادرجي رئيساً لبلدية بغداد وهو أخ غير شقيق للسيد كامل الجادرجي السياسي العراقي الشهير. وقد عرف السيد رؤوف بالثقافة الرفيعة والمعرفة الواسعة والخلق الراقي. تولى الوزارة مرتين ثم ترك السياسة وظل محتفظاً بصداقة الجميع واحترامهم.
- السير ونستن شرشل: هو السياسي البريطاني الشهير، وقد كان وقت ذاك وزير المستعمرات فجاء القاهرة لحضور المؤتمر الذي قرر مستقبل

الوضع السياسي في العراق في شهر آذار ١٩٢١.

- السير برسي كوكس: عسكري وسياسي بريطاني ومن أشهر رجال حكومة الهند. عين حاكماً عسكرياً في العراق حتى عام ١٩٢٣ وإليه يعزى إجهاض الدعوة إلى النظام الجمهوري في العراق، وكان له ولسكرتيرته المس بيل اليد الطولى في تأسيس الحكم الملكي في العراق.
- المس بيل: سيدة بريطانية أرستقراطية النشأة، كانت أول فتاة بريطانية تخرجت في جامعة أوكسفورد حيث درست فيها التاريخ والآثار واستهواها سحر الشرق فطافت بلدانه بحثاً عن الآثار حيث كتبت عنها كتباً عدة. وكسبت منها خبرة واسعة فعينت سكرتيرة للسير برسي كوكس في العراق، فعملا معاً في التمهيد لقيام الحكم الملكي في العراق حتى سمّاها العراقيون «الكوكسة» أي مؤنث كوكس لشدة ارتباطهما في العمل. كما عرفت بين الخاصة باسم «الخاتون» وهي التي أسست مديرية الآثار العامة وتولت إدارتها وأسست المتحف العراقي. توفيت في بغداد ودفنت فيها عام ١٩٢٦.
- جعفر العسكري: عسكري وسياسي عراقي تولى رئاسة الوزارة أكثر من مرة وهو مؤسس الجيش العراقي الذي اغتاله عام ١٩٣٦.
- السير ساسون حسقيل: شخصية يهودية عراقية برزت في عالم المال والاقتصاد، تولى وزارة المالية في العراق أول أيام تأسيس المملكة العراقية، وكان له الفضل في تقرير مبدأ الذهب في احتساب حصة العراق من واردات النفط.
- عبد اللطيف المنديل: من أعيان مدينة البصرة وكان (محافظاً) للبصرة، وتولى الوزارة بعد ذلك عدة مرات، وكان من أصدقاء

الرصافي وممن يرفدونه بالعون وقد ذكره الرصافي أكثر من مرة في أشعاره.

- طالب باشا النقيب: من زعماء البصرة السياسيين غريب الأطوار، شديد الفتك بخصومه. تولى وزارة الداخلية ودفعه طموحه إلى منافسة الملك فيصل على عرش العراق يساعده في ذلك مستشار وزارة الداخلية المستر فلبي (الحاج عبد الله فلبي بعد ذلك) متحدين السير كوكس والمس بيل مما دفعهما إلى اعتقاله ونفيه إلى الهند ولم يعد إلى العراق إلا قبل وفاته عام ١٩٢٧ بقليل.
- محمود النقيب: هو الابن الأكبر للسيد عبد الرحمن النقيب أول رئيس وزراء في العراق. وكان السيد محمود يطمح إلى تولي عرش العراق وقد اتعظ بنهاية طالب باشا فتطامن طموحه وأنشأ حزباً سياسياً سمّاه «الحزب العراقي الحر» سرعان ما أغلقته السلطة فأنهى بغلقه السيد محمود حياته السياسية. وقد هجا الرصافي هذا الحزب بمقطوعة شعرية مطلعها:

قولوا لحزب تسمى الحر معتدلا

هل أنت من بعد نفي القول معتدل

- نوري السعيد: هو السياسي العراقي الشهير.
- الحاج رمزي: من وجوه بغداد تولى الوزارة مرتين مع السيد عبد الرحمن النقيب ولم يترك أثراً في ميدان السياسة.
- كان المندوب السامي وقت ذاك هو السير برسي كوكس وكان هنري دوبس مساعداً له ثم حل محله حين نقل الأول من بغداد عام ١٩٢٣.
- لم يكن السيد الخالدي وزيراً للداخلية وإنما كان وزيراً للعدلية في

وزارة النقيب الثالثة والأخيرة، وكان وزير الداخلية فيها السيد عبد المحسن السعدون، ولم تعمّر هذه الوزارة غير أشهر قليلة وخلفتها وزارة السعدون الأولى، وكان السيد الخالدي قبل توليه الوزارة متصرفاً للواء بغداد. وقد اغتيل يوم ١٩٢٤/٤/٢٣ بعد عودته من حفلة شاي أقامها للسير هنري دوبس في مزرعته في الحارثية ولعل لما شاع عن ميوله إلى النظام الجمهوري صلة ما بالحادث.

- لا بد أن علاقة الرصافي بالمس بيل بدأت منذ سفرته والوفد العراقي بالباخرة من السويس إلى بغداد وهذا ما شجعه على طلب مساعدتها لإيجاد وظيفة له لأنها كانت صاحبة الكلمة النافذة في البلاد، لكن الرصافي ليس ممن يطيل أمد الصداقات أو يستغلها لمصلحته، فسرعان ما أغضب المس بيل وخسر صداقتها، ذلك أن السيد أمين الريحاني زار العراق في شهر أيلول من عام ١٩٢٢ فأقيمت حفلة للاحتفاء به ألقى الرصافي -وهو موظف في وزارة المعارف- قصيدته اللامية الشهيرة، وهي قصيدة طويلة في الشكوى من الأوضاع في العراق ولم تخل من التنديد بالملك وبالإنكليز وأشهر ما جاء فيها قوله:

من أين يرجى للعراق تقدم
وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف عند
جبانه، والمال عند بخيله
والرأي عند طريده والعلم عند
جهوله والحكم عند دخيله

وقد غضبت المس بيل واعتبرت القصيدة تحريضاً للشعب العراقي على التمرد والعصيان، وعلى عادة الرصافي بالدفاع عن نفسه وتبرير أعماله بعد التورط فيها فقد أرسل لها رسالة يذكر فيها أنه مواطن عراقي وأنه حر ومن حقه أن يبدي رأيه في الأوضاع العامة لبلده، وقد أجابته المس بيل جواباً مقتضباً لا يخلو من الجفاء والتوجيه الشديد وهذا نصه:

إلى حضرة الفاضل الأديب معروف أفندي الرصافي المحترم

بعد التحية وجزيل الاحترام

جواباً على كتابكم لي أود أن أوضح لكم أني في اعتقادي شخصياً أن كل فرد له الحرية في التمسك بأي آراء سياسية حسبما يراه موافقاً له ولكن هناك حدود للطريقة التي تعبر بها تلك الآراء ويجب ألا تتعداها. هذا ما لزم ودمتم.

المس بيل

السكرتيرة الشرقية لفخامة المندوب السامي في بغداد

٣٠/أيلول/١٩٢٢.

(كتاب رسائل الرصافي/ لعبد الحميد الرشودي ص٤٠)

ثم إن المس بيل لم تذكر الرصافي في رسائلها الكثيرة والمرسلة إلى أهلها وأصدقائها.

- المستر فلبي: من رجال الحكم البريطاني في العراق. كان مستشاراً لوزير الداخلية السيد طالب باشا النقيب، فلما نفي السيد طالب النقيب أخرج المستر فيلبي من العراق وذهب إلى خدمة الملك عبد العزيز آل سعود وهناك اعتنق الإسلام ولقب بالحاج عبد الله فلبي.

- عبد العزيز المظفر: من الشخصيات القلقة، كان ذكياً واسع الطموح ويتصل بالمصاهرة مع آل السويدي وآل السعدون. عمل مع الإنكليز في وزارة الداخلية وتدرج فيها إلى أعلى المناصب ثم انتقل منها إلى وزارة الخارجية حيث رأس بعض الهيئات الدبلوماسية العراقية في الخارج قبل أن يحال إلى التقاعد وينصرف إلى التجارة في أربعينيات القرن العشرين.
- يذكر الرصافي أنه عين نائب رئيس لجنة التأليف والترجمة براتب ٤٠٠ روبية في كتاب «رسائل الرصافي» للسيد عبد الحميد الرشودي (ص٣٢) رسالة من الرصافي إلى ناظر المعارف المستر سميث مؤرخة في ١٩٢١/٦/٦ يستهلها بقوله:

«تلقيت تبليغكم السامي في خصوص تعييني بوظيفة مراقب تدريسات اللغة العربية في المدارس براتب مقداره ستمئة روبية شهرياً.»

ثم يشكو مر الشكوى من قلة الراتب ويطلب زيادته إلى ألف روبية. المهم هنا وجود الاختلاف في ما يقوله الرصافي في حديثه هذا وبين ما هو موثق في رسالة منه إلى مفتش المعارف، وسنرى فيما سيلي من أحاديث الرصافي الكثير من التباين والتناقض في سرده لسيرة حياته الوظيفية فسنراه تارة يقول إنه ظل في الوظيفة ست سنوات، ثم يعود فيقول أنه استقال بسبب مضايقة الملك فيصل له، ثم يعود فيقول أن الملك أمر بإعادة تعيينه، وكذلك الحال في أمر هجراته فهي إلى الهند تارة وإلى تركيا تارة أخرى.
- ساطع الحصري: مفكر عربي قومي وعالم اجتماعي ورجل تربية وتعليم. أصله من حلب في سورية، ولكونه من رجال التربية والتعليم

فقد وصل في حدود مهنته إلى أعلى المناصب في تركيا. التحق بالثورة العربية في الحجاز ورافق الملك فيصل إلى سورية حيث صار وزيراً للمعارف فيها. ثم نزح إلى العراق حيث عين مديراً عاماً للمعارف والتعليم وعهد إليه بتأسيس المؤسسة التعليمية في العراق فبذل جهداً مذكوراً ومشهوداً ومشكوراً في إقامة مؤسسة التعليم على أسس علمية عصرية. فقد عمل على بث الأفكار القومية والدعوة إلى الوحدة العربية وإلى تبني الأفكار العسكرية وإلى ظهور أكثر من بسمارك وورطوا العراق بأحداث انتهت به إلى ما هو عليه الآن في القرن ٢١.

وقد جرته رواسب الفكر العثماني في الحكم والإدارة كما جره جهله بتركيبة المجتمع العراقي وتاريخه إلى الشك في عروبة الفئة الغالبة من سكان العراق لمجرد عدم حصولهم على الجنسية العثمانية أيام الحكم العثماني مما أدى إلى إثارة رواسب تاريخية فإلى شقاق في البيئة الاجتماعية العراقية.

وكان طبيعياً أن يميل الحصري إلى النازية أثناء الحرب العالمية الثانية وأن يؤيد حركة عام ١٩٤١ ضد الإنكليز فسحبت منه الجنسية العراقية وغادر العراق ولم يعد إليه إلا بعد زوال الحكم الهاشمي الذي جاء به إلى العراق أول مرة.

رحم الله الحصري فقد نفع العراق بقدر ما أضر به.

- كتاب «رسائل الرصافي» الذي نشره الأستاذ عبد الحميد الرشودي (بيروت ١٩٥٤) يتضمن مسألة تكشف عن نقاش طويل حول هذه الإجازة وراتبها بين الرصافي وبين المستر سميث مستشار وزارة المعارف فقد طلب الرصافي إجازة أمدها ثلاثة شهور مع تسليفه

مقدماً راتب الإجازة، لكن المستشار استكثر مدة الإجازة ورفض منح السلفة، فرد عليه الرصافي بأن طول المدة سببه عزمه على السفر إلى الأستانة لجلب زوجته إلى بغداد، واعترف أنه كان يبعث بنصف راتبه في كل شهر إليها وبصرف النظر عن الجدل الرسمي فإن هذه الرسالة تكشف للمؤرخ أمرين أولهما: أن الرصافي لم يكن يزمع الهجرة وإنما يريد السفر إلى الأستانة للعودة بزوجه منها إلى بغداد ولهذا الأمر كان قد طلب من الوزارة سلفة مالية أي قرضاً يستقطع من راتبه. وسنرى بعد حين حديثاً آخر يناقض هذا الحديث. قد يكون لإزماع الرصافي على الهجرة علاقة بما سبق أن ذكرناه عن علاقته بالمس بيل، وقد نظم عند وصوله بيروت قصيدته (النونية) -بعد النزوح- التي امتزج فيها بالفخر الصارخ بالشكوى الصارخة بالكبرياء الشامخة بالنيل من الإنكليز ومن الملك فيصل ومطلعها:

هي المواطن أدنيها فتقصيني
من الحوادث أبلوها فتبليني
قد طال شكواي من دهر أكابده
أما أصادف حراً فيه يشكيني

ومنها، وفيها إشارة إلى الملك فيصل:

أنا ابن دجلة معروف بها أدبي
وإن يك الماء فيها ليس يرويني
قد كنت بلبلها الغريد أنشدها
أشجى الأناشيد في أشجى التلاحين

عـــاهدت نفـــسي والأيام شـــاهدة
ألا أقـــر على جـــور الســـلاطين
فـــلا أعـــاشـــر كـــذاباً ولو ملكاً
ولا أخـــالط إخـــوان الشـــيـــاطين

- سليمان نظيف: آخر الولاة العثمانيين على بغداد، تركها إثر زحف الجيوش البريطانية إليها. وكان رجلاً أديباً في لغته التركية.
- عبد المحسن السعدون: سياسي عراقي شهير، تولى الوزارة أربع مرات في عشرينيات القرن العشرين قبل أن ينهي حياته بالانتحار في ١٩٢٩/١١/١٣.
- نستطيع أن نلخص الحياة الوظيفية للرصافي بأنه تعين في وزارة المعارف أول مرة بتوصية من المس بيل بوظيفة ثانوية وبراتب ضئيل فلم يلبث فيها إلا سنة وبعض السنة حتى طلب الإجازة للسفر إلى تركيا بغية اصطحاب زوجته إلى بغداد. وكما رأينا أنه يدعي أنه استقال من هذه الوظيفة بسبب مضايقات الملك فيصل وزعم أنه سيهجر العراق إلى تركيا (أو الهند) ولكنه استقر في بيروت، ومنها استدعاه السيد عبد المحسن السعدون. وفي ظننا أن دافع السعدون لعمله هذا هو رغبته في الانتفاع من الرصافي لإصدار جريدة تؤيد السعدون في الحملة الانتخابية للمجلس التأسيسي ولسبب ما، عدل السعدون عن فكرته هذه ولكنه منح الرصافي رخصة إصدار جريدة يومية باسم «الأمل» استغلها الرصافي لترشيح نفسه لعضوية المجلس التأسيسي مع التأييد لآراء السعدون نفسه. ولما أخفق في الانتخابات أغلق الجريدة فأعيد تعيينه عام ١٩٢٣ أو ١٩٢٤ في وزارة المعارف حيث ظل في هذه الوظيفة ست أو سبع سنين ثم استقال

منها ودخل مجلس النواب عام ١٩٣٠.

- إبراهيم حلمي العمر: صحافي عراقي كان يصدر جريدة «المؤيد» ثم ترك الصحافة ليعمل موظفاً في دائرة المطبوعات التي كان من مهامها مراقبة الصحف.
- إبراهيم صالح شكر: أديب وصحافي أصدر جريدة «الزمان» اشتهر بمقالاته الوطنية النقدية لرجال السياسة. ثم ترك الصحافة للعمل الإداري فعين قائمقاماً لعدة أقضية منها قضاء الفلوجة الذي كان الرصافي يسكنه. ثم عزل من الوظيفة عام ١٩٤١ لممالأته لأحداث ١٩٤١ وفي أخريات أيامه عينه نوري السعيد مديراً للمكتبة العامة في بغداد. خاصمه الرصافي خصاماً عنيفاً دونما مبرر واضح كشأن الرصافي مع أكثر خصوماته.

يرجى مراجعة كتاب الدكتور يوسف عز الدين إبراهيم صالح شكر وبواكير النثر الحديث في العراق المطبوع في معهد البحوث والدراسات.

- لم يكن الغرض من إصدار جريدة الأمل مجرد مساعدة إبراهيم حلمي العمر، كما يقول الرصافي في حديثه بل الواقع أن الرصافي عند عودته إلى بغداد تلبية لدعوة رئيس الوزراء السيد عبد المحسن السعدون اعتزم بتشجيع من رئيس الوزراء ترشيح نفسه إلى عضوية المجلس التأسيسي الذي عهد إليه بصياغة دستور البلاد، ولذا أصدر جريدة الأمل لتكون أداة لنشر وإيصال آرائه وأفكاره إلى الرأي العام، ولكن كان إرضاء الإنكليز هو الطريق الممهد للفوز بالنيابة، ولم يتردد الرصافي عن ذلك، وأظهرت مقالات جريدته -وكان محررها الأول- تجاوباً ملحوظاً مع الآراء البريطانية.

صدرت جريدة الأمل في ١٩٢٣/١٢/٢٣ وصدر منها ٨٣ عدداً ثم

توقفت عن الصدور بعد إخفاق الرصافي بالفوز بالمقعد النيابي وإخفاق السعدون في إصلاح ذات البين بينه وبين الملك فيصل وبالتالي بإقناع الملك قبول ترشيحه.

- من الحقائق المسلم بها أن نيل النيابة في العهد الملكي في العراق لم يكن -إلا في ما ندر- أمر ترشيح وانتخاب وإنما كان مجرد تعيين حكومي لأنصار الحكومة القائمة في مجلس النواب.

وأول مرة نجح الرصافي فيها بالفوز بالنيابة عن مدينة بغداد كانت عام ١٩٣٠ وفي عهد وزارة نوري السعيد الأولى، ولكن الأستاذ نجدة فتحي صفوت في مقدمته في تحقيقه كتاب «خواطر وأفكار الرصافي» يقول: إن الرصافي انتخب ثانياً عن لواء العمارة في انتخابات عام ١٩٢٨ في عهد وزارة السعدون الثانية (الأصح الثالثة ص٣١) ويذهب إلى هذا الرأي أيضاً الأستاذ قاسم الخطاط (في صفحة ١٤٠) من كتابه «معروف الرصافي»، ولكننا لم نجد له أصلاً في ما رجعنا إليه من كتب التاريخ. فقد رجعنا إلى كتاب تاريخ الوزارات العراقية لمؤلفه الأستاذ عبد الرزاق الحسني الذي عدد أسماء النواب الناجحين في هذه الدورة. ولم يكن من بينها اسم الرصافي (ص٧٤ ج٣ ط٧) كما تكرر ذلك في (الصفحة ٢٨٤ ج١٠ ط٧) من الكتاب نفسه.

ويمكن تلخيص حياة الرصافي البرلمانية كما يلي:

١- انتخب نائباً عن لواء بغداد عام ١٩٣٠ في وزارة نوري السعيد الأولى (الدورة الانتخابية الثالثة).

٢- أعيد انتخابه عن لواء الدليم في وزارة ياسين الهاشمي الثانية

عام ١٩٣٥ (الدورة الانتخابية السادسة).

٣- أعيد انتخابه عن لواء الدليم عام ١٩٣٧ في وزارة حكمت سليمان (الدورة الانتخابية السابعة).

٤- انتخب عن لواء الدليم للمرة الثالثة والأخيرة في وزارة جميل المدفعي الرابعة عام ٣٧ (الدورة الانتخابية الثامنة).

ومن الواضح أن سبب انتخابه في المرات الثلاث الأولى هو صلاته الوثقى برؤساء وزارات تلك العهود، وهم نوري السعيد وياسين الهاشمي وحكمت سليمان، إلا أننا لم نتبين ما وراء انتخابه للمرة الرابعة. في عهد وزارة جميل المدفعي الذي لا يحمل له الرصافي إلا المقت والتشهير.

- ياسين الهاشمي: سياسي عراقي تولى الوزارة عدة مرات، ورئاستها مرتين فقط. كانت الأولى عام ١٩٢٣ والثانية عام ١٩٣٥. وقد أسقط الثانية انقلاب عسكري قام به اللواء بكر صدقي -من ضباط الجيش- وكان هذا أول انقلاب عسكري في البلاد العربية قاطبة.

- الهاشمي: لم يكن الهاشمي، ولا أي واحد من ساسة العراق الآخرين صنائع للإنكليز، وإنما كانوا -ياسين ونوري وغيرهما- يصانعون الإنكليز ويتقربون إليهم لينالوا حظوتهم بمناصب الحكم، ولخدمة العراق عن هذا الطريق. ولم يكن الهاشمي استثناء من هذه الواقعة بل كان تأكيداً لها، ونقطة اختلافه عن زملائه أنه كان داهية ماكراً طموحاً استطاع -كما يقول الرصافي- أن يوهم الناس بزعامته الوطنية وبعدائه للإنكليز.

وأول ظهور للهاشمي في شعر الرصافي كان في عام ١٩٢٠ حين

التقاه في الشام، فلما غادر الرصافي الأستانة في نهاية الحرب العالمية الأولى عرج، في طريقه إلى بغداد، على الشام وفي ظنه أنه لشاعريته وشهرته سيجد ترحيباً حاراً به وأبواب المناصب مفتوحة أمامه. ولكن شاعريته وشهرته جلبتا له عكس ما كان يتوقع، فقد كان الجالس على رأس الحكم العربي في الشام هو الملك فيصل بن الحسين نجل الشريف حسين مفجر الثورة العربية ضد الأتراك وقائد الجيوش العربية لفتح الشام. وكان الرصافي قد أقذع في شتم الحسين وأبنائه ورجال الثورة وهم رجال الحكم وقت ذاك في سورية فكان من الطبيعي ألا يجد ما يطمح إليه.

وزاد الطين بلة أنه جنح في عواطفه نحو ياسين الهاشمي وكان رئيس أركان الجيش السوري، لكن ولاءه للحكم العربي القائم مشكوك فيه، إذ كان الهاشمي قائد القوات التركية المدافعة عن الشام ضد الزحف العربي بقيادة فيصل ورجاله وسرعان ما انفجرت الشكوك وشاع خبر مؤامرة كان يدبرها ياسين لمصلحة الحكم الجديد في تركيا فقبض عليه ونفي إلى الرملة في فلسطين، فقال الرصافي فيه ربما أغاظه الملك، أبيات ملئت بالصنعة الظاهرة والمبالغة المضحكة والادعاء الكاذب لتغطي عاطفة باهتة وتكلفاً واضحاً ومنها:

ياسين إنك بالقلوب مشبع
أفأنت الوطن العزيز موزع
أوليس يدري آخذونك بأنهم
هاجوا بمأخذك للخطوب وزعزعوا

ثم عاد الرصافي إلى القدس واستقر بها حيناً من الزمان. أما الهاشمي

فلما صار الملك فيصل ملكاً على العراق وبعد سقوط ملكه في سورية، سمح بعد لأي وتردد -للهاشمي بالعودة إلى العراق وعينه متصرفاً- محافظاً- للواء المنتفك فلم يرضه المنصب، وجاء المس بيل في بغداد، مطالباً بالوزارة، فعينته وزيراً، وصار وزيراً عدة مرات ثم رئيساً للوزارة. وفي وزارته هذه أبرمت اتفاقية النفط مع الشركات البريطانية. ورغم إعجاب الرصافي بذكاء الهاشمي ودهائه فقد كان منكراً لسلوكه السياسي فقال حين تولى الوزارة أول مرة:

فلو كان ياسين نصيحاً ومخلصاً
لكان له شأن على الدهر يذكر
ولكنه مستهتر بذكائه
فحرصاً على الدين يكيد ويمكر

ولم يستقم الأمر بين الرجلين بعد ذاك، ولعل خشية الهاشمي من لسان الرصافي وهجائه دفعته إلى اختياره نائباً في وزارته الثانية، ومع هذا فلما أسقط الانقلاب العسكري وزارته واضطر ووزراؤه إلى مغادرة العراق نظم فيهم الرصافي شامتاً أبياتاً منها:

كانوا كأسد الشرى بنا
وأصبحوا كالنعم النافرة
فواحد صار إلى ربه
ولاذ من دنياه بالآخرة
وواحد يصحبه أهله
طارت إلى مصر بهم طائرة
واثنان سارا في طريق معاً
إلى حمى سورية العامرة

الأول هو جعفر العسكري والثاني نوري السعيد، أما الاثنان الآخران فهما الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني.

- طه الهاشمي: من مؤسسي الجيش العراقي، تولى رئاسة أركان الجيش في عام ١٩٣٥ إذ طوح الانقلاب العسكري الذي قاده معاونه اللواء بكر صدقي وأطاح بوزارة شقيقه ياسين الهاشمي.
أراد طه أن يشغل مكان أخيه في السياسة العراقية فتعد به عن النجاح بها استقامة طبعه. تولى الوزارة مرتين ورئاسة الوزارة مرة واحدة ولمدة شهرين من ١/٢ إلى ١٩٤١/٤/١ في ظروف سياسية صعبة.
- رضا الشبيبي: هو الأستاذ محمد رضا الشبيبي الأديب والشاعر والسياسي المعروف وهو أشهر من أن يعرّف، وقد ترجم له الدكتور يوسف عز الدين ترجمة موثوقة في كتابه شعراء العراق في القرن العشرين.
- حسن السهيل: شيخ مشايخ بني تميم، وكان يلقب نفسه أو يلقبه أصحابه ساخرين بلقب الأمير، وكان -كما يقول الرصافي- من أنصار الإنكليز.
- أوستن: من رجال القضاء البريطانيين تولى الإدارة العامة لأعمال التسوية لحقوق الأراضي أول إنشائها ولم يعرف عنه العمل في الاستخبارات.
- عبد الله المظفر: موظف إداري عرف بالنزاهة وطيبة الخلق وهو من عائلة كبيرة معروفة في الحلة.
- محمود السنوي: من رجال بغداد المعروفين. عمل في الإدارة، وكان صديقاً حميماً للرصافي. وقد توسط لدى نوري السعيد لمنح الرصافي

مساعدات مالية، وقد ائتمنه الرصافي على وصيته التي أوصاه ألا يعلنها إلا ساعة دفنه.

- رشيد عالي الكيلاني: سياسي عراقي تولى رئاسة الوزارة أربع مرات. كان رفيق ياسين الهاشمي السبب في إسقاط وزارته. كان الرصافي يبغضه ويزدريه، وقد نظم في هجائه أبياتاً مقذعة لم يضمها ديوانه. وكان الكيلاني يبادل الرصافي العداء والبغضاء.
- خيري الهنداوي: شاعر وأديب، تولى وظائف إدارية مهمة، وكان من أكثر أصدقاء الرصافي التصاقاً به، يشاركه مجالس الأنس والشراب، وكان رجلاً خيّراً طيب السيرة. وقد ألقى الدكتور يوسف عز الدين عدداً من المحاضرات عنه في معهد الدراسات والبحوث العربية وأعيد طبعها في بغداد (خيري الهنداوي، حياته وديوان شعره).
- هاشم العلوي: من عائلة حجازية الأصل هاجرت إلى العراق، تولى منصب متصرفية لواء بغداد ثم مديرية الشرطة العامة، وقد انتحر في ظروف ولأسباب غامضة وهو وسط عائلته وهم في طريقهم إلى سورية.
- عبد العزيز عريم: من وجوه أهل الفلوجة وقد استضاف آل عريم الرصافي مدة إقامته في الفلوجة.
- السيد جميل المدفعي: سياسي عراقي بارز شكل الوزارة ست أو سبع مرات، وكان رجلاً حسن الخلق، طيب السمعة.
- أرض أبي غريب: لنا تحفظ كبير على أقوال الرصافي عن الأرض ذلك أن «أبو غريب» تتبع قضاء الكاظمية في لواء بغداد إدارياً، ولا شأن لمتصرفية لواء الرمادي بها. ويبدو من سيرة الحديث أن متصرفية لواء الدليم خصصت له أرضاً أيام وزارة الهاشمي ولكنه لم يتابع

أمرها. فلما خلفت وزارة حكمت سليمان وزارة الهاشمي أحيت القضية من جديد عن طريق متصرفية بغداد، ولكن جميل المدفعي شطب القضية حين خلفت وزارته وزارة حكمت سليمان. وكان الرصافي عضواً في مجلس النواب أيضاً. فالثابت أن الرصافي منح قطعة أرض في أبو غريب مساحتها ليست خمسين دونماً وإنما ألف دونم ولكنه أهمل استلامها، وهذا نص قرار التخصيص منقولاً عن الدكتور يوسف عز الدين (في الأدب العربي الحديث):

«.. زودني الأستاذ عبد المجيد حسيب القيسي بنص رسالة متصرفية لواء بغداد المرقمة ٥١٤٦ في ١٩٣٨/٩/٣ (وزارة المدفعي الرابعة) وهي:

إلى الأستاذ معروف الرصافي

قررت اللجنة في جلستها المنعقدة في ١٩٣٨/٨/٢١ تخصيص قطعة أرض في أبي غريب للأستاذ معروف الرصافي تبلغ مساحتها ألف دونم وذلك بالنظر إلى مكانة الأستاذ الرصافي المشار إليه الأدبية والاجتماعية، ونظراً للخدمة التي أداها للعراق».

وقد وقع الخطاب كل من رئيس اللجنة السيد أحمد زكي الخياط والأعضاء: أمين خالص، وديجيرون و ويلهامس. ويلاحظ أن الأخيرين بريطانيان، أحدهما مستشار في وزارة الداخلية والآخر في وزارة العدل. كما يلاحظ أن الإجراء تم في وزارة جميل المدفعي نفسها.

- باقر الشبيبي: شاعر سياسي اشتهر بقصائده الوطنية النارية وهو صاحب البيت ذائع الصيت، الذي ذهب مذهب الأمثال وهو:

المستشار هو الذي شرب الطلا

فعلام يا هذا الوزير تعربد

وهو تعبير أدبي رقيق لما أراده الرصافي في قوله مخاطباً الوزير أيضاً:

أراك بحمام الوزارة نورة

أما جناب المستشار فزرنيخ

- طه الراوي: الأستاذ طه الراوي أبو هاشم الأديب المعروف، فطه الراوي كان رجلاً فاضلاً بعيداً عن السياسة، وهو أفضل وأجل من أن ينزل إلى مستوى التجسس. وكان صديقاً حميماً للرصافي، وقد تبادلا القصائد والرسائل، وكان الراوي أحد ثلاثة أو أربعة سمح لهم الرصافي باستنساخ كتابه الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس. أما بديوي هذا فلم نسمع بهذا الاسم من قبل.
- السير جيلبرت كلايتون: المندوب السامي البريطاني في العراق وقد خلف السير هنري دوبس الذي سحبته حكومته لخلافه مع الملك فيصل. وكلايتون هذا كان مدير المكتب العربي الذي أسسته بريطانيا في القاهرة أثناء الحرب العالمية الأولى وعمل تحت امرته كثيرون من الضباط المستعربين أمثال لورانس العرب وهوجارت وغيرهما، وكان ميالاً إلى مساعدة العراق ولكن لم يتهيأ له ذلك لوفاته في بغداد بعد وصوله إليها بأمد قصير.
- انتحار السعدون: الرجل كان بدوي الصفات، ومن غزَّة آل السعدون الذين عرفوا بالشمم والكبرياء والاعتزاز بالنفس وهي أمور معروفة عنهم في وسط العراق وجنوبه. وقد تعرَّض السعدون إلى حملة قاسية

في البرلمان قادها النائب الكردي معروف جياوك الذي أصبح قاضياً في محاكم العراق بعد ذاك. اتهم السعدون فيها بخيانة الوطن، يؤيد ذلك ما جاء في وصيته قوله: «يتهمونني بالخيانة وأنا...» وقيل إن رشيد عالي الكيلاني كان وراء هذه الحملة. ومن جهة ثانية فلم تكن الحياة العائلية داخل داره بالحياة الهانئة السعيدة فزوجه تركية تتصف بأقسى ما تتصف به النسوة التركيات من السيطرة والتقتير. وهو البدوي المضياف. وكان يريد في ذلك المساء دعوة المندوب السامي إلى تناول الشاي في داره فمانعت زوجه ذلك ونشب بينهما نزاع شديد ولذلك أوصى ابنه أن يعتني بأمه أي أن لا يلومها وذهب في المساء إلى النادي فثار هناك جدل سياسي من جديد فعاد إلى البيت مرهقاً منهار الأعصاب فأقدم على الانتحار بتصميم وشجاعة، إذ إنه كتب وصيته باللغة العربية مرتين، وإذ لم يستطع التعبير بها عما يريد مزق الورقتين وكتبها بالتركية.

وقيل إن امرأته شاهدته وهو يحاول الانتحار فحاولت منعه فدفعها وأطلق النار على رأسه.

- الشيخ مطلك: أحد المتطفلين على الموائد الذين يعج بهم المجتمع العراقي، والروزخون، وهو رجل مهمته قراءة مقتل الحسين في الروضة الحسينية. واللفظة فارسية الروزة: هي الروضة، والخون معناها التلاوة أو ما أشبه.

- كوك نزر: حي قديم في بغداد ساءت سمعته بسكن بعض بائعات الهوى في دوره. وقد أزيل هذا الحي في منتصف القرن العشرين وحولت أرضه إلى حدائق وميادين وهو اسم محرف من اسم محرف

كيورك نزاريتا أو نزاريتان أو نزران وصحف إلى كوك نزر. كان له مكانة لصلته بالوزير أحمد باشا وصداقته بسليمان باشا أو ليلة فقد كان السلحدار حتى سميت المحلة باسمه وأراد نزاريت أن تكون للأرض كنيسة فاشترى كنيسة النساطرة شبه الخالية وسمي العقد باسم الكنيسة.

- فخري جميل: عميد عائلة آل جميل زادة العريقة ببغداد رغم أصلها السوري البعيد، مارس السياسة واستوزر مرة ثم صار رئيساً لمجلس النواب، ثم اعتزل العمل السياسي وانصرف إلى إدارة أملاكه وأعماله الخاصة.

كان الجميل من أصدقاء الرصافي وممن يلجؤون إليهم عند الضنك والعوز، ولما أراد الرصافي السفر إلى الأستانة للإتيان بزوجته إلى العراق ورفض مستشار وزارة المعارف تسليفه رواتبه مقدماً لهذا الغرض بعث إلى السيد فخري الجميل بقصيدة طويلة يطلب منه العون والمساعدة، ومما قاله فيها:

يا ابن الأماجد قد دعوتك ظامئاً
ظمأ الحياة فجد بما يرويني
قد عاقني الإملاق عن سفري إلى
من طال معتلجاً إليه حنيني
وأنا المشوق ولست ممن شاقهم
بقر العذيب ولا مها بيرين
لكن قلبي لايزال يشوقه
ظبي أقام بدار قسطنطين

فـــارش جناحي كي أطيـــر بريشـــه

فـــيكون ظني في نداك يقـــيني

- علي عبد الرازق: هو من علماء مصر وسليل عائلة معروفة أنكر في كتابه «الخلافة ونظام الحكم في الإسلام» كون الخلافة نظاماً إسلامياً إذ لم يرد لها ذكر في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف.
- علي محمود الشيخ علي: من رجال القانون ومن العاملين في حقول الوطنية والقضية العربية بتطرف حاد. دخل الوزارة مع حكمت سليمان عام ١٩٣٦-١٩٣٧ ثم مع رشيد الكيلاني عام ١٩٤١ ثم في حكومات العهد الملكي.
- مكي الأورفه لي: من رجال القانون في العراق وقد عمل قاضياً في المحاكم العراقية.
- سعيد ثابت: من أعيان مدينة الموصل كان من العاملين في شؤون الدين والقضايا العربية وكان من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين وجمعية الدفاع عن فلسطين.
- النحاس: هو مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد ومن أشهر الساسة المصريين. تولى رئاسة الوزارة عدة مرات، وعرف بصلابة الرأي والاستقامة.
- حمد الباسل باشا: من رجال مصر كان عضواً في مجلس الشيوخ في مصر، وكان شيخاً قبلياً ومن أنصار العروبة في مصر.
- الأقباط في مصر: حيا الرصافي بقصيدة عنوانها (تحية مصر، وفي سبيل العروبة) ومطلعها:

مني إلى مـــصـــر ذات المجـــد والحـــسب

تحـــيـــة ذات ود غـــيـــر مـــقـــتـــضب

تدلي به دجلة السناء من مقة
منها إلى النيل رب الشعر والخطب

أما إشارته إلى الأقباط في مصر فقد جاءت بثلاثة أبيات ثانيهما هو البيت المشار إليه في الحديث:

إني أرى مصر والتاريخ يشهد لي
تحيا بعرق منها من ضنفيء العرب
وليس فرعونها ممن يشط به
بعد عن العرب العرباء في النسب
سميت للعرب ماضيها وحاضرها
بنسبة غضة في المجد والحسب

- مصطفى علي: من رجال القانون في العراق، عمل قاضياً في المحاكم ولميوله اليسارية وجيرته لعبد الكريم قاسم فقد اختاره وزيراً في أول وزارة في العهد الجمهوري. وكان رفيق الرصافي وراويته. وقد طبع ديوانه مقتصراً على الشرح اللغوي دون بيان ظروف النظم أو مناسبته. مع أنه أعرف بها من غيره.
- عبد الوهاب عزام: أديب مصري وأستاذ جامعي شهير وكان قد زار العراق في منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين.
- طه الراوي: شخصية أدبية عمل مديراً للتعليم في وزارة المعارف ثم أستاذاً في كلية الآداب وهو من أقرب أصدقاء الرصافي، ومن العلماء والمفكرين وكان يتبادل معه الآراء في قضايا التصوف وعلم الكلام. كما تبادلا العديد من المقطوعات الشعرية.
- كامل الجادرجي: سياسي عراقي معروف وزعيم الحزب الوطني

الديمقراطي، كان معارضاً سلبياً فهو يدعو للديمقراطية ولا يتأخر عن المشاركة هو شخصياً أو مشاركة حزبه في حكومتين عسكريتين وهو الأخ غير الشقيق للسيد رؤوف الجادرجي من أصدقاء الرصافي ويسميه «كامل الخيام» لأن لقبه «الجادرجي» معناه «الجادر» أي الخيمة.

- «التهي» تحريف في العامية العراقية لكلمة «اللهو».
- عبد القادر المميز: صحافي ساخر، وهو سليل عائلة مملوكية قديمة الرسوخ في العراق، أصدر جريدة هزلية اسمها «أبو أحمد».
- رغم اعتزاز الرصافي بكتابه «الشخصية المحمدية» الذي استغرق تأليفه أربع أو خمس سنوات فإنه لم ينشره في حياته لاعتقاده بعدم تقبل المجتمع للآراء الواردة فيه، وظلت نسخ ثلاث أو أربع من الكتاب عند أصدقائه ومنهم كامل الجادرجي وطه الراوي حتى نشر مؤخراً في عام ٢٠٠٢.
- ناجي القشطيني: أديب وشاعر ومن رجال التربية والتعليم في العراق تخرجت عليه أعداد غفيرة من الطلاب طيلة عمله بالتدريس. ثم انتقل إلى الأعمال الإدارية واختير للعمل في مديرية الدعاية العامة. وهي ما يقابل وزارة الإعلام والثقافة الآن.
- أثار نشر كتاب «رسائل التعليقات» موجة استنكار من قبل رجال الدين وغيرهم من المتزمتين مما اضطر الحكومة إلى تأليف لجنة من الشعراء والأدباء ورجال الدين لفحص الكتاب وبيان حقيقة الاتهامات الموجهة إلى الرصافي. وقد فندت اللجنة تلك الاتهامات وسمحت بنشر الكتاب.

- أثار الرصافي الشكوك في إيمانه أو صدق عقيدته الدينية، وأثار بالتالي نقمة رجال الدين عليه منذ مطلع شبابه، فقد اندفع إلى تأييد الاتحاديين في تركيا لنجاحهم في إعلان الدستور أولاً، ثم خلع السلطان عبد الحميد ثانياً. وإنه رأس تحرير جريدة بغداد الداعية إلى تأييد الاتحاديين. وقد بلغ من اندفاع الرصافي في هذا المجال أنه جمع عدداً من الشباب المتحمسين مثله للاتحاديين، وبينهم بعض المسيحيين واليهود واقتحموا جامع الوزير المشهور ببغداد أثناء خطبة الجمعة وأنزلوا الخطيب من المنبر واعتلاه الرصافي ليقرأ منشورات اتحادية. وكاد الأمر أن ينقلب إلى فتنة عارمة لولا تعقل بعض المسلمين. ودأب الرصافي منذ ذلك الحين على تحديه المجتمع العراقي وتقاليده ومفاهيمه الدينية بطريقة عيشه وأنماط سلوكه وبما كان يصدر منه من أقوال وأفعال يصدم بها الأفكار السائدة والقيم الدينية حتى صار إيمان الرصافي أو إلحاده موضع الجدل والنقاش وصار سلاحاً ماضياً بيد خصومه من الأدباء والشعراء من رجال الدين الذين وصل بهم الأمر إلى حد اتهامه بالكفر والإلحاد.

أما الحقيقة فقد كان الرصافي متمرداً جامحاً في سلوكه وفكره، وكان مفكراً حراً يرى حرية الرأي فيجهر به ويذيعه ثم يصل به الاجتهاد إلى رأي نقيضه فلا يتردد من الجهر به وإذاعته وهو في الحالين له أجر المجتهد إن أخطأ أو أصاب،

- جلال الحنفي: أحد رجال الدين في العراق عرف بممالأة الفئات اليسارية منها واليمينية، كان يتخذ من مهاجمة الرصافي والتشهير به أداة للشهرة وذيوع الصيت، وقد نشر بعد عشرين عاماً من وفاة الرصافي كتاباً بعنوان «الرصافي في أوجه وحضيضه».

- الشيخ قاسم القيسي: من كبار علماء بغداد وفقهائها، ومن أساتذة الرصافي في صباه، ممن يعترف لهم بالفضل وقد مدحه الرصافي في أكثر من مكانه في ديوانه. قال عنه:

إذا قاسم القيسي مرّ بخاطري
تذكرت عهداً بالصبا مرّ كالحلم
تذكرته إذ كنت للعلم طالباً
بفكري وسعي جاهد النفس والجسم
وكم زرته في جامع الفضل راجياً
شفاء لما في موقف الفهم من سقم

- كامل حسن بك: من كبار الملاك في العراق كان يسكن الأعظمية وهو من بقايا مماليك الأتراك.
- اسماعيل الصفار: من أبناء الكرخ ببغداد، تلقى علومه العسكرية في الأستانة، وعمل شأنه شأن الضباط العرب الآخرين بالحركة القومية العربية، ولما تشكلت الحكومة الفيصلية في الشام عين قائم مقام في أحد الأقضية السورية الجنوبية، ثم انتقل إلى بغداد وعين مديراً عاماً للشرطة. وبعد فليس مما يستقيم مع المنطق والعقل أن يكون في قلب الملك فيصل شيء ما من إسماعيل الصفار ثم يعهد إليه بالإدارة العامة للشرطة، وهو منصب مهم وخطير.
- حين عاد الرصافي إلى بغداد أقام له أصدقاؤه حفلة تكريم ألقى فيها قصيدة «أبناء الوطن». ومطلعها:

سر في حياتك سير نابه
ولم الزمان ولا تحابه

وإذا نــــــزلـــــت بمـــــوطـــــن

فـــــاديـل مــــــحلك في هضـــــابـه

ومنها:

آب المســـــــــافـــــــر للـديـار

عـــلـــى اضـــطـــرار فـــي إيـــابـــه

لــو كـــــــــان يجـنـح لـلإيـاب

لمــا تــعـــــــــجـل فــي ذهــابـه

- شاؤول شعشوع: من كبار تجار اليهود في العراق. وقد اتخذت داره الواقعة في «الكسرة» مقراً وسكناً للملك فيصل، فأطلق عليه لقب «قصر شعشوع» وما كان قصراً فخماً وإنما كان داراً كبيراً اتخذ طابقها الأول مكاتب للملك وحاشيته، وطابقها الثاني سكناً له قبل قدوم عائلته إلى بغداد.
- صفوت العوا: ضابط سوري عينه الملك حسين معلماً لأولاده (علي وعبد الله وفيصل)، ثم رافق فيصلاً إلى العراق فعينه ناظراً للخزينة الخاصة. وقد شغل بعض الوقت منصب كبير الأمناء.
- تحسين قدري: ضابط سوري كان مرافقاً لجمال باشا السفاح أيام ولايته في سورية عند قيامه بشنق أحرار العرب، ثم التحق بالثورة العربية وصار مرافقاً للملك فيصل، ثم انتقل إلى السلك الدبلوماسي ومنه عاد إلى الخدمة في البلاط الملكي رئيساً للتشريفات الملكية وحتى سقوط النظام الملكي عام ١٩٥٨.
- سكن الملك فيصل بعد دار شعشوع البناية التي بناها مدحت باشا لتكون مدرسة الصنائع. وظل الملك فيها حتى وفاته. وكان قد باشر

ببناء قصر الزهور إلا أنه لم ينتقل إليه. وقد اتخذت مدرسة الصنائع بعد انتقال الملك منها مقراً للبرلمان العراقي وحتى سقوط الشرعية الدستورية في ١٤/تموز/١٩٥٨ حيث اتخذت مقراً للمحكمة التي عرفت باسم محكمة المهداوي.

ومما يجدر ذكره هنا أن الرصافي حاول الاعتذار من الملك عن قصيدته هذه في رسالتين وجههما إلى الملك فيصل، فرغم الهجاء والسباب واللعنات التي صبها الرصافي على المرحوم الملك حسين فإنه عاد ورثاه عند وفاته عام ١٩٣٠ بقصيدة عنوانها «أبو الملوك» ومطلعها:

بدا وجه العروبة في حلوك
غداة قضى الحسين أبو الملوك
قضى متنازلاً بعد اعتلاء
كذاك الشمس تجنح للدلوك
قضى في المجد ليس له نظير
وفي الأزمات ليس بذي شريك

- الرصافي والملك فيصل: رغم أن الرصافي لم يترك فرصة إلا استغلها في ذم الملك فيصل وشتمه فإنه لم يتورع عن مدحه والإشادة به. فعند وفاة الملك حسين في حزيران ١٩٣١ سجل الرصافي المقطوعة التالية في سجل التعازي الذي فتح بالبلاط الملكي ببغداد. وكان الرصافي وقت ذاك عضواً في البرلمان.. قال:

عزاء أيها الملك المفدى
ويا خير الملوك أباً وجدا
لئن عظم المصاب ففيك عزم
على الأيام أعظم منه حدا

وما مات الحسين ومنك أبقى
أبا غازي لنا ملكاً مفدى
وفي الشاوي لنا عظة وذكرى
نجد بها على الخلفا وجدا
فسر بالقوم في طرق المعالي
وجدد للبلاد علاً ومجدا

وعند وفاة الملك فيصل نفسه ألقى الرصافي في حفل تأبينه قصيدة طويلة ساعدت قافيتها الزائية على إبراز نواحي الضعف والتصنع وبرود العاطفة فيها، كما أبرز ذلك التلاعب بكلمات التهنئة والتعزية تقديماً وتأخيراً مما كان يستطيع الشاعر وهو البليغ الحصيف أن يعدل إلى ما هو خير فمن ذلك قوله:

أبو غازي قضى فأقيم غازي
فأنطقنا التهاني والتعازي

- الرصافي ونوري السعيد: ربطت الرصافي بنوري السعيد روابط صداقة متينة، ويعترف الرصافي في أحاديثه هذه أنه كان دائم التردد على بيت نوري السعيد ليشرب الخمر ولعب الورق. ويقال إن نوري السعيد كان يبادل الرصافي الزيارات في بيته. وقد استطاع السعيد التغلب على معارضة الملك فيصل وإقناعه بـ«تعيين» الرصافي نائباً لأول مرة. ولما منح الملك نوري السعيد وسام الرافدين ألقى الرصافي في حفلة التكريم هذه القصيدة ومن أبياتها:

ته وسام الرافدين بصدر من
هو في العلا للرافدين وسام

أبـو صـــــــــبـــــــــاح ومـن بـه
سـعـد العـراق فـثـغـره بسـام

ثم طرأ فتور في العلاقات بينهما بسبب ميل نوري السعيد المتزايد للإنكليز.

وعلى رغم اندفاع الرصافي إلى جانب حركة مايس ١٩٤١ وذم نوري السعيد بقصائد مقذعة في الهجاء والسباب فإن السعيد لم يعتقل الرصافي في من اعتقلهم من أنصار الحركة.

وقد أرسل الرصافي إلى نوري السعيد رسالة يعتذر فيها عمّا بدر منه. وبرجاء من السيد محمود السنوي، وهو صديق الطرفين، وافق نوري السعيد على تخصيص مبلغ أربعين ديناراً للرصافي يدفعها إليه عن طريق السنوي. وفي إحدى المرات قال السعيد للسنوي ألا يقول صاحبك فينا شعراً؟ فلما عرض الأمر على الرصافي قال: إن الشعر كالشهيق يأتي عفواً ولا يمكن اصطناعه فلما سمع السعيد ذلك رد عليه: أنا لا أريده أن يشهق بل أريد الله أن يقطع نفسه.. واستمر على دفع المخصصات.

- عبد الغفور البدري: صحافي عراقي صاحب جريدة الاستقلال، وكانت من الصحف السياسية المهمة كان صديقاً للرصافي وملازماً له أكثر الوقت لأن إدارة جريدته كانت بجوار بيت الرصافي في الزقاق المقابل للمدرسة الثانوية المركزية والذي ينتهي بسوق الهرج، توفي عام ١٩٤٣.
- الوصي: هو الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق ١٩٣٩-١٩٥٣ وقد هجاه الرصافي هجاء فاحشاً في أكثر من مقطوعة شعرية.

- السيد خالص: وقد نسيت لقبه، موظف صغير تدرج في الوظائف حتى وصل إلى درجة قائم مقام ثم معاون أو رئيس لإحدى لجان تسوية حقوق الأراضي. وأثناء عمله الوظيفي التقى بالسيد المدفعي فدفعه الطمع والطموح إلى الزواج من شقيقة المدفعي وهجر أو طلق زوجته الأولى السورية وربما كان للسيد خالص أصل سوري فقد امتاز بالوسامة والرشاقة ولم يعرف عن السيد خالص نزاهة اليد ومتانة الذمة.
- حميد كنه: من ملاكي الأراضي في الفلوجة، وبيت كنه من البيوتات المشهورة في بغداد.
- مقهى عارف آغا: كان من معالم بغداد المشهورة، ويقع في شارع الرشيد، ومع الأسف فقد هدم الآن وأقيمت مكانه عمارة عالية.
- علي البزركان: من عائلة بغدادية مشهورة، وقد اشتغل بالإدارة.
- ابن السعود: هو الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية.
- «إيقاظ الرقود» وقد انتشرت في العراق انتشاراً واسعاً وقد نظمها الرصافي عام ١٩٠٤ إثرالمعارك التي نشبت بين ابن سعود وابن الرشيد أمير حائل من أجل استيلاء ابن سعود على نجد التي كانت تحت حكم ابن الرشيد، وكان وراء ابن السعود المعونة البريطانية وبعض الضباط الإنكليز، ووراء ابن الرشيد الدولة العثمانية التي جمعت جيشاً كبيراً من أبناء العراق وأرسلتهم لنصرة ابن الرشيد دون أن تهيئ لهم الاستعدادات اللازمة فمات أكثر الجند جوعاً وعطشاً قبل أن يصلوا إلى ميدان القتال. فكانت نكبة شديدة الوقع على سكان العراق دفعت الشاعر إلى نظم قصيدته هذه، وكانت النكبة هي سبب شهرة القصيدة وانتشارها ومطلعها:

إلى كم أنت تـهــتف بـالنشـــيــــد

وقـــد أعـــيـــاك إيقـــاظ الرقـــود

فلست وإن شـــددت عـــرى القـــصـيـــد

بمجـــد في نشـــيـــدك أو مـــفـــيـــد

فـــــإن القـــــوم في غي شـــــديـد

وبما قاله عن بغداد مما يصدق على حالها الآن هو:

إلـيـك إلـيـك يـا بـغـــــــداد عـنـي

فـــــــإني لست مـنـك ولست مـنـي

ولـكـن وإن كــــــثــــــر التـــــجني

يـعــــــز عليّ يـا بـغـــــــداد أنـي

أراك عـلى شـــــفـــــا هول شـــــديـد

تتـــــابـعت الخطوب عليك تتـــــرى

وبـدل منـك حـلـو الـعـــــيـش مـــــرا

فـــهـــــلا تنجـــبين فـــتى أغـــرا

أراك عـــــقـــــمت لا تـلـديـن حـــــرا

وكـــــنـــــت لمـــثـــلـــه أزكـــى ولـــود

وعن النزاع بين الأميرين قال:

إلـيــهـم أرسلـت بـغــداد جــيــشـــهـــا

لـيـــهـلك فـــيـــه عن عـــبث ويفـــدى

لقـــد ابـن الرشـــيـــد أشـــاع رشـــدا

فـــلا يا ابـن الرشـــيـــد بلغت رشـــدا

ولا بـلـغ الـســـعـــود ابـن الـســـعـــود

ومدح الرصافي ابن السعود بقصيدة طويلة كلها إغراق في المدح والمبالغات مطلعها:

كيف قد حاولوا اغتيالك غدرا
خاب من دسهم إليك وأغرى

ومنها:

يا إمام الهدى ورب المعالي
ومليكاً تطيعه العرب طرا
لست ممن بالقتل يرد ويفنى
لك خلد الحياة دنيا وأخرى

وهي من أضعف شعره، ويلاحظ أن الرصافي يفرط في المدح كما يفرط في الهجاء.

- الشيخ خزعل: أمير مقاطعة «الأحواز» في إيران الآن، وعاصمتها (المحمرة) كان أميرها مهاباً واسع النفوذ، وكان ثرياً مفرط الثراء أنيقاً في ملبسه، وكان جواداً أقصى الجود. سمح له الإنكليز في الثلاثين سنة السابقة على الحرب العالمية الأولى أن يستقل عن الحكومة العثمانية، وببسط نفوذه على المنطقة من البصرة حتى الكويت. ورشح نفسه لعرش العراق ولم يجد له أنصاراً. تخلى الإنكليز عنه مما شجع الحكومة الإيرانية على اعتقاله ونقله إلى طهران حيث ظل فيها حتى مماته عام ١٩٣٦ نائباً في البرلمان الإيراني عن منطقة الأحواز التي ضمتها إيران إلى أملاكها وسمّتها «الأهواز».

في رواية الرصافي لقصته مع الشيخ خزعل بعض الخطأ. فالرصافي لم يقابل الشيخ خزعل قط. ولكنه نظم قصيدة في مدحه وأرسلها

إليه عن طريق السيد عبد اللطيف المنديل، وسبب ذلك أن الرصافي أراد السفر إلى استنبول وطلب من وزارة المعارف أن تسلفه رواتبه مقدماً فرفضت ذلك مما اضطر الرصافي إلى أن يسأل العون من أصدقائه ومن الشيخ خزعل أيضاً. وقد تأخر الشيخ خزعل في هديته مما دفع الرصافي على الإلحاح في أمرها على صديقه (المنديل) ثم جاءت الهدية قليلة المقدار (٦٠٠) روبية فأراد الرصافي رفضها ولكن جماعته -كما يقول- أجبروه على قبولها. (انظر عبد الحميد الرشودي: رسائل الرصافي ص٤٣ و٥٣).

- سليمان فيضي: محامٍ من أهل الموصل استقر في البصرة وعاش بها وكان من أنصار طالب النقيب، له كتاب جيد عنوانه: «في غمرة النضال».
- الحاج شكري من أصدقاء الرصافي.
- عبد الرزاق الفضلي: من شخصيات بغداد ومن ضباط الشرطة عرف بسلاطة اللسان واغتياب الناس.
- التمن: هو الرز. وهو في العراق على أنواع و«النكازة» نوع من أنواعه ولكنه ليس النوع الأفضل، ويفضله نوع «العنبر» والأول لا يقدم للضيوف.

وقد ذكر الرصافي هذه الحادثة شعراً فقال:

يا «ابن الجميل» وأنت أكرم من
فعل الجميل إليه إرثاً تالدا
أهديت لي رزاً نفيساً لم أقم
من أكله إلا لفضلك حامدا

نقـــازة حـــبـــاتـه مـــحـــمـــودة
كم فـــاق في طيـب المذاق فـــواندا
كـــاللؤلؤ المنـثـــور لولا لاليـــتــــه
في مـــضـــفـــه لنظمت منه منه قـــلاندا

- الحفة: تعادل نصف الكيلوجرام. والمن: يعادل (٢,٥) كغ والكيس هو ١٠٠ كغ.
- فريق مزهر الفرعون: من شيوخ عشائر الفرات الأوسط، ومن مزارعي «الشلب» أو الرز في مزارعه الواسعة.
- كورنواليس: من أكثر الموظفين البريطانيين شهرة وأوسعهم نفوذاً، جاء العراق مع الملك فيصل وعمل مستشاراً لوزير الداخلية وضابط ارتباط بين الملك ودار الانتداب، انتهت خدماته عام ١٩٣٦ ثم عاد إلى العراق عام ١٩٤١، سفيراً لبريطانيا في العراق وظل فيها حتى عام ١٩٤٥.
- الملا عبود الكرخي: شاعر شعبي عراقي نال شهرة وصيتاً واسعين وكان يصدر جريدة أسبوعية هزلية اسمها «الكرخ» يتحرش فيها من بعيد بأولي الأمر أملاً في أعطياتهم.
- إبراهيم صالح: يبدو من أحاديث الرصافي وكأن العداء بينه وبين إبراهيم صالح شكر كان عميقاً مستحكماً -من جانب الرصافي على الأقل- لأننا لم نطلع على رأي الطرف الثاني. كما يبدو أن مبدأ هذا العداء وسببه هو اختلاف الرجلين في تقدير شاعرية الأستاذ عباس محمود العقاد، ففي حين يجلها السيد شكر فإن الرصافي ينفي عن العقاد سنة الشعر والأدب. وذكر الخصومة الدكتور يوسف عز الدين في كتابه «إبراهيم صالح شكر وبواكير النثر الحديث في العراق»

المطبوع في القاهرة.

وبصرف النظر عن وجه الخطأ والصواب في كل من الرأيين فإن الأمر في حقيقته لا يعدو كونه اختلافاً في الرأي في موضوع أدبي لا يستوجب كل هذا العداء والخصام وبخاصة أن الرصافي نفسه من أنصار حرية الرأي، لكننا نرى في هذا الخصام نوعاً من الحقد أو الحسد يكنهما الرصافي ضد إبراهيم صالح شكر لأن الأخير استطاع أن يكون كاتباً سياسياً بارزاً وأن يحقق لجريدته مكاناً ملحوظاً، وأنه استطاع أن يتبوأ مركزاً إدارياً مرموقاً.

وإذا عدنا إلى موضوع النزاع وهو مكانة العقاد الأدبية فإننا نستغرب نكران الرصافي لها إلا أن يكون عذره في ذلك عزوفه عن القراءة وقراءة الصحف خاصة. علماً بأن شهرة العقاد أديباً وشاعراً وكاتباً سياسياً عنيفاً لم تكن وقت صدور جريدة الأمل (عام ١٩٢٣) قد تعدت حدود مصر إلى خارجها إذ كانت جهات عدة تحاول منع شهرة العقاد من الانطلاق والانتشار.

فقد كانت الأوساط الأدبية في مصر تناصبه العداء لقسوة نقده لأساليبها المحافظة ومحاولته تحطيم رموزها. ومن أبرزها شوقي وحافظ والمنفلوطي والرافعي. وكان السائرون في ركاب الملك والقصر الملكي من الأدباء والصحافيين، وهم كثرة ينقمون على العقاد انتسابه إلى حزب الوفد المناوئ للملك وكونه كاتب الوفد الأول، عدا عن إعلانه عداءه الصريح للملك إلى حد أنه شتمه علانية في البرلمان مما أدى إلى سجن العقاد تسعة أشهر.

يضاف إلى ما تقدم شدة عداء العقاد للإنكليز ومقاومته الاحتلال

البريطاني لمصر. وقد عملت كل هذه العوامل مجتمعة على التضييق على العقاد ومنع أدبه واسمه من الشيوع والانتشار. وإذا وجدنا هذا العذر للرصافي عام ١٩٢٣، فإن ما لا عذر للرصافي فيه أنه لم يصحح رأيه هذا في العقاد بعد عشرة أو خمسة عشر عاماً، أي وقت تدوين هذه الأحاديث، حيث تبوأ العقاد مقام الصدارة في الأدب والتاريخ والشعر حتى نادى به الدكتور طه حسين أميراً للشعراء بعد وفاة أحمد شوقي، ولكن العقاد رفض اللقب بقسوة وفظاظة نجد لهما شبهاً في تصرفات الرصافي.

- العقاد والرصافي: وإننا نلاحظ أنه إذا استثنينا المباذل والمجون في حياة الرصافي فإن هناك أوجه شبه عديدة بين الرصافي والعقاد منها الشمم والكبرياء والاعتداد بالنفس إلى حد الغرور وكثرة الشكوك إلى حد الوسواس، وسرعة الغضب والانفعال إلى حد الانفجار ثم العناد العنيف على الرأي.
- الملك فيصل والرصافي: لا شك أن شكوك الرصافي وكثرة الاعتداد بالنفس مع مشاعر الإحباط والإخفاق قد ضخمت له الأمور فصار يظن وكأن الملك فيصل لا شاغل ولا هم له إلا التحريض على الرصافي والنيل منه. وواضح جداً أن الملك كان يستطيع غلق جريدة الرصافي لو أراد ذلك. عدا أن الجريدة صدرت وانتهت في عهد رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون، وكان صديقاً للرصافي بل كان هو وراء إصدار الجريدة عدا ما كان يسود الجريدة من ترويج واضح للأفكار البريطانية، وكذلك فإن لنوري السعيد صلات وثقى تربطه بالرصافي يستطيع من خلالها أن يؤثر عليه ويسترضيه.

- عبد اللطيف ثنيان: من شخصيات بغداد المعروفة وأصله من نجد، وكان صديقاً للرصافي في شبابه ورفيقه في الدعوة إلى العلمانية.
- فؤاد محمود الدفتري: كان عميد آل الدفتري في بغداد، وهم عائلة كبيرة تولت مناصب إدارية ووزارية في العراق في العهدين العثماني والملكي.
- أحمد الشيخ داوود: كان من رجال الدين ثم انخرط بالسياسة وصار عضواً في مجلس الأعيان.
- حسن فهمي المدفعي: من الضباط، خريجي المدرسة العسكرية. تولى مناصب إداري عدة منها متصرفية لواء الدليم الذي يتبعه قضاء الفلوجة، وكان السيد المدفعي من أصدقاء الرصافي تجمعهما موائد الخمرة والقمار.
- السيد هبة الدين الشهرستاني: من كبار علماء الدين في الكاظمية. وكان بحكم نشأته الدينية شديد المحافظة، وقد عين وزيراً للمعارف.
- النورة والزرنيخ: مادتان حادتان تمزجان معاً وتخلطان بالماء ويستعمل المزيج لإزالة الشعر عن الأبدان في الحمامات الشعبية. وقد أخذ الرصافي معنى هذين البيتين من المثل الشعبي القائل «الاسم للنورة والفعل للزرنيخ».

وبالمناسبة ذكر الرصافي «النورة والزرنيخ» في مقطوعة شعرية عند انتهاء المعاهدة وسياسة الزرنيخ حوت شتماً مقذعاً بالملك فيصل، من أبياتها:

لسياسة الزرنيخ في أوطاننا
طرق بها للإنكليز رسوخ

ومنها:

حــــتـى إذا نـشــــروا المعـــــاهدة التي
من أجلهـــا ســــيـــذمنا التـــــاريخ

فـــــــــإذا مـلـيـك بـلادنـا هـو نـورة
وإذا مـــلـــيـــك بـــلادهــم زرنـــيـــخ

لـو يـعـلـم المـريـخ مـــــا هـو عـنـدنـا
لهـــوى لفـــرط حـــيـــانـه المريخ

وبالمناسبة أيضاً نذكر أن الشاعر محمد باقر الشبيبي قد عبّر عن هذه الفكرة بأسلوب رقيق إذ قال:

المســـتـــشـــار هو الذي شــرب الطلا
فــعــــلام يا هذا الوزيـر تـعـــربد

- محمود جلبي الشابندر: من أغنياء بغداد وكبار تجّارها. وكلمة الشابندر تحريف لكلمة الشاه بندر، أي رئيس البندر. وكانت تجارته تمتد إلى الهند وإلى أوروبا من جهة ثانية.
- أم الزبانة، أو المزبن: نوع من السكاير، وهي عبارة عن أنبوب ورقية صغيرة تملأ بالتبغ وتوضع في آخرها ورقة ملفوفة هي الزبانة لتصفية دخان التبغ على غرار (الفلتر) في السكاير الحديثة.
- التعلولة: هي السحر أول الليل. (وهي كلمة عامية عراقية).
- رشيد مامو: هو شقيق أو قريب السيد حمدي صدر الدين من كبار القضاة في العراق، وعائلة «مامو» من عائلات بغداد الشهيرة، وهي تمتلك سوق الهرج قرب الميدان. وكان هناك منزل الرصافي في الزقاق المؤدي من السوق إلى المدرسة الثانوية المركزية.
- جميل الراوي: من ضباط الشرطة العراقيين.

- ميـر بصري: من أبناء الطائفة اليـهودية، وهو رجل متـعـدد المواهب، اشتـهر بكتبه التي صدرت مؤخراً عن شخصيات العراق، ولا أساس لاتهامه وزميله بالجاسوسية على الرصافي[٢].
- سعيد حقي: ضابط كردي استعيرت خدماته من الجيش إلى البلاط الملكي حيث عمل ناظراً للخزينة الملكية، ثم عين وزيراً للدفاع.
- رجينه مراد: يهودية من قيان بغداد الشهيرات بالجمال والمال والنفوذ وهي شقيقة المغنية العراقية الشهيرة سليمة مراد الملقبة (سليمة باشا». كان لرجينه صلات وثقى ببعض رجال الحكم والسياسة وقد اغتيلت في بغداد على يد أحد عشاقها.
- المنزول أو الكله جيه: هو المبغى العام، واسمه الشائع (الكله جيه) ولا يعرف على وجه التأكيد أصل هذه التسمية[٣]. ويقع في كوك نزر وقد أزيل عام ١٩٥٤ وصارت أرضه حديقة.
- محمد البمبيلي: نسبة إلى مدينة بمبي بالهند إذ كان في صدر شبابه وسيطاً تجارياً بين تجار البصرة وتجار الهند. وقد جمع من ذلك ثروة كبيرة. وكان في شبابه مرحاً لاهياً ثم تاب وحج وصار يدعى الحاج محمد أبو عدنان، وبسبب ملكيته لدور المبغى -كوك نظر- (الذي هدم عام ١٩٥١) نظر الناس إليه نظرة شك واستهجان. يقول عنه رفعت الجادرجي ابن كامل الجادرجي في كتابه «صورة أب» (ص٥٨ و٥٩): «... فقد كان إلى جوارنا تماماً أي بيننا وبين الزقاق الذي يسكنه ياسين الهاشمي بيت يسكنه شخص يدعى محمد البمبيلي، وكان سطح دارهم محاذياً لسطحنا لا تفصلهما إلا التيغة» أي الحائط... وذات يوم أذكر أننا كنا راجعين من دار يوسف إبراهيم (وزير سابق) المجاورة لدارنا التقينا بالبمبيلي قرب الدار فتقدم هذا يحيي والدي فإذا بأبي

يسرع نحوه ويصافحه باحترام عندها ازدادت حمرة اللون في وجه جارنا وارتبك. أقول هذا في حين لم أكن أرى الوالد يعير اهتماماً غير الاهتمام الطبيعي حين يلتقي بكبار الموظفين مثلاً. أ. هـ.

ومما يجدر بالذكر هنا أن هذا الحي المذكور كان سكن كبار رجال الدولة بمن فيهم الملك فيصل الأول.

- أحمد حقي: لم نستطع التعرف عليه.
- عارف جابان: هو السيد عارف حكمت العاني من النواب الدائمين في مجلس الأعيان وأصله ضابط يشغل بعض الوظائف الإدارية في بغداد، سمي جابان نسبة إلى اليابان لقصر قامته وتشابه سيماه بسيماء اليابانيين.
- عبد بن صالح: غلام الرصافي وخادمه وقد أوصى الرصافي له بكل ما يملك من كتب ومخطوطات. انظر وصية الرصافي.
- «جمال من شكر»: الجمال جمع جمل أي البعير. والشكر هو السكر، اصطلاح ساخر عامي عراقي يقصد به الأكاذيب المبالغ فيها والمبالغة في ما لا أساس له من الصحة.
- الشيخ رضا الطالباني: من شيوخ الأكراد البارزين وأدبائهم المعروفين اشتهر بحب النكتة وشعر الهجاء البذيء.
- عبد المسيح وزير: هو أديب عراقي واسع الإلمام بآداب اللغتين العربية والإنكليزية وبحكم وظيفته رئيساً للمترجمين في وزارة الدفاع فقد ترجم إلى العربية جميع أسماء الآلات والأدوات العسكرية وكل ما يتعلق بالجيش والحروب من مصطلحات وطبعها على الآلة الكاتبة ووزعها على بعض الضباط فعثر عليها أحد الضباط الأحرار وطبعها وادعاها لنفسه. وكان معجباً بالرصافي وبشاعريته إعجاباً مفرطاً إلى حد أنه يفضله

على كل الشعراء العرب في القرن العشرين.

- محمد فاضل الداغستاني: كان القائد الأعلى للجيوش العثمانية في العراق، تولى ولاية بغداد وكالة بعض الأحيان، وكان مولعاً بجمع الحيوانات النادرة والمفترسة مثل الأسود والنمور التي جمعها في حديقة كبيرة تقع في المنطقة التي بنيت بها بعد ذلك دار المعلمين العالية، كلية الآداب بعدئذ في باب المعظم. وقد استشهد الداغستاني في معركة ضد الإنكليز في (سلمان باك) قرب بغداد.
- الخيسة:الأسن.
- مظهر الشاوي: شكر الرصافي مظهر الشاوي على هديته بمقطوعة شعرية مؤرخة في ١٩٤٥/٢/٥ ولعلها آخر ما قاله من الشعر. إذ توفي بعد ذلك بسبعة أسابيع في ١٩٤٥/٣/١٦.

أنا شيخ وذي عصاي فتية
قد أتتني من مظهر لي هدية
صاغة الصابئين قد ألبسوها
حلة ذات صنعة عبقرية
هي تحكي عصا ابن عمران قدراً
فلذا صيغ رأسها رأس حية

- غرفة الرصافي: زار الشاعر الأستاذ محمد مهدي الجواهري الرصافي في داره في أيامه الأخيرة فوصف حال الرصافي قائلاً: «في تلك الغرفة الجرداء التي لا أنساها أبداً وكأنما أنا فيها الآن. وكان الرصافي، وهو ذاك أمامي على سرير من السرو الرخيصة لولا أن الرصافي هو الذي ينام عليه. وكان هو الآن وقد أحسّ بي وأنا أدب على أطراف أصابعي لئلا أوقظه، وكانت الحيرة في أين أجلس إذ

ليس في الغرفة كرسي أو خشبة أو حتى حجر للجلوس، وكأنما هي في هذه الساعة لا غيرها ، إذ تبددت الحيرة باستيقاظ الرصافي وبوجودي محلاً على طرف السرير فيتحامل على نفسه فألحّ عليه ملتمساً ألا يفعل فيأبى فأطيع، فأتحدث إليه آخر حديث أرجعه قبل أن يموت بأيام. وقد انقضى عصر الرصافي في هذه الغرفة الجرداء ولم يسدل عليه ستار، وكان الجو مشمساً والضوء يؤذي العيون. وكان على درجة من الحرارة لا يطيقها مريض مثقل لا بد له من أن يمد عليه الغطاء. أحلف صادقاً أنه لم يكن في غرفة صاحب هذا الجيل أي ستار. (معروف الرصافي- لنجدة فتحي صفوة ص٤٦).

- عبد صالح: ذكر الأستاذ مصطفى علي أن الرصافي عانى شظف العيش في أيامه الأخيرة حتى استعان بملابسه القديمة البالية، لأنه لا يملك ما يشتري به ملابس جديدة. بينما كان خادمه عبد بن صالح يرتدي أفخر الثياب، وكان عبد هذا يبيع ما يرسل إلى الرصافي من هدايا كالرز وغيره ويدعي بأنه نفد. كما كان هو وعائلته يستولون ويستأثرون بما يرسل له من أطايب الطعام دونه. (الخطاط ص١٧٥)
- الحولي: هو العجل، أي صغير البقرة، والعليجة: كيس من قماش يوضع على فم العجل ليمنعه من الرضاعة من ثدي أمه. وأصلها لإطعام الحيوان، تعلق فيه فسميت عليقة ويستعملها أبناء القرى لوضع كتبهم ودفاترهم ويعلقونها في رقابهم.

هوامش:

١- تفضل بوضعها الأستاذ الكبير الصديق عبد المجيد حسيب القيسي .

٢- إنه شخص آخر يحمل الاسم نفسه .

٣- الكلة الرأس أو الكتلة القوية وكان هناك جماعة من الجنود يحملون الكتل القوية لضرب حيطان الأسوار لتهديمها ، والمنطقة يسكنها الجند فيها البارودية و(الطوب) والصابونجية .

الوثائق

من الرصافي إلى الملك فيصل الأول[1]

إلى جلالة ملك العراق المعظم أيده الله

يا صاحب الجلالة

خلقت الذنوب في الدنيا للصغار كما خلق العفو للكبار، ولكن يجب على الكبير أن ينظر فيما حمل الصغير على الذنب لئلا ينزل بعقابه إلى مصاف الصغار، لذا جئت بكتابي هذا أستأذن جلالتكم في شرح هذه النقطة شرحاً بيّناً لعلّي أقيم لنفسي بذلك عذراً مقبولاً أستحق به منكم عفواً شاملاً فأقول:

حياتي الماضية:

لقد كنت منذ خمسين سنة من الذين أثاروا في عالم الأدب حرباً عواناً ضد الظلم والاستبداد فنبهوا أفكار الأمة العربية وأيقظوها من رقدتها وبكوا على ماضيها وسعوا في إصلاح حاضرها ومهدوا طريقها إلى المجد في مستقبلها. ولقد كنت أميل في عقيدتي السياسية إلى القول باللامركزية وأرى نجاح الأمة العربية إنما يتم بالحصول في أول الأمر على مختاريتها الإدارية لا بالانفصال عن الدولة التركية انفصالاً باتاً حتى جاءت الحرب العامة وأنا على هذه العقيدة، ولم يكن أحد منا

يعلم علم اليقين بالنتيجة النهائية التي تنتجها هذه الحرب على أن ذلك قد خفي على أكبر ساسة الأمم فضلاً عن مثلي من الناس.

عقيدتي الوطنية الاجتماعية:

أنا يا سيدي أعتقد أن الوطنية الصادقة هي أن يجد المرء منفعته الخاصة ضمن المنفعة العامة لا أن يتجرد من منفعته الخاصة بالمرة لأن هذا التجرد ينافي الغاية المقصودة من الوطن. فأصدق الناس وطنية عندي أعرفهم بالحصول على منفعته ضمن المنفعة العامة. وأكذبهم وطنية هو من طلب النفع لنفسه من الطرق المخلّة بالمنفعة العامة. ثم إني أعتقد أن الشرائع والأوطان والحكومات والقوانين المدنية والإلهية كلها ذرائع ووسائط للبشر لا غايات وإنما الغاية المقصودة منها هي سعادة البشر في الحياة على قدر الإمكان فإذا أسيء استعمال هذه الأمور المذكورة حتى أدت بأهلها إلى الشقاء فقد انقلب فيها الموضوع وجاز لأهلها أن ينظروا فيها نظر المصلح للفاسد والمقوم للمعوج، ومن هنا أعطيت الشعوب حق التمرد والعصيان تجاه حكوماتها التي تجور بها عن القصد.

أو ذنب لي عندكم

أعلنت الحرب العامة وأنا في الأستانة كنت مبعوثاً عن العراق فكان ما كان حتى نهض جلالة والدكم نهضته المعلومة فلم يكن يسعني إلا أحد أمرين: السكوت أو الكلام بما ينطبق على عقيدتي السياسية، وقد علمتم ما هي ولكن دواعي الكلام قد توفرت بما لا محل لذكره هنا فاضطررت إلى القول وقلت تلك القصيدة[٢] التي أوجبت عضبكم عليّ إلى يومنا هذا مع أنها لم تكن صادرة عن حزازات في النفس وإنما كانت عن اجتهاد خاص واعتقاد تقدم بيانه. فلما جئت إلى دمشق الشام أيام

حكومتكم فيها علمت أن غضبكم من أجل هذه القصيدة لم يفتر كما أخبرني بعض أصحابي نقلاً عن نوري السعيد، مع أن كثيراً من العلماء والأدباء[٢] في سورية كانوا قد شهروا أقلامهم أثناء الحرب في الطعن بجلالة والدكم وقد شملتموهم بأنظار الصفح والعفو جميعاً وما أدري ما الذي أوجب استثنائي منهم واستمرار غضبكم عليّ من دونهم ولم أكن من المعادين وإنما كنت مخطئاً في اجتهادي فقط. ثم دارت الأيام فجئتم إلى العراق فلم أقابلكم فيه إلا مرة واحدة عند أول مجيئكم، وكان ذلك بطلب الصفح والعفو وقلت لكم إن رجال الانقلاب يجب أن يعملوا بالقاعدة التي وضعها جدكم عليه الصلاة والسلام: «الإسلام يجّب ما قبله» وإلا فاتهم التوفيق إلى ما أرادوا. فقلتم إنكم لا تنظرون إلى الماضي وإن الأيام ستثبت ذلك منكم غير أني أقول بأسف شديد: إنني لم أجد لقولكم هذا أثراً من بعد بل كانت أيامكم كلها إعراضاً عني وإهمالاً لي حتى بقيت في هذا البلد لا أنا في العير ولا النفير. هذا من جهة حالتي الخاصة. وأما من جهة الأحوال العامة فلا أكتمكم أنني غير راضٍ عنها ولا مطمئن إليها وأنا من القائلين بوجوب التوفيق بين مصلحة أهل العراق ومصلحة الدولة المنتدبة، وأعتقد أن الخطة المرسومة الحاضرة غير منطبقة على مصلحة الفريقين أنفسهم إلى غير ذلك مما لا حاجة إلى بيانه هنا.

فاستمراركم في الغضب عليّ وإعراضكم عني وإهمالكم إياي مع ما أعتقد من سوء الحالة هو الذي دعاني إلى سلوك هذا المسلك الوعر مع جلالتكم، ويجوز أن أكون على خطأ ولكن يجب أن تقام الحجة على خطئي حتى يتبين لي الصواب إن كنت مخطئاً.

ولي الشرف أن أقول لجلالتكم بأن شخصكم محترم عندي جداً وأنني إذا تكلمت فإنما أتكلم عن مركزكم السياسي المرتبط به مستقبل العراق ومن تأمل جيداً ونظر بعين الإنصاف رأى أني أتكلم لذلك المركز لا عليه لأني إنما أريد لهذا المركز أن يكون الاستواء على عرشه متمكناً أكثر من تمكنه اليوم بقطع النظر عن كون المستوى عليه هو جلالتكم أو غيركم.

ومهما كان فقد جئتكم بالعذر البين فإن كنت مخطئاً فأرشدوني إلى الصواب فإني والله لا أصر على الخطأ إذا تبين لي الصواب وعاملوني بالصفح عمّا مضى تجدوني أحد الساعين بين يدي جلالتكم بكل صدق وإخلاص.

٧/تموز/١٩٢٣

المخلص الداعي

معروف الرصافي

أفاد السيد مصطفى علي أنه عثر على هذه الرسالة لدى عبد اللطيف المنديل وهي بخط يد الرصافي. وإن وجود هذه الرسالة عند السيد المنديل يدل دلالة كافية على أنها لم تقدم إلى الملك فيصل الأول، ولعل الرصافي قد دفعها إلى المنديل ليقوم بإيصالها ثم بدا له فعدل عن إرسالها، أو أن المنديل بعد أو وقف عليها نصح له بعدم إرسالها لما وجد في لهجتها من الشدة والمحاجة مما لا يجمل أن يخاطب به الملك. (الرشودي ص ٤٦ و١٧٦).

ونستطيع أن نضيف أن الرصافي لم يعدل عن إرسال هذه الرسالة بدليل أنه أتبعها بأخرى لا نعلم شيئاً عن مسارها.

* * *

من الرصافي إلى الملك فيصل[٤]

يا صاحب الجلالة:

إن عبدكم الموقع باسمه في منتهى كتابه يقف بين يدي جلالتكم موقف المعترف بالذنب عما سلف له من الخطايا، وهو يستشهد الله تعالى على أن ما صدر منه لم يكن صادراً إلا عن اجتهاد أخطأ فيه المرمى، ورأي لم يهتد فيه إلى وجه الصواب، وإنه يحترم شخصكم الكريم كل الاحترام ولا غاية له فيما يقوله إلا استقلال تلك الغاية التي قمتم لأجلها وجاهدتم في سبيلها، فهو إذا تكلم فإنما يتكلم عن مركزكم السياسي المرتبط به مستقبل بلادنا التي استويتم على عرش الملك فيها بالعزة والجلالة وإذا كان الغرض هو استقلال ذلك العرش فقد هان ذنب هذا العبد لدى جلالتكم، إذ قصارى ما هنالك أنه مصيب في غايته وإن كان مخطئاً في طريقه إليها.

ولا ريب أن ما لجلالة سيدنا المفدى وملكنا المعظم من الإنصاف يشهد بما سبق لهذا العبد منذ خمس وعشرين سنة من الخدمة للأمة العربية، إذ كان ولم يزل في مقدمةالذين أثاروا في عالم الأدب حرباً عواناً على الظلم والاستبداد، فنبهوا أفكار الأمة العربية وأيقظوها من رقدتها وبكوا على ماضيها ودعوا إلى إصلاح حاضرها ومهدوا الطريق إلى المجد في مستقبلها، وشك أن ذلك مما يستحق به عفوكم عن ذنبه، وهل خلقت الذنوب في الدنيا إلا للصغار والعفو للكبار وإن هذا العبد ليبتهل إلى الله تعالى أن يوفقه إلى السعي بين يدي جلالتكم بكل صدق وإخلاص. هذا وما الأمر في المبتدأ والمنتهي إلا لجلالة مليكنا المعظم أيده الله بنصره.

١٣/ تموز/ ١٩٢٣

من العبد المخلص معروف الرصافي

* * *

رسالة من الرصافي إلى نوري السعيد

سلام واحترام

كنت في أحد مجالسهم، فتحدثوا عن خطابك في المجلس مجملاً فألهمني حديثكم أبياتاً لم أر بأساً في أن أرسلها إليك فأرسلتها.

وأنا اليوم أكتب إليك كتابي هذا لا لأسترضيك بل لأعرب لك عن بواعثي إلى إسخاطك ولك بعد أن تقول فيّ ما شئت فأنت في حل مني ما لم تنزع في كلامك إلى غاية ذميمة أو تهمة نفس بريئة.

كتبت قبل هذه قصيدة بعنوان «يوم الفلوجة» توجعت فيها مما جرى في ذلك اليوم لجيش الإنكليز (.....) من الفظائع المنكرة وقلت في أول القصيدة:

أيها الإنكليز لن نتناسى
بغيكم في مساكن الفلوجة

وقد جاء في آخر تلك القصيدة:

وطن عشت فيه غير سعيد
عيش حر يأبى على الدهر عوجه
أتمنى له السعادة لكن
ليس لي فيه ناقة منتوجة
أخصب الله أرضه ولو أني
لست أرعى رياضه ومروجه
كل يوم بعزه أتغنى
جاعلاً ذكر عزه أهزوجه

أظنك لا تتهمني بشيء فيما قلت في هذه الأبيات، وأزيدك أنني اليوم واقف على شفير القبر أعيش آخر أيامي مجرداً من الأهل والسكن، ولا ولد لي أخشى ضياعه، ولا عقاراً أخاف انهدامه فمن السفه أن أتكلم عن هوى أريده أو غاية خاصة أقصدها، وإنما غايتي فيما أقوله عامة فإن كنت قد قلت فيك تلك الأبيات فلست أريد بها هتك حرمتك الشخصية - معاذ الله- لأنك إنما تكلمت في مسألة عامة لا خاصة فحسن الظن يستوجب أن يقال بأنك تكلمت عن اجتهاد، ولا أكتمك أنني يعجبني منك جراءتك على ما لم يجرؤ على القول به أحد غيرك، فلئن كانت الأحوال والظروف تدعو إلى اتهامك فإنها في الوقت نفسه تعلن للملأ ما لك من قوة العارضة وجراءة الجنان، لا كأولئك الذين يدورون مع السياسة أينما دارت فيقولون ما اشتهت ويتجهون حيث اتجهت.

أما عيوبنا التي أشرت إليها في كلامك في المجلس فحدث عن المستنقع ولا حرج. وما أنا بغافل عنها، فالشعر الذي قلته منذ نعومة أظفاري إلى يومنا هذا طافح بذكرها كما لا يخفى عليك، ولكنني إذا وقفت موقفك تجاه السياسة الأجنبية الغاشمة أتناسى تلك العيوب وأتعامى عنها لأن الموقف ينبو عنها ولأنها تزيد الخصم عتواً وطغياناً.

على أني لا أتردد في الجهر بها عندما ألاقي أبناء البلاد وجهاً لوجه، وقد قيل لكل مقام مقال. ثم إني أعتقد جازماً أن هذه العيوب لا منشأ لها سوى السياسة الأجنبية الغاشمة، كما بينت ذلك مفصلاً مدللاً في (الرسالة العراقية) التي كتبتها أيام هذه الحرب الطاحنة ولا يتسع المقام لبسط ذلك هنا، فإن شئت أرسلت إليك بها على أن تعيدها إليّ بعد مطالعتها، أما الأبيات التي أرسلتها إليك فقد أضفت إليها أبياتاً

أخرى إليك صورتها الكاملة لتطلع عليها فترد عليها بما شئت والسلام.

معروف الرصافي[٥]

* * *

إلى حضرة المستشار المحترم[٦]

في ١٩/١٠/١٩٢٢

قرأت ما جاء في الحاشية التي علقتموها مع طلبي للإجازة أن أجيبكم بما يلي:

أولاً: إن مدة ثلاثة أشهر للذهاب والإياب ضرورية على ما أظن وليست بزائدة، كما رأيتم لأن وسائط السفر غير معينة بوجه قطعي ولأن الموسم شتاء والسفر في الشتاء أصعب منه في الصيف، ولأني قاصد أن آتي بأهلي معي إلى بغداد، وتهيئة أهلي للسفر يحتاج إلى مدة غير قليلة، فمن هذه الوجوه كلها تجب الحيطة بتمديد مدة الإجازة إلى ثلاثة أشهر لا أقل، وأما الأسباب الضرورية التي تدعوني إلى طلب السلفة فأقول في بيانها:

إنني أرسل نصف الراتب الذي أتقاضاه إلى أهلي وأصرف النصف الباقي على نفسي فلم يمكني حتى الآن اقتصاد شيء من راتبي، ولأجل التخلص من هذه الحالة يلزم أن أجلب أهلي إلى بغداد، وعليه فلا بد من السفر، وليس عندي من المال ما أسافر به فالسلفة ضرورية لأن حالتي المالية هي كما ذكرت لا تساعدني على السفر. وأنا أشكركم إذا استطعتم أن تجدوا لي طريقاً إلى السفر من دون سلفة.

هذا ما يلزم بيانه ولكم الأمر.

معروف الرصافي

كتاب الرصافي: رسائل التعليقات

بعد صدور كتاب الرصافي «رسائل التعليقات» في مطلع عام ١٩٤٤ (مطبعة المعارف في بغداد، تعرّض الرصافي لمحنة قاسية، إذ هاجمته ألسنة الناس ووصموه بالإلحاد، يؤلف ضد الدين الإسلامي، في الوقت الذي كان فيه يصارع الشيخوخة والأمراض والفقر والعوز، لذلك أثار بعض رجال الدين الناس على الرصافي اتهموه بالإلحاد والكفر والتطاول على النبي محمد (ص) بفتاوى تناقلوها، وقد عزم بعض المتعصبين على قتله. وقصدت وفود من هؤلاء البلاط الملكي ومجلس الوزراء وقدموا طلبات لاتخاذ إجراءات بحق الرصافي.

فكتب مدير الأوقاف العام الأستاذ رؤوف الكبيسي رسائل إلى عدد من العلماء بتاريخ ٤٤/٢/٢٦ تتضمن الإجابة عن ما يلي:

١- هل في كتاب رسائل التعليقات ما يمس الدين الإسلامي الحنيف بسوء؟

٢- هل ترغبون بنشر جوابكم أم لا؟

٣- إعادة النسخة مع الجواب

توقيع/ رؤوف الكبيسي.

ومن أروع الردود كان رد العلامة فهمي المدرس قال فيه:

بغداد في ١٩٤٤/٣/٦

جواب كتابكم المؤرخ في ١٩٤٤/٢/٢٦ بعدد ٢٢٧٨

يحتوي كتاب الرصافي على ثلاثة فصول، الفصل الأول: في (وحدة الوجود) التي هي أساس التصوف أي الفلسفة الإسلامية، فند الرصافي

في هذا الفصل مزاعم زكي مبارك حول مصطلحات السعادة الصوفية وشرحها شرحاً يزيل الشك والإبهام ويزيد القارئ إيماناً بعظمة هذا المذهب. وهذا البحث الدقيق الفلسفي إنما يفهمه أهله لا الذين يقتصر اشتغالهم العلمي على كتب الجادة (أي النحو والبلاغة والمنطق) ولم يطرقوا باب الفلسفة، علماً أن مبادئ التصوف قد كانت مثار النزاع بين علماء الظاهر أي الفقهاء وبين علماء الباطن أي الصوفية منذ أن انتشر مذهبهم إثر تعريب الفلسفة اليونانية في عهد المأمون حتى أدى النزاع إلى تكفير بعض مشايخ الصوفية وإهانتهم. فلا غرابة فيما لو كانت تعليقات الرصافي في هذا البحث مبعث التحامل والانتقاد لا سيما في هذا العصر الذي اندرست فيه معالم التصوف وعز نصيره. ويلي هذه التعليقات البحث عن الحق والباطل والخير والشر والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار في معرض مناقشته الدكتور المومأ إليه. ومن المعلوم أن علماء الدين ذهبوا في هذه المسائل مذاهب شتى ومنهم المعتزلة والصوفية، والرصافي أخذ بمذهب الصوفية.

والفصل الثاني: رد على ادعاء زكي مبارك بعدم وجود النثر الفني في العصر الجاهلي وهو بحث أدبي لا علاقة له بالدين مطلقاً.

والفصل الثالث: تعليقات على كتاب (التاريخ الإسلامي) لمؤلفه (السنيور كيتاني) حول بياناته المخالفة للحقيقة والواقع لفقها هذا المستشرق إما جهلاً منه أو أراد بها الحط من كرامة الرسول (ص) وقد كان الرصافي في تعليقاته عليها موفقاً. وأما استشهاد الرصافي ببيت المعري:

وأشـــرف من ترى في الناس خلقـــا
يعـــيش الدهر عـــبـــد فم وفـــرج

إنما هواستشهد به لتحليل غريزة الإنسان لا لغرض شائن كما يزعم البعض من حملة العلم الناقص، والعلم الناقص قد يوقع صاحبه في الضلال: إذ لا يعقل أن رجلاً يدافع عن الإسلام وعن شخصية سيد الأولين والآخرين دفاعاً مجيداً ثم ينقض دفاعه المجيد بهفوة لا تغتفر.

وبالإجمال لم يظهر لنا في تعليقات الرصافي ما يمس كرامة الدين بل ظهر لنا أنه قوي الإيمان بالله ورسوله، راسخ الاعتقاد بما جاء به القرآن، ومن كفّر مسلماً فقد كفر.

توقيع/ فهمي المدرس[٧]

وصية الرصافي[٨]

أراهم يهيجون عليَّ العوام باسم الدين، ولا أظنهم يتركونني حتى يعدموني الحياة، وليس لي من ألتجئ إليه سوى الله، وكفى بالله حافظاً وحسيبا، وليس لي من الأقارب من أعهد إليهم بوصيتي سوى معارفي من الأصدقاء الأحرار من أهل البلاد، فلذا أكتب هذا إليهم عسى أن يقوموا بتنفيذه، ولهم من الله أجر.

كل ما كتبت من نظم ونثر لم أجعل هدفي منه منفعتي الشخصية، وإنما قصدت به منفعة المجتمع الذي عشت فيه، والقوم الذين أنا منهم، ونشأت بينهم، فلذا لم أوفق إلى شيء في حياتي يسمى بالرفاهية والسعادة في الحياة.

لا أملك سوى فراشي الذي أنام فيه، وثيابي التي ألبسها. وكل ما عدا ذلك من الأثاث الحقير الذي في مسكني ليس لي، بل هو مال أهله الذين الذين يساكنونني.

كل من اعتدى عليَّ في حياتي فهو في حل مني. وإن كان هناك من

اعتديت عليه فهو بالخيار إن شاء عفا عني، وإلا قضى بيني وبينه الله الذي هو أحكم الحاكمين.

أنا -ولله الحمد- مسلم، مؤمن بالله وبرسوله محمد بن عبد الله إيماناً صادقاً لا أرائي ولا أداجي، إلا أني خالفت المسلمين فيما أراهم عليه من أمور يرونها من الدين إلا جوهره الخالص، وغايته المطلوبة التي هي الوصول إلى شيء من السعادة في الحياة الدنيوية الاجتماعية، والحياة الأخروية ما أمكن الوصول إليه بترك الشرور وعمل الصالحات، وكل ما عدا ذلك من أمور الدين فهي وسيلة إليه، وواسطة له ليس إلا.

بما أن «عبد بن صالح» الذي هو معاوني على العيش في مسكني[٩] كنت أنا السبب في زواجه، وقد ولد له بنات صغار، وليس له من أسباب المعيشة والكسب مما يجعله قادراً على إعاشتهن، أرجو من أهل الخير في الدنيا، ومن أصدقائي الكرام أن يسعوا في إيجاد شغل له يكسب به ما يقوم بإعاشتهن وإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

كل ما عندي من الكتب المخطوطة التي كتبتها أنا تباع لمن يرغب في شرائها على أن يكون له حق الطبع والنشر، ولا يكون لي فيها سوى الاسم، ويدفع المال الحاصل من بيعها إلى بنات عبد.

أدفن في أي مقبرة كانت، على أن يكون قبري في طرف منها، وأن يكون في أرض مظلومة وهي التي لم تحفر قبلاً.

إن كانت الحياة نعمة سابغة من الله على عباده، فإن الموت رحمة واسعة منه عليهم. فالموت هو رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء.

«كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»[١٠].

المؤمن بالله وحده لا شريك له

معروف الرصافي

الهوامش:

١- ص٤٦-٤٨ من كتاب « رسائل الرصافي » لعبد الحميد الرشودي/ ط١٩٩٤ .

٢- يريد بها قصيدته ثالث ثلاثة .

٣- يريد بالعلماء الأفاضل الذين عارضوا ثورة الشريف في ٩ شعبان من أمثال : محمد كرد علي وشكيب أرسلان وعبد القادر المغربي .

٤- كتاب رسائل الرصافي / للرشودي/ ص١٥٤ .

٥- كتاب « رسائل الرصافي » لعبد الحميد الرشودي ص١١٤-١١٦ ط١٩٩٤ بيروت .

٦- كتاب رسائل الرصافي -لعبد الحميد الرشودي- ط١/ بيروت ١٩٩٤ .

٧ - معروف الرصافي - لقاسم الخطاط ورفاقه/ القاهرة ١٩٧١ ص١٧٨ - ١٨١ .

٨ - معروف الرصافي- المصدر السابق ص١٨٧ . والوصية دون تاريخ ، وذكر مصطفى علي إنها كتبت في أواخر شباط أو أوائل آذار ١٩٤٤ .

٩ - أبت رقة الرصافي استعمال كلمة (خادم) فأطلق على خادمه هذا اللفظ الرقيق .

١٠- سورة الرحمن : الآيتين ٢٦ و٢٧ .

معروف الرصافي

٢٦ أبريل ١٩٤٥[١]

نعى العراق أول هذا الأسبوع شاعره الباقي، فوجمت لمنعاه ألسن، وجزعت لفقده نفوس، ثم قرأنا أن بغداد قد غسلت شاعرها الراحل بالدموع وشيعته بالحسرات، وكنا قرأنا من قبل أن الرصافي في أعقاب عمره كان يطلب الغذاء الكفي فلا يجده، ويلتمس الدواء الضروري فلا يناله.

لفظ معروف الرصافي أنفاسه الأخيرة في حجرة مظلمة مقرورة لا يلطف جهومتها نور ولا نار، ولا يخفف من وحشتها خليط ولا جار، ولم تقع عينه الشاخصة، وهو في نزاع الروح إلا على ورقة هنا وكتاب هناك، أو على خادمه الأمين يتماسك لحظة ويتهالك أخرى، والدنيا التي صحبها الشاعر سبعين عاماً يدل على جمالها العيون، ويغري بمتاعها الأفئدة، لم تجد عليه ساعة الوداع بيد رقيقة تغمض عينيه، ولا بعين حبيبة تذرف دمعة عليه.

كان الرصافي -أحسن الله إليه- لسان العراق الصادق، ينقل عن شعوره، ويترجم عن أمانيه، ويحدو لراكبه المجاهد في سبيل استقلاله وعزته بالحداء الحماسي المطرب، ويصور خلجات نفسه ووساوس أحلامه بالشعر الصريح المعجب: وظل هو والزهاوي وشوقي وحافظ ومطران حقبة

من الدهر يؤلفون الأوتار الخمسة لقيثارة الشعر العربي الخالص، ولكل وتر درجته في الرنين والجهارة والأثر.

والرصافي أشبه بحافظ من الزهاوي بشوقي، وإن شئت فقل إن الرصافي وحافظ كانا الوترين الرابع والخامس في القيثارة: صوت عريض ضخم، وذبذبة ضيقة محدودة.

كان هذان الشاعران يتشابهان في أسلوب العيش وأسلوب الفكر. كانا صدى لهتاف الجمهور في السياسة والاجتماع، ورجعاً لأنين المساكين في الألم والشكوى، وكانا يتقاربان في جوانب من ضيق الثقافة وقلة الاطلاع وهيمنة الحياة. ولكن الرصافي كان متميزاً على نظرائه جميعاً بالصراحة الجريئة والاستهتار البالغ. كان يعيش ليومه وينطلق على هواه، ويستجيب لغريزته، فيفعل ما يشاء، ويقول ما يعتقد، ويطلب ما يشتهي، ثم لا يبالي إلى أين يقع ذلك كله من رأي غيره. ولا مراء في أن لهذه الحرية المطلقة أصلاً في مولده ونشأته. كان أبوه من بدو الكرد، وأمه من بدو العرب. وكانا فقيرين فولداه في بغداد في مهد بدوي خشن. ثم نشأه على أخلاق البادية الأصيلة. ثم أرخيا له الحبل وتركاه يغدو ويروح على مقتضى فطرته. ثم تبناه بالروح عالم العراق الأستاذ محمود شكري الألوسي في اثني عشر عاماً أصول المعقول والمنقول من علوم الدين واللغة والأدب، ثم حاول أن يقبسه أشعة من نور سلفيته وتقواه، ولقّبه بالرصافي رجاة أن يخلف معروفاً الكرخي في صوفيته وزهده. ولكن غرائز معروف كانت أقوى، ومطامحه كانت أبعد، فخرج من هذه الرياضة الطويلة مسلم اللسان جاهلي القلب.

ووجد الرصافي العراق على فترة من الشعراء ينتظر أبا نواسه المبعوث، فصدح على ضفاف الرافدين صدحاته المعروفة فأصغت إليه

الأسماع واهتزت له القلوب ورأى الناس في أمثال قصائده (المطلقة) و(أم اليتيم) و(اليتيم في العيد) أسلوباً من الشعر لم يعرفوه فأكبروه. وحاول أن ينفض عن نفسه غبار المتربة فزاول التعليم في بغداد. ثم كان من الذين صارعوا استبداد عبد الحميد بقوافيه المسمومة. فلما خرّ الطاغية وأعلن الدستور تعاظمه النصر وازدهته الشهرة فاعتقد -كما يعتقد الشعراء- أن له أن يقول وعلى الناس أن يفعلوا، وأن له أن ينفق وعليهم أن يبذلوا، فذهب إلى الأستانة يطلب المجد بوساطة شعره فكان قصارى أمره أن يكون خوجة في مدرسة أو محرراً في صحيفة. ثم سما به الحظ درجة فانتخب نائباً في مجلس (المبعوثان) عن لواء المنتفق. وظل في عاصمة الخلافة مدة الحرب الماضية حتى أعلنت الهدنة. وكانت ثورة العرب على الترك يومئذ قد انجلت عن عرش أمية في دمشق يجلس عليه فيصل الأول. ومن حوله سيوف الثورة وألسنتها من أمثال ياسين ونوري وجعفر ورستم وساطع. وجاء الشاعر الطماح يبحث عن مكانه في الدولة العربية الجديدة فلم يجد، فانقلب بعد طول صبر وإدمان السعي إلى فلسطين خائب الأمل كاسف البال يبتغي العيش فيها من طريق التعليم. فلما انتقل العرش الهاشمي من الشام إلى العراق سنة ١٩٢١ عاد الرصافي إلى وطنه ورجا أن ينال في بغداد ما لم ينله في دمشق. وتهيأ خليفة النواسي لينادم خليفة الأمين، وإذا الأمل الفسيح والطموح البعيد يسفران عن وظيفة متواضعة في وزارة المعارف، حينئذ تفجّر غيظه المكتوم على السلطان ورجاله فأعلنها شعواء بالهجاء المقذع والتهكم الفاحش. ووسعه (معاوية بني هاشم) بحلمه وتغمد إساءته بإحسانه، ففتح له الطريق إلى مجلس النواب، ثم عاد فأغلقه دونه.

ونال الخذلان والحرمان من نفس معروف ومن حسده ففتر نشاطه وتراجع شعره، ورضي من دهره بالمهلكات الثلاثة: شرب العرق ولعب الورق واستباحة الجمال.

وعلى هذه الحال المضنية أدركه الفقر والمرض والموت دون أن يجد آسياً من إيمانه ولا مؤاسياً من إخوانه.

* * *

قلت لصاحبي ذات ليلة من لياليّ في بغداد: أريد أن أزور الرصافي فقد زارني مراراً ولم أزره فقال: أتشجع على أن تدخل حي البغايا؟ قلت له: وما صلة هذا بذاك؟ قال: إنه يسكن بينهن وقد تزوره واحدة أو أكثر منهن. فقلت له: هلم فما يسع زواره من العذر يسعنا. ودخلنا البيت فإذا هو بيت الشاعر الأعزب المتلاف، لا أثاث ولا نظام ولا حرمة. وكلمة الشاعر هنا بدل الأديب تدلك على أن ليس بالمنزل مكتب ولا مكتبة، فقد كان الرجل لا يقرأ وإنما يتكئ على شدة ذكائه وحدة فهمه، ويكتفي بما حصل في شبابه من أدبه وعلمه. كان في الردهة قوم يأكلون ويشربون، وفي حجرة النوم آخرون يسمرون ويلعبون. وكان الرصافي يتصدر هؤلاء، في يمناه كأس، وفي يسراه ورق. فلما رآني فض اللعب وأقبل عليّ. ثم أخذ يشرب ويتحدث باللغة العارية عن الحقائق العارية في غير اكتراث ولا تحفظ. ويظلم الرصافي من يقيد عليه في مثل هذه الحال، ولكن نداماه يروون شعره أو يذيعون حديثه فيبلغ صاحب الملك فيغضب، أو صاحب الحكم فيصخب، أو صاحب الخلق فيثور. وكل أولئك يعادون الرصافي ولكنهم يهابونه لشخصيته ويحترمونه لعبقريته، ويتربصون به سوء المصير.

هذه صورة مصغرة لحياة الفقيد الكريم. أما عقيدته فالأمر فيها لله لا للناس، وأما شاعريته فالحكم عليها للناقد لا للمؤرخ. وقد يكون لنا إليها عودة.

الهوامش:

١- مقال نشره في مجلة الرسالة المصرية بتاريخ ٢٦ أبريل ١٩٤٥ بقلم صاحبها الأستاذ أحمد حسن الزيات. وثبته في كتابه (وحي الرسالة) طبع في مصر- ص١٩- ٢٢ .

كلمة أخيرة

لم أجد في العالم شعباً يهمل قادة الفكر والعلم المخلصين مثل اهمال أهل العراق لابنائهم وقادتهم ففي العالم كله وجدت التقدير والاحترام للشاعر والكاتب والفنان والعالم فهم يخلدون المكان الذي زاره والمطعم الذي أكل فيه والدار التي سكنها بوضع لافتة أو تعليق صورة له تشير إلى المناسبة. وتعنى الأمم الواعية بالرواد من أهل الفكر والأدب والفن وتحافظ على بيوتهم وآثارهم وقبورهم وتنشر كتبهم وصورهم وتنحت لهم التماثيل وتضعها في الساحات العامة. أما في العراق فلا يجد الفكر المخلص إلا الاهمال المتعمد والانتقاص المستمر من ادبه ومكانته. أين ذكريات الرواد مثل عبد المحسن الكاظمي والرصافي والزهاوي ومحمد رضا الشبيبي وفهمي المدرس وعبد الحسين الازري وخيري الهنداوي فقد أهمل حتى قبر معروف الرصافي حتى قام بإصلاحه ١٩٥٩ الأديب ناجي جواد مشكوراً وبذل جهداً كبيراً في إعادة البناء. فهل رمم بعد ذلك؟ واعجب من اندثار الآثار العباسية وقصورها. أين بغداد المدورة؟ وقصورها ومشافيها ومدارسها؟!!

يوسف عز الدين

ويلز - بريطانيا

من مؤلفات الدكتور يوسف عز الدين

١- الشعر العراقي في القرن التاسع عشر: خصائصه وأهدافه:
بغداد. وزارة التربية، ١٩٥٨.
القاهرة. الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥.
القاهرة. دار المعارف، ١٩٧٧.
٢- الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية:
بغداد، وزارة التربية والتعليم، ١٩٦٠.
القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥.
القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧.
٣- خيري الهنداوي: حياته وديوان شعره:
القاهرة، معهد الدراسات والبحوث العربية، ١٩٦٥.
بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٤.
٤- في الأدب العربي الحديث (بحوث ومقالات نقدية).
بغداد، جامعة بغداد، ١٩٦٧.
بيروت والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.
بيروت، دار العلوم في الرياض، ١٩٨١.
٥- داود باشا ونهاية المماليك في مصر:
بغداد. دار البصري، ١٩٦٧.

بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٦.

٦- مخطوطات عربية في مكتبة صوفية الوطنية.

غداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٨.

٧- الاشتراكية والقومية وأثرهما في الأدب العربي الحديث.

القاهرة، معهد الدراسات والبحوث العربية، ١٩٦٨.

بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٦.

٨- شعراء العراق في القرن العشرين (ج١).

بغداد، جامعة بغداد، ١٩٦٩.

٩- الرواية في العراق: تطورها وأثر الفكر فيها.

القاهرة، معهد الدراسات والبحوث العربية، ١٩٧٣.

١٠- فهمي المدرس: من رواد الفكر الحديث.

القاهرة، معهد الدراسات والبحوث العربية، ١٩٦٩.

بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٦.

١١- القصة في العراق: جذورها وتطورها.

القاهرة، معهد الدراسات والبحوث العربية، ١٩٧٤.

١٢- تطور الفكر الحديث في العراق.

بغداد، دار المناهل للترجمة والنشر، ١٩٧٦.

١٣- إبراهيم صالح شكر.. وبواكير النثر الحديث في العراق.

القاهرة، معهد الدراسات والبحوث العربية، ١٩٧٥.

١٤- قلب على سفر (رواية).

القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٧.

١٥- مخطوط شعر الأخرس.

بغداد، مطبعة العاني.

١٦- النصرة في أخبار البصرة (للأنصاري).

بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٩.

بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٦.

١٧- في ضمير الزمن (شعر).

الإسكندرية، دار الطباعة الحديثة، ١٩٥٠.

القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٧٠.

الرياض، دار أمية للنشر، ١٩٨٥.

١٨- ألحان (شعر).

الإسكندرية، دار الطباعة الحديثة، ١٩٥٣.

القاهرة، دار العلم للطباعة ١٩٧١.

الرياض، دار أمية للنشر، ١٩٨٢.

١٩- لهاث الحياة (شعر).

بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٠.

القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧.

٢٠- من رحلة الحياة.

بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٦٩.

القاهرة، دار الإبداع الحديث، ١٩٨٥.

٢١- فصول في الأدب الحديث والنقد.

دار العلوم، الرياض، ١٩٨١.

٢٢- Modern Iraqi Poetry Social and Political Influences.

القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١.

٢٣- Poetry and Iraqi Society: 1900- 1945.

بغداد ، مطبعة العاني، ١٩٦٢ .
٢٤- قضايا من الفكر العربي.
القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨ .
٢٥- الحركة الفكرية في العراق.
القاهرة، جامعة بغداد ، ١٩٨٤ .
٢٦- التحدي الحضاري والغزو الفكري.
الرياض، دار أمية للنشر، ١٤٠٥ هـ.
٢٧- Songs From Baghdad- London, 1984.
القاهرة، ٢٠٠٣
٢٨- التجديد في الشعر الحديث، بواعثه النفسية وجذوره الفكرية.
نادي جدة الأدبي، ١٩٨٦ .
٢٩- ثلاث عذارى (قصص قصيرة).
الرياض، دار أمية للنشر ١٩٨٧ ودار الأمين، القاهرة.
٣٠- Spontanetie ترجمة الدكتورة درية نجم ١٩٨٦ .
٣١- تراثنا والمعاصرة.
القاهرة، دار الإبداع الحديث، ١٩٨٧ .
٣٢- همسات حب مطوية.
دار الإبداع الحديث، ١٩٨٧ .
٣٣- قول في النقد وحداثة الأدب.
الرياض، دار أمية للنشر، ١٩٧٨.
٣٤- وعادت الذكرى بغرائبها وطرائفها .
القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ .
٣٥- أثر الأدب العربي في مسرى الأدب الغربي.

الرياض. دار الصافي للثقافة والنشر، ١٩٩٠.
٣٦- إلى الديار الممنوعة.
القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.
٣٧- بين الحداثة والمحافظة.
دراسة نقدية للشعر المعاصر، ١٩٩٠.
٣٨- حلو الذكريات ومرها، ١٩٩٠.
القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣٩- آراء نقدية نجت من الوأد.
القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.
٤٠- النورس المهاجر (رواية).
القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.
٤١- شرب الملح (قصيدة).
الطائف، دار الإبداع الحديث، ١٩٩٢.
٤٢- النغم الحائر (قصيدة).
الطائف، دار الإبداع الحديث، ١٩٩٢.
٤٣- أيام ضاعت (قصيدة).
دار الإبداع الحديث، ١٩٩٢.
٤٤- صدى الطائف الحلوة (شعر).
الطائف، ١٩٩٢، طبعتان.
٤٥- ليس يدري مصيره (قصيدة).
دار الإبداع الحديث، ١٩٩٤.
٤٦- أوجاع شاعر (قصيدة).
دار الإبداع الحديث، ١٩٩٤، الطائف.

٤٧- رجع الصدى (قصيدة).

دار الإبداع الحديث، ١٩٩٤، الطائف.

٤٨- وفاء الحسان (مسرحية).

القاهرة، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة ثانية، ١٩٩٧.

٤٩- قديم لا يموت! وجديد لا يعيش (آراء نقدية صريحة في الحداثة والأدب).

القاهرة، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦.

٥٠- حنين الهمس.

القاهرة، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

٥١- الأعمال الشعرية الكاملة.

القاهرة، ٢٠٠٠.

٥٢- هكذا يا بغداد.

القاهرة، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١.

٥٣- الشعر السياسي في العراق.

القاهرة، دار الحضارة، ٢٠٠٣.

٥٤ - The Three Moidens

الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣.

٥٥ - شعر فهمي المدرس

الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣.

بعض الكتب والدراسات
عن الدكتور يوسف عز الدين

١- شاعرية يوسف عز الدين

تأليف خضر عباس الصالحي- بغداد- العراق. ١٩٦٣

٢- الرؤية الشعرية عند يوسف عز الدين.

تأليف صاحب كمر والدكتور داود سلوم- القاهرة ١٩٨٥، وبغداد ١٩٧١.

٣- أغنية من بغداد.

(باللغة الإنكليزية) ترجمة البروفيسور بوزورث والدكتور داود كاون وغيرهما لندن ١٩٨٤، القاهرة ٢٠٠٣.

٤- التلقائية في أشعار يوسف عز الدين.

(باللغة الفرنسية) تأليف الدكتورة درية نجم وأعيد طبع هذا الكتاب في الهيئة المصرية العامة. ١٩٩٠

٥- المضمون والإطار في شعر يوسف عز الدين.

تأليف الدكتور عبد الله درويش- بغداد.

٦- يوسف عز الدين شاعراً وناقداً.

(باللغة البولونية) تأليف إنچي دريفنوفسكي رسالة ماجستير وطبعت بالعربية في القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٩.

٧- شخصية يوسف عز الدين الأدبية.

تأليف عبد الرزاق البدري والدكتور صالح أبو أصبع.

القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٧.

٨- أشعار المحبين إلى يوسف عز الدين.

تأليف الأستاذ حماد السالمي.

دار الحارثي للطبع، الطايف ١٩٩٣

٩- يوسف عز الدين شعره وتجديده.

تأليف الأستاذ وديع العبيدي.

القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٣

تقديم الدكتور عبد الله العبادي.

١٠- طقوس الحداثة

الدكتور عبد الرحمن المرغلاني.

القاهرة، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع. ١٩٩٦

١١- تلقائية أشعار يوسف عز الدين.

الدكتور إبراهيم عوض.

دار الإبداع الحديث، الطائف.

١٢- يوسف عز الدين شيخ المجددين.

عدنان بن صالح الشهري.

تقديم الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الكريم العبادي.

القاهرة، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع. ١٩٩٧

١٣- الورقاء ضمت المفكرين والأدباء.

عدنان المهنا.
تقديم الأستاذ الدكتور شوقي ضيف.
دار الحارثي للطباعة والنشر، الطايف ١٩٩٦
١٤- يوسف عز الدين وأنفاسه الشعرية (بالفرنسية).
الدكتورة أوديت بتي.
باريس ٢٠٠٠.
١٥- أبا أسل سعدت
للشاعر إسماعيل القاضي.
دار الإبداع الحديث. الطائف.
١٦- الأقصوصة في شعر يوسف عز الدين.
مولود أحمد الصالح.
دار الإبداع الحديث، الطائف. ٢٠٠٠
١٧- يوسف عز الدين في مرايا الآخرين.
وديع العبيدي، النمسا ٢٠٠١.
عدد خاص من مجلة ضفاف رقمه ٧

الفهرس

فهرس الأعلام

ليست مذكرات الرصافي غير تسجيل لجلسات خاصة انطلق الشاعر فيها بحرية القول وخرج عن التزمت المعروف عند الرواد، وفيها صراحة القول في ذكريات عفا عليها الزمن ولم يبق منها إلا وميض الأمل في الحياة ولذة ذكر ما مرّ منها.

شغل الرصافي الناس وبخاصة المفكرين والساسة بتمرده وثورته وغرابة تصرفاته وتناقض أعماله والشذوذ الظاهر في أسلوب حياته. فهو بين محب شديد في الحب وعدو يتمنى القضاء عليه، ومع هذا فقد كان يتمتع بالاحترام والتقدير.

ISBN:2-84305-705-X

9 782843 057052